تاريخ نجد في عصور العامية

٣

ديوان الشعر العامي بلهجة اهل نجد

تأليف: أبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري



١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

ص. ب. : ١٠٥٠
هاتف: ٤٧٧٧١٢١ ـ ٤٧٧١٩٥٢
الرياض ـ المملكة العربية السعودية

الطبعة الأولى
١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م

فهرس إجمالي

- ١ -

غنـاء الحـرب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أنبياء الله ورسله عامة وعلى خاتم الأنبياء محمد بن عبدالله خاصة وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد وعدت في مقدمة السفر الأول بدراسة أوزان كل سفر وألحانه، ولهذا الوعد فسأتناول في مقدمة هذا السفر لحناً من الألحان الحربية وهو الحداء مقدماً لذلك بلمحة تاريخية لأستاذ الجيل شيخنا حمد الجاسر.

فقد سئل متعنا الله بحياته عن أصل العرضة فقال:

العرضة نوع من الرقصات العربية الشعبية: للعرب رقصات متنوعة بحسب تنوع أحوالها فمنها ما يتعلق بأحوال الفرح كالزواج والأعياد والانتصار، ومنها ما يقصد به إظهار القوة والشجاعة أمام الأعداء، وإيجاد الحماسة في النفوس لكي تصمد وقت اللقاء، ومن ذلك ما يسمى بالعرضة المعروفة في المملكة العربية السعودية، وهي رقصة حربية تمتد جذورها إلى أعماق التاريخ القديمة، وأصل التسمية مشتقة من كلمة العرض وهو الجيش الضخم قال الراجز:

إنا إذا قدنا الجيش عرضا لم نبق من بغي الأعادي عضا

وكانت العادة القديمة عند العرب وغيرهم أن قائد الجيش ورئيس الجند يعرضان جيشهما وجندهما أمامهما للنظر في أحوالهم، وكان الجيش يمر

أمام القائد مبدياً كل واحد من أفراده قوته وشجاعته، لئلا يوصف بالضعف أو الجبن، وذلك في حركات قوية وفي مشية تتلاءم مع إيقاع شعري قد يتمثل به أحد الجيش، والتاريخ العربي يروي الكثير من أخبار عرض الجيش بهذه الصفة، فمحمد صلى الله عليه وسلم كان يعرض جيشه عند كل ملاقاة، ولما مر به أحد أفراد جيشه وكان يتبختر في مشيته وينشد شعراً يناسب حركته ويقول فيه:

أنا الذي عاهدني خليلي ونحن بالسفح لدى النخيل
أضرب بسيف الله والرسول

قال عليه الصلاة والسلام: إن هذه لمشية يكرهها الله إلا في مثل هذا الموضع. وبينما كان الحجاج يعرض جنده مر به فتى وهو يقول: (أنا من قوم لم يكن فيهم جبان) فأعجب به الحجاج واستدعاه وسأله عن قبيلته فأخبره أنه من قبيلة (يام) التي لا تزال معروفة في جنوب المملكة.

وقد وصف ابن فضل الله العمري في كتابه مسالك الأبصار العرضات التي وقعت في زمانه، فقد ذكر عن قبيلة زبيد، التي لا يزال القسم الأكبر منها مستوطناً في غرب المملكة بين مكة والمدينة أن فرسانها في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) عندما طلب ملك الشام منهم النصرة على التتار أقبل منهم زهاء أربعة آلاف فارس على الخيل المسومة، والجياد من الإبل متقلدين بالسيوف، بأيديهم الرماح كأنهم صقور على صقور، وهم يرقصون بتراقص النجائب، وكانت مغنيتهم وتعرف بالحضرمية ولها سمعة طائرة في زمانها سافرة من هودجها وهي تغني:

وكنا حسبنا كل بيضاء شحمة ليالي لاقينا جذام وحميرا
ولما لقينا عصبة تغلبية يقودون جرداً للمنية ضمرا
فلما قرعنا النبع بالنبع بعضه ببعض أبت عيدانه أن تكسرا

سقيناهم كأسا سقونا بمثلها ولكنهم كانوا على الموت أصبرا

فأثاروا الحماسة في النفوس وتم الانتصار على التتار.

ويصف الأخطل قبيلة قيس عيلان التي كانت خارجة على الخليفة الأموي في عهده أنهم انقادوا فوفدوا على الخليفة فعرضوا أمامه ليظهروا له الطاعة وأنهم شجعان أقوياء فقال:

وقيس عيلان حين أقبلوا رقصا فبايعوك جهاراً بعدما كفروا

وقد تطور عرض الجيش إذاً حتى كان في عهد دولة المماليك أحدثت وظيفة خاصة تسمى (عارض الجيش).

ولقد كانت الفتاة العربية تشارك الجيش في رقصاته الحربية لتثير حماسته وتبعث نخوته، فنساء قريش في وقعة أحد كن يضربن بدفوفهن خلف الرجال المحاربين ويقلن في أهازيجهن:

إن تقبلوا نعانق ونفرش النمارق

أو تدبروا نفارق فراق غير وامق

وقد بقيت هذه العادة عند العرب إلى عهد قريب، فقد ذكر الأستاذ أمين الريحاني في وصفه لإحدى الوقائع في نجد أن النساء كن يتغنين خلف صفوف الجيش ويقلن:

يا اللي تمنى حربنا غويت يا غاوي الدليل

كم واحد من ضربنا دمه على الشلفا يسيل

والعرضة كانت إلى عهد قريب على ثلاث أقسام:

١ ـ عرضة الجيش (الإبل النجائب المذللة للركوب)، حيث يقوم المحاربون أو الجند باختيار نجائب الإبل في اليوم المخصص للعرضة

فيركبونها من مسافة يتمكنون بها من الوصول إلى مكان العرضة، وهي في غاية ما تستطيع من قوة الإغارة (الجري السريع) فإذا مر العارضون على المكان الذي اجتمع فيه الناس صار كل واحد منهم يلوح بسلاحه، ويصرخ بأعلى صوته بنخوته التي يعتزي بها كأن يقول (أنا أخو فلان) أو (أنا ابن فلان) فيجيبه الناس بكلمة (ونعم ونعم!!) تشجيعاً له.

٢ ـ عرضة الخيل يمتطي الفرسان خيولهم في الوقت المحدد للعرضة، ثم يأتون إلى مكانها متسابقين على خيولهم بسيوفهم وهم يعتزون وينتخون.

٣ ـ العرضة العامة وهي التي يقوم بها الرجال بعد أن يتهيأوا بأسلحتهم من سيوف أو بنادق ثم يصطفون صفوفاً ويقومون برقصات تلائم إيقاع ما يلقى على مسامعهم من أهازيج شعرية مثيرة للحماس مثل:

حنا هل (العوجا) مروية السنين   وإذا كسرنا العظم ما حد جبره

أي أن العرضة تقوم حركاتها على إيقاعات موسيقية.

وللشعر الشعبي في الجزيرة اهتمام بالعرضة بحيث قل أن يخلو ديوان شاعر مشهور من قصائد عرضية أي تختص بالعرضة هذه الرقصة الشعبية التي أوشكت كل الرقصات القديمة أن تزول من الجزيرة ما عداها[١].

قال أبو عبدالرحمن: أما التأريخ للعرضة فليس وراء شيخنا الجاسر متعقب، ولعله يتاح لي في أحد أسفار هذا الكتاب دراسة أوزان العرضة وألحانها ووصف واقعها، وقد علمت أن شيخنا ابن خميس يجمع الآن أشعار العرضة، والآن طبع بعنوان أهازيج الحرب.

---

(١) مجلة العرب ج ٣ ـ ٤ س ١١ عام ١٣٩٦، ص ٣٠٢ ـ ٣٠٥.

وحسبي الآن القول بأن الغناء الحربي في الشعر العامي على نوعين:

أولهما: أغاني الحداء على الخيل وهو فن بدوي استفادته الحاضرة منهم وشعراء الأحدية من الحاضرة قليلون.

وثانيهما: أغاني العرضة وأوزانها غير أوزان الحداء، وهي فن حضري بالنسبة للحن والهيئة التي يتم بها الغناء ولا يكاد البدو يقيمون فن العرضة وربما لا تجد شيئاً من ألحان العرضة في شعر البادية إلا قليلاً كقصيدة غنيم العارضي[٢].

والبادية استفادت العرضة من الحاضرة بلا ريب.

والبيتان اللذان ذكرهما الريحاني وأوردهما شيخنا حمد الجاسر هما من لحن الحداء.

والعرضة التاريخية التي ذكرها شيخنا الجاسر أكثرها من الرجز وهو بحر الحداء وفيها بحور أخرى غير الرجز وفيها رقص ولعب بالسلاح إلا أننا لسنا على يقين بأن رقصة الحرب عندهم كرقصة الحرب عندنا وأن غناء الحرب عندهم كغناء الحداء والعرضة عندنا لأن ألحان العرب ضاعت ولم تدون تدوينا موسيقياً على النوتة ووجدت إشارات طفيفة في كتاب الأغاني لأبي الفرج ما هي إلا إحالات لمعهود في عصره وأكبر موسيقار في هذا العصر لا يستطيع استعادة اللحن العربي كما هو في الواقع من خلال تلك الإشارات الطفيفة.

---

(٢) راجع من آدابنا الشعبية ١/١٥٤ ـ ١٥٥ وكقول هذال بن فهيد:

حربنا من دون حرور وقذالة   والرفايع حيثها شمعة الديرة

انظر مجلة العرب ٥/٣٣٢.

أما الموشحات فربما بقي الآن شيء من حقيقتها لأنها بعد التدوين الموسيقي ولأن بعضها تداولته الأجيال بالمشافهة كما تداولنا نحن ألحان المسحوب والهجيني. . . إلخ.

إن جميع أحديات الخيل من الشعر العامي لا تخرج عن بحر الرجز وقد كان الحداء في الشعر العربـي الفصيح من بحر الرجز أيضاً.

إلا أن حداء الشعر العامي يتفق مع الشعر الفصيح ويختلف عنه حسب الظاهرات التالية:

١ ــ بحر الحداء العامي والفصيح من بحـر واحد هـو الرجـز وهو حمار الشعر على الحقيقة يقال ارتجالاً ويقل احتفاؤه بالقيمة الفنية.

ومن هنا حصل الخلاف بين أدبـاء الفصحى في اعتبار الـرجز شعراً[٣].

وكان أشد الناس تحمساً في سلب صفة الشعرية عنه مصطفى صادق الرافعي رحمه الله لأنه بصدد نفي الشعر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد روي عنه بيت من الرجز[٤].

وأوجز رأيـي هنا بأن بحر الرجز قالب موسيقي صالح لأمتع الشعر كغيره من البحور ولهذا كان ديوان مدينة بلا قلب من أمتع دواوين الشعر الحديث ومعظم قصائده على تفعلية الرجز.

هذا هو واقع هذا البحر.

---

(٣) الرجز للعبيدي ص ٢٦ ــ ٥٤ وعن أصل نشأة وزن الرجز انظر مادة (د ي. د ي) من تاج العروس.

(٤) انظر تاريخ آداب العرب للرافعي ٣٠٧/٢ ــ ٣١٤ والسنن الكبرى للبيهقي ٤٣/٧ ــ ٤٤.

أما الشعر الذي قيل على هذا البحر فقد كثر فيه ضعف المستوى الفني إما لأنه مرتجل وإما لأنه مقصود به التعليم كأراجيز نظمت بها علوم النحو والفرائض. . . إلخ، وإما لأنه مقصود به التكثر بمفردات اللغة.

ولهذا قل الاحتفاء بالرجز في كتب المختارات وصار الاهتمام بالرجازين قليلاً بجانب الاهتمام بالشعراء.

هكذا كان حداء الشعر العامي، ولهذا وجدت ظاهرة في شعر الحداء وهي أن كثيراً منه مجهول القائل والسر في ذلك أنه مرتجل يراد به متعة لحظة راهنة ينسى بانتهاء مناسبته وإنما يستحيي الناس منه نوادر انطوت على قيمة فنية أو سجلت حادثة مهمة كأحدية راكان في المناسبة المعروفة بسنة الطبعة أو كانت لزعيم مرموق فتكتسب الأحدية أهميتها ـ وإن كانت ضعيفة المستوى فنياً ـ لأهمية قائلها، ولهذا قلت عناية الجماع بالحداء وتأخر تدوينه.

ولولا الله ثم عناية الأمير السديري رحمه الله بجمع الأحديات مع ما جمعه موزل لضاعت جمهرة هذا الشعر وسيظل الدارسون عيالا عليهما في هذا الباب.

ومما ساعد على قلة الاحتفاء بفنية الحداء أنه في متناول كل أحد قل أن تجد شاعراً من البادية ليست له أحديات ووجد من لا يعرف بالشعر وله أحديات كابن هندي وابن حجنة والهيضل. . . إلخ كما كان أكثر الرجاز في القديم غير مشهورين بالقصيد.

٢ ـ أن جوازات بحر الرجز كثيرة ولا يكاد يجاريه بحر في هذه الظاهرة.

وكثرة هذه الجوازات تعني اضطرابه في عرف من عهدوا بحوراً بقوانين صارمة الانتظام.

والاضطراب مفهوم لغوي من كلمة رجز ذاتها، فقد اعتبر ابن فارس هذه المادة أصلاً يدل على الاضطراب(٥).

قال أبو عبدالرحمن: وقد استباح حداء الشعر العامي من التجوزات ما لم يستبحه وزن الرجز في الفصيح وربما سنحت فرصة في أحد أسفار هذا الكتاب إن شاء الله لضبط تفعيلة الحداء عامة.

ولكنني أذكر ها هنا بعض النماذج التي تساعد على رسم هوية هذا الوزن.

فأحياناً يأتي البيت على ست تفعيلات متساوي الشطرين ثم تأتي العروض على وزن (فالان) والضرب على وزن مستفعلان كقول تريحيب بن شري:

علي نطحة خيل أبو سلطان   يوم السبايا مقبلات

/ / ه / / ه ــ / ه / / / ه ــ / ه / ه ه   / ه / ه / / ه / ه / ه / / ه ه

أو يأتي الضرب والعروض على وزن مستفعلان وكل شطر من تفعيلتين كقول أحد العجمان:

يا الله يا الرب الكريم   قرب خيام من خيام

أو يكون الضرب كما مر والعروض على وزن مستفعلاتن كقول الملك فيصل بن عبدالعزيز رحمه الله:

يا طارشي للسيف قل له   جوك العوادي بالحديد

/ ه / ه / / ه ــ / ه / ه / / ه / ه   / ه / ه / / ه / ه / ه / / ه ه

وقد يكون الشطر على ثلاث تفعيلات كأحدية تريحيب الآنفة الذكر

---

(٥) مقاييس اللغة ٤٨٩/٢ وانظر الرجز للعبيدي ص ١٣ ــ ٢٢ وص ٦٣ ــ ٦٤.

إلا أنه يكون أطول لطول التفعيلة الأخيرة كقول هذال بن فهيد يخاطب زيد السور:

قولوا لزيد السور لا يقعد ببان   يروح للصعران مرذين الحفيف

فالعروض والضرب على وزن (/ ه / ه / / ه ه).

وربما كان الشطران غير متساويين كقول الأمير عبدالعزيز بن متعب بن رشيد:

حــرم علي مــلاعب الخــلان   ان كــان مــا زرت الــعــدا

/ه/ه//ه_/ه/ه//ه_/ه/هه   / ه / ه / / ه _ ه / ه / ه / / ه

وقول حاد من حرب في يوم الهييشة:

يــرعــون من عبلة الى حليت   وشــبــيــرمــة يــردونــهــا

/ه/ه//ه/ه/ه//ه/ه/هه

لعيــون نــورة بنت ابن نحيت   الــلي غــشــانــا نــورهــا[٦]

وكقول عمشا من الأشراف:

من يقطع الفرجة على البعاج   يــصــيــر لــلشــيــخــة حــلــيــل

/ه/ه//ه/ه/ه//ه_/ه/هه   / / ه / / ه _ / ه / ه / / ه ه

وقول تركي بن محيا:

ان كان شجعى ما رمت عبدالله   والا مــع الــســايــر تــروح

/ه/ه//ه_/ه/ه//ه_/ه/ه/ه   / ه / ه / / ه _ / ه / ه / / ه ه

ارمي عشيــرك يــا ظبــي الخلة   لــو كــان حــمــاي الــلدوح

---

(٦) نسب حرب ص ١٥٥.

وكل هذه التجوزات تعطي نغمات متمايزة خلال لحن الحداء والذي يسوغ التجوزات ويضبطها هو الغناء بهذا اللحن ولهذا لا أزال أدعو إلى تدوين الألحان الشعبية تدويناً موسيقياً قبل اندراس معالمها.

ويوجد كثير من القصائد الطوال على بحر الرجز ويغنى بلحن الحداء كواوية شليويح العطاوي في وقعة طلال ونونية أخيه بخيت في هذال بن فهيد، إلا أن عرف العامة قصر الحداء من بحر الرجز على ما قيل ارتجالاً لغناء الفرسان بحضور خيلهم وذلك لا يتجاوز عشرة أبيات والعادة أن يكون الحداء ببيتين أو ثلاثة.

٣ ــ لم يؤثر في الرجز الفصيح حداء يكون فيه كل بيت على قافية والشطران على قافية واحدة، وإنما أثر ذلك في الأراجيز التعليمية كألفية ابن مالك في النحو.

وهكذا الحداء العامي، بل لا يكاد يوجد هذا اللون في الشعر العامي النجدي وإنما استغنوا بالمربعات والألفيات.

٤ ــ اشتهر في الحداء الفصيح كون الأحدية على قافية واحدة وترية الأشطر كأن تكون على ثلاثة أشطر أو شفعية كأن تكون على أربعة أشطر.

أما حداء الشعر العامي فلا يكون وتري الأشطر ولا يكون على قافية واحدة لكل شطر إلا أن يكون إعراب القافيتين مختلفاً بل يرد على قافيتين لكل شطر قافية يلتزمها أو على قافية واحدة يلتزمها الشطر الأخير.

وفي الفصيح تأتي القصيدة على بحر الرجز بقافية واحدة ولكنها لا تسمى أرجوزة حتى تكون قافية كل شطر واحدة.

ومما ورد من الحداء العامي على قافية واحدة قول راكان بن حثلين:

يــا ســابـقي مــا مـن منيــر   جـمـعـيـن والـثـالـث بــحــر

والله لـبـوج لـهـا الـطريـق لـعـيـون بـراق الـنـحـر[7]

وهكذا رويت هذه الأحدية من كراسات الأمير السديري رحمه الله بيد أن الشيخ ابن خميس أثبته هكذا:

(يا سابقي ما من مطيق) وتابعه د شفيق الكمالي.

وإنما أراد أبو عبدالعزيز توحيد القافية وليس ذلك بشرط.

ومما ورد على لحن الحداء من غير الشعر النجدي قول شاعر من سيناء:

يـا بيض لا تبكن عـليـه هـذي الـعـمـار مـقـدرة
والـلي يـمـوت خـله يـمـوت خـلـه يـزور الـمـقـبـرة[8]

وقول شاعر من الأردن:

يـا يـمـه هـذي مهـرتـي تـسـلم وانـا خـيـالـهـا
واشـري لهـا سـرج جـديـد ريش الـنـعـام قـذالـهـا[9]

ومما ورد على قافية واحدة قول ضيف الله بن زايد الحماد من كراسات الأمير السديري:

انـا امس ادرب مـهـرتـي حتى وجب وقت الـغـيـاب
والـيـوم ردت خـيـلـهـم بـيـن الـقـرارة والـهـضـاب

---

(٧) منير: مهرب. فصيحة.
وفي كراسات السديري مطير وقد رجحت كلمة منير لأن معناها هو المناسب للبيت الثاني. قالها بمناسبة محاصرة الإمام عبدالله الفيصل لهم على البحر حيث أحاط بهم جيشه على هيئة زاوية مثلث وجعل البحر الضلع الثالث فقتل أكثرهم وغرق كثيرون.
(٨) دراسات في الفولكلور الأردني ص ٢٦.
(٩) المصدر السابق ص ٢٦ وفي ص ١٣٢ أورد لها رواية ثانية.

في يوم من يوم الوغى يشيب له راس الشباب
جونا يببون اذوادنا وحصيلهم روس الحراب

وإن الحداء في الشعر العامي لتطريب الخيل أما تطريب الإبل فيكون بألحان الهجيني وسأدرسها إن شاء الله في أحد أسفار هذا الكتاب.

أما تطريب الحداء في الفصيح للإبل فيدل عليه قول كشاجم:

إن كنت تنكر أن في [م] الألحان فائدة ونفعا
فانظر إلى الإبل التي هي ويك أغلظ منك طبعا
تصغي لأصوات الحداة [م] فتقطع الفلوات قطعا
ومن العجائب أنهم يظمونها خمسا وربعا
فإذا توردت الحياض [م] وحاولت في الماء كرعا
وتشوقت للصوت من حاد تصيخ إليه سمعا
ذهلت عن الماء الذي تلتذه برداً ونقعا
شوقا إلى النغم الذي أطربنها لحنا وسمعا

وقال أبو بكر بن عبدالرحمن بن مسور بن مخرمة:

قلت لبيك إذ دعاني الشوق [م] وللحادين حث المطيا

وقال آخر:

حثوا الركاب يؤمها أنضاؤها فزها الركاب مغنيان وحادي

ويقوم مقامه عند العامة الهجيني. قال الرصافي:

واترك مجادلة الذين توهموا هزج الغناء خلاعة وفسوقا
افأنت أغلظ مهجة من نوقهم فقد استحثوا بالحداء النوقا[١٠]

---

(١٠) ديوانه ص ٨١.

وقال خلف الإذن:

مع البياحة مشيها العصر دفلاج　　هميمة مع المغني نزرها

وقال فهيد السكران:

وجنا على حسن الغنا تستلجا　　والكور خطر من قراها يموج

وقال مريبد العدواني:

مرات نلفيّ بالغنا والتصاويت　　ننحى الرمك بنحور عجلات الاهذال

والمراد بالغناء هنا الهجيني.

أما تطريب الحداء العامي للفرسان فيمثله قول هذال بن فهيد شيخ الشيابين كما نقلته من كراسات الأمير السديري رحمه الله:

يا اهل الرمك كل يجيب حداه　　انتم وراكم ما تحدون[١١]

ترى الحدا لاهل الرمك مشهاة　　فكاكة التالي نهار الكون

وقال سيف بن غزيل العجمي:

وياما حلا جر الغنا فوق عرماس　　لعب عليها وانت يا خليف خاسي

٥ ـ استعمل الرجز الفصيح في أغراض شتى فهو كالقصيدة يتناول أغراضاً عديدة وينتقل من غرض إلى غرض بقانون حسن التخلص كما ينشد في حفر الآبار والوصف والسياسة وفي الحرب والرثاء.. إلخ والمتح والاستقاء ونظم العلوم ووجد منه فن يسمى الطرديات في وصف الصيد[٢].

---

(١١) الرمك: الخيل. فصيحة.

(١٢) انظر كتاب الرجز للعبيدي في عدة مواضع.

وهكذا بحر الرجز في الشعر العامي إلا أن ما يسمى حداء عند العامة لا يكون إلا من بحر الرجز ولا يقال إلا بمناسبات الحرب ولا ينشد إلا بمصاحبة الخيل.

٦ ــ من خصائص الأرجوزة في الفصيح تعمد الغريب من اللغة والاستكثار منه[١٣] وليس كذلك عموم بحر الرجز عند العامة، وليس كذلك خصوص الحداء من شعر العامة بل هو أيسر الشعر العامي لغة وأقله تعقيداً.

٧ ــ من المتفق عليه أن وزن الرجز نشأ محاكاة لوقع أخفاف الإبل وأن الحداء الفصيح لتطريب الإبل، وليس كذلك الحداء في الشعر العامي.

وربما غنوا الحداء بغير بحر الرجز فجاء اللحن مقارباً للحن العرضة كقول مناحي الهيضل ــ وهو مما أملاه علي مشعان بن مجول:

يا هل النيات سيروا	كل غمر وما نوى به
لا تقول اني قوي	كود ما ربي ثوى به
جارنا خمس سنوات	لا يهاب ولا نهايه
لين خانه من زمانه	شيمته لا واسفا به

ويرد الغزل في الحداء ولكن بمناسبة حربية.

يكون الغزل بلسان الجنسين، إلا أنه من النساء عادة على سبيل الإغراء، فهذه عمشاء بنت ناصر بن غالب الشريف تحرض بهذه الأحدية على قتل مسلط البعاج زعيم البقوم الذي قتل منصور بن غالب عمها وكانت تحدو بهذه الأحدية فوق الهودج:

(١٣) انظر المصدر السابق ص ١٣٣ ــ ١٤٣.

من يقطع الفرجة على البعاج يصير للشيخة حليل
ما ريته رمحه يجي منعاج يقلط الى هاب الذليل[14]

ومثل ذلك قول فتاة من سبيع أهل رنية وهو مما رواه الأمير السديري رحمه الله:

اللي يريد لحبتي يقلط الى هاب الذليل[15]
اسقيه انا من ذبلي غصب على خشم الحليل[16]

وقول فتاة أخرى:

يا يمه سومي حبتي على مروين الرماح
من زمتي ما حبني ولد الردي رخو الجناح

وقال حاد من عنزة:

يا راعي الصفرا القحوم وقف وابا اعطي واردي
والله لا آصل عشقتي لو دونه الف بواردي

فأجابته عشيقته بقولها:

اهلا هلا يا صاحبي يا اللي جدعت الماردي

---

(١٤) هذه الأحدية وقصتها من كراسات الأمير السديري رحمه الله وقد ورد الشطر في موضع آخر هكذا:

اترك له الحبة سبيل

(١٥) حبتي: قبلتي والقبلة من نتائج الحب في العادة.

(١٦) ذبلي: أسنانها كناية عن الرضاب مأخوذ من الرقة بعد الري إذ هذا من معاني ذبل في الفصيح.. والذبلاء: يابسة الشفة.

خشم: طرف الأنف، وهو في الفصحى ما فوق النخرة من قصبة الأنف ومن تحتها من خشارم الرأس.. الحليل: الزوج. فصيحة.

انت الشجاع اللي نبي ما انت الذليل الشارد

وهذه الأحدية لامرأة نقلتها من كراسات السديري رحمه الله قالتها وهي تحدو طالبة الطلاق من زوجها:

يا شوق طلقني واروح حبلك على حبلي لوى[١٧]
شوقي الى ركب الجموح يعشي الذيب اللي عوى[١٨]
اللي يطوح للطريح يجوز له كل الهوى

وكثيراً ما يرد في الأحدية تعليل الشجاعة بكسب مودات النساء كقول حاد من شمر:

عشاير تبي المديد وحنا بعدنا خوفها
لعيون من لبسه حرير اللي يونس شوفها

وقول حاد من الدهامشة:

لعيون لباس الخصور وقذيلته ريش الهوا
نشبع محاديب النسور والذيب الى منه عوى

وقول ضاري بن طوالة:

اردها واثني عليك لعيون مركوز النهد

وقول حاد من الجبرين من مطير:

لعيون لباس الحرير اللي موصينا عليه

---

(١٧) معنى الشطر الثاني: أن عقد الزوجية غل طوق عنقي.
(١٨) الشطر الثاني منكسر.

وقال حاد من حرب:

يـا ابـو ثـمـان كـالـبـرد والـمـمـسـك فـي لـثـايـمـه
لا تـاخـذيـن الـلي شـرد يـخـبـر عـلـيـك الـلايـمـة

ويشارك العبيد في الحداء كقول أحدهم:

يـا عـم واشتـر لـي جمـوح يـا امـيـر مـا هـي سـايـرة

وقـول الاخـر:

عـمـي شـرى لـي مهـرتـي لا يـا بـعـد كـل الـعـمـام

وهاتان مما رواه موزل.

وقول سعيد التوم وهو مما رواه الأمير السديري:

عـمـي عـطـانـي مـنـوتـي حـمـرا مـعـنـقـهـا طـويـل

ومما يتلهى به الفرسان في طريق الإغارة هذه الأحدية لحاد من العجمان:

يـا الله يـا الـرب الـكـريـم قـرب خـيـام مـن خـيـام
شـمـر لهـم جمـع الـقـصـيـم وحـنـا لـنـا جـمـع الامـام

وقول حاد آخر:

يـا خـايـفـين من الـمـنـايـا من جـاه سـو الـمـوت مـات
الـمـوت مـا خلى الـصـبـايـا نـجـل العـيـون المـتـرفـات

وقول حاد ثالث:

يـا الله طـلـبـنـاك الـهـدى والـسـتـر والـعـلم الـمـلـيـح

ربعي مدابيس العدا وان حولوا خلف الطريح[١٩]

وربما بنى الحادي على شطر أو بيت من محفوظه من الأحديات ولهذا يكثر الاقتباس في شعر الحداة ولا يرون بذلك بأساً ولا يعدونه من سرقات الشعر لأن الحادي لا يعتز بقيمة فنية في أحديته وهو يرتجل وإنما غرضه إثارة الحماس أو تسلية الفرسان في الطريق فحسب، ولهذا نجد بعض أشطر هذه الأحدية في أحدية أخرى لحاد من شمر يقول:

ربعي مقابيس العدا خيالهم ما له نطيح[٢٠]
يا سربة تتبع ندا كم هللوا خلف الطريح[٢١]

وهذه ظاهرة في الحداء عموماً.

وقد تعن في الطريق حادثة تحدد الغرض كهذه الأحدية التي أوردها موزل في ثلاثة أبيات ولم ينسبها إلى قائل وأورد منها الأمير السديري بيتين منسوبين لبرجس بن مجلاد:

يا هيه يا راعي القعود ريضي قعودك يمنا[٢٢]
من عقب ماحنا بعيد الحمد للي لمنا

---

(١٩) مدابيس: تشبيه بالدبابيس وهي مقامع الحديد، وهذه رواية الأمير السديري رحمه الله. وعند موزل:

يا رب نطلبك الهدى وان حرفوا عند الطريح

(٢٠) مقابيس: تشبيه بالنار التي يؤخذ منها القبس.
وقبست النار بمعنى اشتعلت عند العامة وقد بينا وجه المجاز في شرح إحدى القصائد.

(٢١) ندا: هو ابن نهير شيخ الويبار من شمر.

(٢٢) عند السديري:

عينيك يا راع القعود يا اللي تضده يمنا

وذكر أن المخاطب بنت ابن ربيعان.

والـيـا تـلاقـن بـالـسـنـود نـرضيك. ونـزعـل عمنـا[٢٣]

ولهذا كثيراً ما تكون الأغراض التي ينظم فيها الحداء وقت الذهاب إلى الغارة تتعلق بعمومات الحرب لا بجو الغارة ذاتها مع التغني بأمجاد سابقة كقول حاد من حرب[٢٤]:

من لا تخيـل من بنات نصير يمـوت ودينـه مـا قضـاه[٢٥]
من فـوقهن نرمي العشـا للطير بمشلشـل عـود القنـا يبـراه

أو تهديد العدو كقول حاد من شمر:

يـا اللي تـمـنى حـربـنـا من حـربنـا مـا تـستـفيـد
لازم تـواجـه ضـربـنـا بـالسيف مصقـول الحـديـد

أو تمني المغنم كقول أحد الحداة:

يـا الله طلبتـك يـا الجليـل يـا عـالـم بـغـيـوبـهـا
صـفـرا تلوح بـالـشـليـل تـقـعـي عـلى عـرقـوبـهـا

وكما يكون الحداء جماعياً يكون إفرادياً فيحدو الفارس على جواده وحده.

قال الشيخ ابن بليهد:

والموضع الثاني يقال له (عصيل) وهو من أودية الحرة يقع شماليها،

---

(٢٣) عند موزل: تلاقن بالسماح.
عمنا: الإمام عبدالله الفيصل.
(٢٤) في موضع آخر من كراسة السديري وردت منسوبة إلى حاد شمري.
(٢٥) نصير: قال الأمير السديري رحمه الله:
حصان من مرابط الحمدانية.

وهو قريب من بلد (عروا). وجرى في هذا الوادي الذي يقال له (عصيل) قصة طريفة، وهي أن ابن شفلوت شيخ عبيدة من قحطان جاء غازياً من الجنوب وكانت (سعدية) امرأة من العصمة صاحبة مال ومطاعة في قومها، وينزل معها سلف ليس بالقليل نازلة في وادي (عصيل) المذكور فرأى ابن شفلوت إبلها على بعد، فأمر قومه بالغارة عليها، وكانت هذه الغارة على بعد، فانثالت خيولهم وهجت إبل (سعدية) وقومها فعاف القحطانيون الطمع وجاء رجل منهم على جواده فأخذت منه (سعدية) جواده وأمنته على رقبته فاشتهرت (سعدية) بأخذ الجواد، فجاء هذال بن فهيد الشيباني وضاف (سعدية) وهي نازلة قريب (تيهاء) الهضبة المجاورة لبلد (الشعراء) في الجهة الجنوبية منها وهو قاصد الشعراء نيته يشتري من الشعراء دفوعاً لزواجه، فقالت له سعدية: إني أخشى عليك من قحطان فخذ هذه الفرس فأخذها وقضى غرضه، فلما أقبل من الشعراء اندفع يحدو على ظهرها، ويقول:

شيخ الجحادر في شعيب عصيل ... من رمح سعدية قزى
تعلمت فيهم بقلع الخيل ... والشيخ في الهضبة وزى[٢٦]

ومن الأحديات قبيل المعركة بدقائق هذه الأحدية لفارس من السبعة نقلتها من كراسة منديل:

اطعن لعيني فاطر لي ... خدينة لي بالفلاة
مرباعها خشم الظفيري ... مقيظها حمص وحماة

ومن أغاني الحداء بعد الغارة ما رواه ابن بليهد عن شبيب بن دواس. قال: ولشبيب هذا قصص طريفة منها ما حدثني به ابن عمه راشد بن هذلي قال: نزلنا في العبلة الواقعة في عالية نجد الجنوبية، وكان

(٢٦) صحيح الأخبار ٥/٦٧ ــ ٦٨.

بجوارنا عرب من القمزة ومعهم امرأة جميلة يقال لها الطريسة ومعها قطعة إبل سود، وكانت تتتبع بها القفار وكان فرسان قومها يحدون بالغناء على ظهور خيولهم، فمن قولهم:

نحفظك يا ذود الطريسة   من بد ذيدان البنات
ونحماك من راعي اللميسة   ونحماك من راعي الحصاة

لما سمعت الغناء وكثر الحداء قالت لهم: مهلاً أيها القوم، فإني لم أقم بهذه الإبل في حماكم بل في حمى شبيب بن دواس وسويحل العلباني، فبلغ الفارسين العلبانيين كلامها، فما زالا يتوقعان الغارة من الرئيسين المذكورين بالقصيدة، وهما ابن هملان السبيعي وهو راعي اللميسة، وراعي الحصاة ابن حويل القحطاني، وسبيع وقحطان أعداء لعتيبة، فما شعر الرعاة إلا بالخيل قد اكتسحت إبل الطريسة وأخذوها في وسط إبلها على جمل، وكانت الخيل التي أخذت هي خيل ابن حويل راعي الحصاة، فلحقتهم خيل القمزة قبيلة الطريسة، فردهم القحطانيون ولم يظفروا بتحصيل الإبل، وقال القحطانيون للطريسة: إذهبي على جملك إلى أهلك، فقالت: سيأتيكم اثنان على ظهور خيلهما، فإن طردتوهما رجعت إلى أهلي، فما شعر القحطانيون إلا بهما من أمامهم، فلم يلبثا إلا لحظة واحدة حتى استخلصا الإبل من أيدي القحطانيين، فآبا بالطريسة وإبلها يتجاوبان الحداء، وهما سويحل العلباني وشبيب بن دواس العلباني ويقولان:

جبناك يا ذود الطريسة   والخيل دونه مرزيات
كل نقص من دون قيسه   وين العلوم الاولات

فهؤلاء الفارسان سويحل العلباني مات في مكة، وشبيب بن دواس قتلته سبيع قرب منهل الصخة[٢٧].

(٢٧) صحيح الأخبار ٥/٢٧٣ ـ ٢٧٤.

وربما غنوا بالحداء في البحر كقول القطريين:

حــرم عـليـك الـصـلح مـنــا ما دام قـاسم في الحــديــد
لا بــد مــا تــارد ســفــنــنــا بـالسيف مصقـول الحـديـد[٢٨]

أما وصف الحداء في فننا الشعبي فيذكره شيخنا ابن خميس بهذا الأسلوب الإنشائي:

هذا الدور خاص بصهوات الجياد تلتئم وتمشي الخيزلى ويجعل راكبوها يتجاذبون أصواتهم به، وهو لا يكون إلا في الفخر والحماسة وحيث الكر والفر.

وعرضه على هذه الصفة يشكل منظراً بديعاً مطرباً كان له في ربوع الجزيرة شأن أي شأن، ولكن ذلك المظهر اختفى فيما اختفى من تلك المظاهر المجيدة.

ولا أدري هل سيبعث من مرقده أم هو الوداع الأخير[٢٩].

قال أبو عبدالرحمن: ليس هذا وصفاً ولكنه تشويق إلى الموصوف، وأنا لم أر الحداء على الطبيعة، والشيخ ابن خميس رآه وعايشه فكان عليه أن يعطي الموضوع حقه من الدرس والتجلية.

وقــال المــارك:

القصائد التي نقلتها عن الأديب محمد السديري كلها من وزن القصائد التي ينشدها الفرسان فوق صهوات خيولهم، والقصائد التي من هذا النوع لها موسيقى تبعث النشوة في الأعماق في نفوس من يتذوقون معانيها، كما أنها مثيرة للشعور، ومهيجة للعواطف، خاصة إذا لحنها

---

(٢٨) الأزهار النادية ١٤/٣٨ و ٥٦.

(٢٩) الأدب الشعبي ص ٣٢٦ ــ ٣٢٧.

الفرسان وهم ممتطون صهوات خيولهم، وكثيراً ما يكون التلحين بصورة جماعية، ينشدها بصوت عال صف عن اليمين، وصف عن اليسار، والشاعر الذي ينشد القصيدة هو الذي يبدأ بتلحين قصيدته، وكل ما كان للشاعر مكانة اجتماعية مرموقة وذيوع صيت في عالم البطولة والفروسية كان لقصيدته التي ينشدها ويلحنها وقع أكثر في نفوس الفرسان(٣٠).

وقد أفادنا الدكتور شفيق الكمالي بما هو أوعب فقال:

هذا النوع يقرأ عادة على ظهور الخيل وهي في طريقها إلى الغزو أو في عودتهم منتصرين لذا جاء على أنغام متعددة تنسجم والحالة التي هم فيها.

والحداء عادة لا ينشد بمصاحبة الرباب على عكس الأنواع الأخرى.

فالحالة الأولى: وهي الحالة الطبيعية في ذهابهم إلى المعركة يقرأ بنغم بسيط ويقطع تقطيعاً يشبه تقطيع العروض، وهذه الطريقة في الغناء قديمة وكانوا يسمونها الركبانية.

قال أبو جعفر إذا قال أحدهم الشعر بالركبانية أكفأ والركبانية أن يتغنى به ويقطع العروض وما زال عرب العراق يطلقون على الحداء اسم الركبانية وهو نغم مشهور عندهم يردده حتى سكان المدن.

والثانية: عند الاشتباك في المعركة وتكون نغمته سريعة تتداخل كلماته فلا تفهم إلا بصعوبة ويسمى في هذه الحالة الحوراب أي الحربي.

والثالثة: عند العودة من المعركة منتصرين ويكون نغمه ممطوطاً متكسراً ينسجم مع حركة التمايل التي يقومون بها على ظهور الخيل

---

(٣٠) من شيم الملك عبدالعزيز ٣/١٠٨ ـ ١١٠.

بتحريك أجسامهم إلى اليمين وإلى الشمال ويسمونه في هذه الحالة التطويح أو الطواح[٣١].

وقالت الليدي آن بلنت:

وفي عودتنا سارت الخيل تعدو بنا عدواً مبهجاً يرافقنا بدويان تعلمنا منهما إحدى أغاني الحرب لشمر وتجري كالآتي:

ما ريد انا ركب الذلول — لو زينوا لي شدادها[٣٢]
أريد انا حمراً شنوف — حمراً سريع اورادها[٣٣]

وكانا يمتطيان فرسين وسيفين صغيرين، إلا أنهما لم يستطيعا العدو بنفس السرعة التي عدونا بها[٣٤].

وعن الحداء في الأردن قال أحمد حمدان الربايعة:

الحداء: والحداء على أنواع منها الدحية والحدائي. أما الدحية فهي إيقاعات حركية، وأما الحداء فهو قصيد يؤدى على نحو خاص ومن أمثلة الحداء هذه المقطوعات:

١ ــ من شطرين:

يا ولد دن لي الذلول — يشداك الريم لنه فز
ويشد عليها شداد زين — ريش النعام عليها جرز

---

(٣١) الشعر عند البدو ص ٩١ ــ ٩٢.

(٣٢) لا أريد ركوب الناقة المذللة للركوب، ولو كان (شدادها) رحلها الذي يجلس فيه الراكب قد زين وجمل بغاية الجمال والراحة. عن كتاب الليدي.

(٣٣) أريد فرساً حمراء، طويلة قوية، سريعة السير والانقضاض على العدو، أورادها (إيرادها) وهو انحدارها مسرعة. عن كتاب الليدي.

(٣٤) رحلة إلى بلاد نجد ص ٦٦.

واجلس عليها يا النشمي عليها الجوخ وخيار القز
يا هلا بك يا هلا يا حليفي يا ولد

٢ ـ ومن ثلاثة أشطر:

أول ما نبدي ونقول ذكر محمد الرسول
دايم حنا نتطراه شديت ثمان مع ثنتين
عشرة يدهجن الليل لصار الماشي صميلة
راحت تقول الردح راحت تقول الردح

٣ ـ ومن ثلاثة أشطر:

اللوزي سوى المثايل أو شد من الهجن حايل
حرة ما تداني الزوايل شقحا وابو لما او ضيحاني
هلا هلا بك يا هلا قول وفعل يا ولد(٣٥)

□ □ □

---

(٣٥) المجتمع البدوي الأردني ص ٢٩٧.

- ٢ -

لمحة عن العادات الحربية والسلمية

ذكرني واقع الجزيرة العربية قبيل عهد الملك عبدالعزيز رحمه الله بقراءات لي قديمة جداً في أحد كتب الدكتور أحمد أمين رحمه الله، حيث لاحظ أن شعور البدوي في جاهليته بأمته العربية لا يوجد في الشعر الجاهلي ولو بشكل خافت، وإنما هناك فخر الشاعر بنفسه وببني عمه الأدنين وبعموم قبيلته وبزعماء قومه.

وهكذا الحال في الشعر العامي البدوي تماماً تماماً بدون أدنى فارق.

لقد شهدت هذه الجزيرة معارك دامية طاحنة بين أحلاف من القبائل كما شهدت يومياً عدداً من الغارات والثارات.

وهذا الظرف العابس هيأ لأهل الجزيرة استعذاب المكاره حتى صار الصبر على لوعات اليتم والثكل من سجية النساء والصغار فضلاً عن الكبار.

وكل من تغنى بنجد وترابها في عصور العامية إنما ينطق بلسان المتنبي حيث يقول:

أحبك يا شمس البلاد وبدرها	وإن لامني فيك السها والفراقد
وذاك لأن الفضل عندك باهر	وليس لأن العيش عندك بارد

وعن هذا الظرف العابس ولدت كفاءات حربية نادرة في سياسة الحرب وولد فرسان يعتبر نضالهم واستبسالهم من خوارق العادات لا سيما في عرف أبناء الجيل منذ أصبح الظل في بلادنا بارداً.

وكان وازع الإسلام ضعيفاً جداً في واقع هؤلاء منذ استباحوا الدماء بينهم، فإن وجد عندهم شيء من الرحمة فبحكم العرف المتوارث فقط.

ونثر الدماء المعصومة ليس جريمة ولا ذنباً عندهم، بل هو فضيلة يتغنون بها.

والسلب والنهب ـ وأرذل ما في ذلك وأخزاه لصوصية الحيافة ـ مما يتغنى به زعماؤهم وفرسانهم كشليويح العطاوي.

وهذا جهز بن شرار يعتبر النهب مكرمة من الله.

قال:

كم ذود مصلاح نجي به لياهيب   حنا السبب يوم الله امر بمده

فالمال المسروق المقتول صاحبه نعمة يشكرون الله عليها ويستزيدونه منها وليس ذنباً يستغفرون الله منه.

وقال طايل السلات في الحيافة:

حلفت انا لا اضوي ليا هوع الليل   متهذلف ضيف لجزل العطية
واصبحت الا حي لي نياق شماشيل   مهديهن المولى عليك وعليه

وأسباب الحرب التافهة التي تولدت عنها تلك الحروب وتولد عنها الشعور القبلي دون الشعور بأمة واحدة أسباب لئيمة جعلت تدمير الأمة في تدبيرها وأريقت على حصباء الجزيرة دماء لن تحتاج الجزيرة إلى التضحية إلا بالقليل منها لو أريقت في سبيل الله، لأن الفارس العربي الذي يعدل فارساً عربياً من بني قومه إنما يعدل مئات من فرسان الأعلاج.

واستمرار هذه الحال أدى إلى استمرار الجوع والشظف والخوف والجهل والمرض وهوان خطر الأرض حتى جاء الملك عبدالعزيز رحمه الله

فوجه هذه البطولات النادرة الخارقة إلى أمة واحدة ذات هدف واحد فكانت انتصارات الأخوان وهم البادية بعد تهجيرهم من أعاجيب الدنيا ويفضل الله، ثم بفضل هذه البطولات والانتصارات وحد عبدالعزيز جزيرته.

وقبل ظهور عبدالعزيز كان حاكم نجد الأمير محمد بن عبدالله بن رشيد ـ رحمه الله ـ إلا أنه كان شريك الحال في فوضوية أهل الجزيرة. مقياس النصر عنده أن يغير على عنزة فيسلبها أو يغير على عتيبة أربعين غارة لينال منها.

ولو كان عنده شعور الزعيم ببناء دولة لوحد هذه البطولات ولكانت فرصته قبل ظهور الملك عبدالعزيز لتوحيد الجزيرة وإقامة دولة حضارية ولكن شتان بين عقلية الزعيمين.

ولما كانت أسفار هذا الكتاب تتناول تاريخ نجد في عصور العامية من خلال الشعر العامي فقد استهدف الكتاب شخصيات تاريخية يدور حولها الشعر العامي كمحمد بن هندي، وشخصيات أدبية سجلت الحدث التاريخي أو شخصيات أدبية تاريخية معاً كراكان بن حثلين ومحمد بن هادي.. إلخ.

ولقد أحببت أن يسبق الأسفار عن هؤلاء عرض لشرح عادات وقوانين السلم والحرب.

وهذا الشرح يبدأ بعرض أورده موزل في كتابه عن الرولة، وقد ترجمت لي هذه الأوراق بعناية الأخ ناصر العليوي، مع نماذج أوردها منديل في كراساته.

وأنهيه بعرض لعباس العزاوي.

وبين هذين العرضين وخلالها تحقيق وتعميق وإضافة من قلمي.

ذكر موزل من أهم أسباب الحرب بين البادية السرقات الصغيرة والاستيلاء على الحيوانات الضالة.

وهذا سبب ظاهر فقد رأينا في السفر الثاني نشوب الحرب الطاحنة بين ابن رشيد وأهل عنيزة بيبب إبل أخذها أهل عنيزة.

ويذكر موزل أن مشايخ البادية يبذلون المحاولات لمنع الحرب، إلا أن الأفراد يلقحونها.

قال أبوعبدالرحمن: وجدت في كراسات منديل أن سلطان الدوح الحسيني الشمري قتل بسبب كلب لجاره الظفيري قتله ابن سند فذبحت رجال وخيول وإبل بسبب هذا الكلب وسجل ابن سند الحادثة بقصيدة مطلعها:

تذهت حوال اللي سعى بالفعايل

بل ربما ثارت الفتنة بسبب فقد عصا، فقد وجدت في كراسات الشيخ منديل أن ابن فتنان من آل روق من قحطان عندما زار الدويش بن مشل فقد عصاه فقال يهيب بابن مشل في ردها ممن أخذها حتى لا يكون بسببها فتنة:

يا ابن مشل عينت عندك عصا لي ... علمي بها وانا يمين المنارة[1]

غدا بها اللي بالضحى مروع لي ... قد هو يدارقني لها من نهاره

ما اخترت غيرك بالعصا ثايرلي ... يوم انت نمر ومرث للك نمارة

لا نيب بها سامح ولا هي رضا لي ... حلفت ما ارضى دونها باالخسارة

ووجدت في كراسات الشيخ منديل عن بادية الصعيد بمصر أن نصار بن حمود الصعيدي قتل ابن عمه والتجأ عند السوالمة من بني عطية

---

(١) المنارة: نثايل الرماد من وقود القهوة.

وهم أعداء لجماعة نصار فدعوه في الصباح للقهوة وسألوه عن قصته فضمنوا له الجوار والأمان وكان معه إبل من ضمنها جمل أثير عنده مشهور بالجري وكان شديد الخوف عليه من السرقة فلمحه ناس من السلايطة من الشمال فأرسلوا رجلاً اسمه دحيل ليسرقه فلما فقد الجمل صاحبه شكى لجيرانه السوالم فأرسلوا رسولاً إلى السلايطة يطلبون رد الجمل وأرسلوا ثانياً ولكن بدون جدوى فأغار السوالم على السلايطة وغنموهم واستردوا جمل نصار.

فقال نصار بهذه المناسبة:

يـا راكب من عندنـا صيعـريـة	بنت الوضيحا واصل ابوها عريب
من الســوالم من فروع العـطية	ينصى الصعيدي بالجواب المصيب
كسـابة النـاموس في كـل هيـة	تدرى بها الاجناب واللي قريب
انشد نهار الكون يا اخو ضحية	بايمانهم ضـرب الموازر يشيب
حمدان يا ابن مطير ذيب السرية	مخلي ظهور مشعشعات السبيب
قـودان عقب الياس روح عليـه	ودحيـل عنهـا حـدروه الشعيب
عطوات زبن اللي عليهن جخية	يـرقد هني القلب مـا يسـتريب
ريف الضيوف اهل الركاب الونية	قـولة هـلا والزاد فـوقه عصيب
سـلايـطة جتكم سـواط قـويــة	باسباب سرق دحيل راد النصيب
جوكم بدرب السلم باول بديـة	مـا عندكم عـارف وعقله لبيب
على طلوع الشمس جاكم غزية	عـز القصيـر منـزحين الحـريب

قال أبو عبدالرحمن: وقد اندلعت الحرب بين قحطان وعتيبة عدداً من السنين بسبب قعود زبن.

وخفر الجوار من أهم أسباب الحرب، وكذلك أخذ الثأر لقتيل أو استعادة ما أخذ بحيافة أو غارة.

وتكون الغارات والحيافة ابتداء، لأن رزقهم على السلب والنهب، وهم لذلك يعيبون الحرفة ويعيبون من لا يكون رزقه من سنان رمحه.

ومن أسباب الحرب التشاح على المرعى يدل على ذلك قول حاد من شمر:

تنزحوا عن جونا روحوا عن الديرة يمين
نبيه لدق نياقنا شقح تجاذبن الحنين

ولهذا شواهد كثيرة من الشعر العامي وسيأتي لهذا تعميق في الكلام عن شاة الحلف.

ويتعلق بالمراعي قصة وجدتها في كراسات الشيخ منديل عن ساجر الرفدي وجاره الظفيري قال:

كان قيعي السليمي من الظفير قوم الشيخ ابن حلاف ومه نجع من جماعته بإبلهم في حوايا النفود ولا يوجد بهذا المكان حمض وكانوا يتداولون الرأي حول النزول بمكان فيه مرعى وحمض فقال قيعي: إنما نخاف من الشيخ ساجر الرفدي العنزي لأنه ذو غزوات مشهورة وسمعة طارت في الآفاق.

وعبر عن هذا الخوف بقوله:

يا فاطري حني على مرتع لك بين البراك وبين نقرة عشامير
خشم الحقن اذا جذا مدهل لك اليا كنهب النزال رد المظاهير
اليوم ساجر بالحوايا يملك مل الزريقي للبكار الخواوير[٢]
عزي لمن بعض العرب فزعة لك حدب الظهور وباردين المناقير

---

(٢) الزريقي: بعوض كبير في العراق يؤذي الإبل.

فلما تناقلت الركبان هذه الأبيات وسمع بها ساجر أرسل إلى السليمي يأذن له بالنزول في أي مكان في جواره عن قبيلة ساجر.

وبالفعل أغار عليه قوم فلما عرفوا إبله أدوها لأجل جوار ساجر.

ويذكر موزل أن القبيلة إذا بعد مرعاها عن مرعى القبيلة الأخرى كان ذلك سبباً لطول مدة الحرب بينهما.

وذكر موزل أن إعلان (وضح النقا) بين القبيلتين يعني السلم فإذا أغارت إحدى القبيلتين على الأخرى في حالة النقا لم تبرأ من العيب والتعيير.

ولا تجوز الحرب بينهما إلا إذا أعلنت إحداهما رد النقا.

قال أبوعبدالرحمن: لعل البادية تأست بمدلول أول سورة براءة، والبادية أيضاً تسمي رد القنا (رفع البرا).

ومما ورد في رد النقا قول نمر بن عدوان:

جان الكتاب وشفت رد النقا به ما هو على قادي على درب الافلاس

وقول عسكر الغنامي المصعوك يخاطب متعب بن جبرين:

فان كان في بالك هروج كثيرة رد البرا ياتي مع اول مناديب

وقول حمد العوامي في جواده:

ابغي ليا رد البرا من خواني لا هو كما العفري على طرف الذود

ومن عاداتهم في الحرب والسلم أن الجاني إذا كان جاراً أو في حكم الجار أعطي ثلاثة أيام لينجو خلاها، وهذه الأيام تسمى المهربات كما سيأتي في قصة ابن هندي مع ابن رشيد.

قال ابن هدلان:

اربع ليال موجلات عطانا   سلم بداه الفارس المدلاه

فالمهربات تتميز بميزتين:

إحداهما: أنها لتأمين الخائف.

وأخراهما: أنها لا تتجاوز ثلاثة أيام.

والهدنة الزمنية بغير هاتين الميزتين تسمى عطوة[٣].

ومن قصص المهربات ما وجدته في كراسات الشيخ منديل. قال:

أغار عبيد بن هدلان الزعبي زعيم قومه على بني حسين وغزا معه أجنبي ظفيري جعلته أمه وديعة عند ابن هدلان فلما انتهت المعركة فقد الولد بعد غروب الشمس وكانت الهزيمة على عبيد وجماعته.

فقال لا أترك خوينا، فقالوا كيف ترجع لعدوك عقب هذه الإصابات والهزيمة؟ فقال سأخاطر بنفسي فاجتمعوا عليه وحجزوه عن المغامرة إلا أنه سرق نفسه آخر الليل وألفى على أعدائه بني حسين متنكراً كأنه ضيف ووجدهم يحلبون إبلهم فاندس بينهم وشرب من اللبن لأن الشرب والأكل ورد السلام يؤمن المستجير ووجد الغلام مكتفاً على ظهر بعير فلما بدؤوا ينزلون طرد البعير الذي كتف عليه رفيقه ليهرب به إلى بيت أصحابه فلحقه رجل من بني حسين بصر به فتناول ابن هدلان سكيناً وقتل الحسيني ثم لجأ إلى صاحب البيت وكان هذا أمراً صعباً على صاحب البيت لأن اللاجىء إليه عدوه وقاتل ابن عمه وقد أكل من طعامه واستجار به إلا أن العوارف (قضاة البدو) حكموا بقتل ابن هدلان وأنه لا حق له في الجوار، فما كان من ابن مرشد صاحب البيت إلا أن أثر على قومه وطلبهم حق

---

(٣) انظر مجلة لغة العرب ٢/٧٩ وتراث البدو القضائي ص ١٥٣ ـ ١٦١.

المجورة بأن يمنح ثلاثة الأيام المهربات فزوده هو ورفيقه الأسير وهربهما وجعلهما في جواره وكفالته مدة ثلاث الليالي المهربات حتى نجاهم الله، وبهذه المناسبة قال ابن هدلان:

يقول ابن هدلان ولاني بـواحد	يبـاهي بروحـه والـزمـان وطـاه
كم سابق فكيت منها حديدهـا	وكم مشعـل يوضي على سنـاه
حولت منهم ما درى بـي رديفي	حيـل عليهن تـضفـي العبـاة
يا ويش عذري لا لفينا من امه	تـشـق جـيـب بـايـح عـزاه
من طاوع الانذال ما ادب العدا	ولا سـاد رجـل مـا يتم اريـاه
حذفت روحي يوم شفته مكتف	اسيـر حسيـر في يـدين اعـداه
كني نفيـج بينـهم ادركـونـي	الـطيـر يهـوي والسلق تنحـاه[4]
لحقني منهم صـارم كن وحيفه	وحيف فـرخ شـايـف عشـاه
رديت لـه بحـويـرتي وريعـة	بين الثنـادي حـولت بشـواه[5]
زبنت بيت مـا يقـود زبينـه	بيت النـدا من لاذ بـه حمـاه
بيت ابن مرشد يوم جوني قهرهم	قهـرة قـطيـع وارد مـظمـاه
مثل البليهي يوم تـوحي قضيفة	سيفـه شقيـر ورافـع يـمنـاه
صبور على عسر الليالي ومرها	وراسه صعب واقسى من الصفاة
اربـع ليـال مـوجـلات عـطانـا	سلم بـداه الفـارس المـدلاه[6]
ركبنا على جيش من الهجن حايل	لا خـالفت فـزت تقـول قـطاة
اليـا التفت وشفت زول تبيـن	كما الخرب لا شاف العقاب قضاه
من ذلتي طـلابتي يلحقـونـي	يـبـون ثـار طـالبين قـضـاه

(٤) نفيج: أرنب خطرت بين السلق والصقر.

(٥) حويرتي: موس.

(٦) يشير في الشطر الأول إلى أن الممدوح كفله أربع ليال عن اعتداء جماعته.

وللجوار عندهم حرمة مقدسة وإيثار على النفس والأهل.

قال الشيخ منديل في كراساته:

نزح أحد أفراد الصقور من عنزة إلى الظفير جاراً عند ناصر بن نعير بن بيران الظفيري من السعيد وعندما وردوا على ماءتهم المسماة (الجليدة) وجدوها مدفونة وكانت كل قليب تكفي رعية واحدة، والرعية ما بين أربعين ناقة إلى ستين فتنضب ثم بعد ذلك بيوم تقريباً تجم.

وكان لناصر بن نعير إبل غير إبل جاره الصقري ولا تكفي القليب إلا إبل أحدهما، فركب ابن نعير فرسه مستقبلاً إبله كي يردها عن الماء لترد إبل جاره، فاستقبله جاره الصقري على حصانه يريد إيراد إبل الظفيري ولكن الظفيري أصر بأنه لا بد أن ترد إبل الصقري لأنها ظمآنة فوردت إبل الصقري وقال الظفيري مفتخراً:

الاجنبي لا بدل الدار بديار	ينحر شخانيب العزا والبيان
عاداتنا رد الظوامي عن الجار	لا كربوا لمحوصهن والسواني
عيفان يبغي مسعر مثل ما صار	الصبح سفار وبالعصر تاني[7]
قصيرنا كنه على راس سنجار	عن الخفا يمشي بدرب البيان

أما الصقري فقد حضر جماعة من قومه لإحضاره إلى بلده بعد أن أنهوا القضية التي كانت سبباً في جلائه عن بلده، وكانوا قد سمعوا أن الظفيري لم يورد إبل جاره الصقري وذلك عكس ما حصل فلما أشرفوا على صحة الخبر قال الصقري يمدح ابن حلاف شيخ الظفير ويعتذر له عن الإشاعة الباطلة:

---

(٧) مسعر: الطعام المكيل. والشطر الأخير كناية عن قرب بلاد الظفير من سوق التجارة.

يا نمر بن حلاف وانت الموری
يا مميز القالات صبـي وشايب

كـلام عـود عن عيـالـه تبـرى
ماله بقـالات على غير صـايب

وازرى يغـطي واحد قـد تعـرا
والا انت تكرم يا عزيز القرايب

حنا كما رس القلص مـا يجرا
ضحضاح ما يسقي ثلاث الركايب

وانتـه كمـا هـداج عـد مجـرا
يزمي اليا كثرت عليه الحرايب

وقال الشيخ منديل في كراساته عن قضية مماثلة:

إذا احتاج بعضهم الورد على موارد الآخرين حسب المرعى فإن أصحاب المورد وإن كانوا أعداء لهم من قبل يرحبون بهم ويقدمونهم على أنفسهم وماشيتهم لأنهم ربما احتاجوا إلى موارد عدوهم.

وهذا سمير بن فرحان سيحاني من الروقة حداهم الوقت على ديار مطير ونزل على صالح بن هدباء من الهدابين قوم الشيخ ابن سفيان على الماء المعروف بالدجاني وهو قليل الماء فلما سمع صالح من بعض قومه أنهم سيشاركون العتيبـي في الماء ولحرصه على جاره تقدم بسلاحه للبير يرصدها بسلاحه عن قومه وحين رآه سمير شك أنه يرصدها عنه حيث أنه لم يكن من العادة رصد البئر فقال بنفس الوقت هذه الأبيات:

لقيت جاري حارس جمة البير
لا وا هلاكي كان جاري حداني

نجملوا بـي يا الوجيه المسافير
حنا حدانا الوقت من ها الزمان

لا بد ما نقفي ونذكرك بـالخير
وكل ذكر ما شاف سـر وعلان

تـرعى لقطعـان تقـز المقـاهيـر
تـرعى مشاهيهـا بليا عـواني[8]

من النجج لا بد نشمخ على النير
على النـظا ومكاظمـات العنـان

---

(٨) تقز: الأصل تقزي.. المقاهير: صغار الإبل.

فسمعه صالح وأجابه بقوله:

يا سمير ماني حارس جمة البير ذي مقعدي يا سمير من ها الزمان
ابشـر بـدراج وزين النـواعيـر أنا انفهق وانت تصير بمكـاني
ثم انتهج ولها على الله تعـابير لا تشتحن يا سمير فوق الدجاني
عاداتنا نسقي ركاب الخطاطيـر لا ترك الماجوب خطو الهداني
ترى الخوي والجار نعطيه تقدير يقـدم على عربـاننـا مـا يهـان
ولا بد من يوم افتراق المظاهير متفـرقين بـين قـاصـي وداني
ما همني يا سمير زين الغنادير مـا ولعنـي جاليـات الـثمـان
انـا هـواي مـرافق للمنـاعيـر وكسب الجمالة مع طوال الايمان
وعاداتنا يا سمير نطح الطوابيـر من فوق سرد مكاظمات العنان
انشد وتخبرك العواريف بمطيـر في اللي مضى واليوم شوف العيان

ومن عاداتهم دفن موارد الماء، وقد قرأت في كراسات الشيخ منديل هذه الأبيات لشاعر من الدواسر يصف عدا بالرملة:

اوي والله شـربـة من قـراح من عقلة دمن الوضيحي غثاها
المنبتـر عنهـا شمـال مـراح والمنبطح عقبة رديف وراهـا[٩]

ووجدت في كراسات الشيخ منديل هذه الأبيات فيها أوصاف لبئر بالربع الخالي لم يعثر عليها حتى الآن وذلك أن جماعة الشاعر عبد ابن جامع شيخ العوازم القديم قبل نزوحهم من نجد لما نزحوا عن البئر دفنوها فذكر في أوصافه علامات للاهتداء بها.

قال عبد ابن جامع:

جنـوبـي ضريبين وقبلي غـافـل والعصر من خطما عليها ظلال

(٩) عقبة رديف: بعد المسافة بمقدار الوقت الذي يركبه الرديف.

الى روى منها المروي صميله	صدر على وادي الحجول ومال
في جاضع البطحا وقبليها الصفا	ياوي مشروب قراح زلال
تر جمها يروي ثمانين اباعر	وغرافها يروي البداة كمال
وانا لوني ناجع ثم راجع	لاحط على جال القليب خيال
اخفيتها يا عم ما اغرك بها	خوفي رجال تذكره لرجال

ومما تتداخل فيه مسألة الموارد والجوار هذه الأحداث النفيسة نقلتها من كراسات الشيخ منديل. قال:

في الأمثال العامية الدارجة قولهم: جيش توخذ تحت الجلاعيد ما بها بركة.

حدثنا عن قصة هذا المثل محيلان بن جلعود، ففي الاتجاه إلى العراق طريق اسمه الجلعودية أول من اختطه الجلاعيد وسبب ذلك أن الشيخ العصلب من الظفير ــ وكان أهله على سيف البحر، أو على شاطىء النهر ــ أخذ إبل الجلاعيد وفي رجوعه إلى بلده دفن موارد الماء بين بلاده ونجد في شدة القيظ حتى لا يغيروا عليه من نجد وترك الإبل بدون حماية وإنما معها رعاتها فقط.

أما برجس بن جلعود فاحتال بأن جند غزوا يصحبه عدد من الإبل المحملات بالماء وجعل السقاة شركاء في الغنيمة فكانوا يسقون الجيش ثم يعودون بقربهم مع مصلط بن جلعود فيملؤونها ماء ويعودون إلى الغزو في مكان اتفقوا عليه فأغاروا على الظفير وغنموهم وعادوا وبعودتهم وجدوا الماء قد وصل إليهم فشربوا وأسقوا إبلهم وعادوا إلى نجد مع طريق اختطوه عرف فيما بعد بالجلعودية على اسمهم.

وكان مع الجلاعيد في هذه الغزوة أو غيرها شمري سقطت ذلوله في بئر وليس عندهم عرب قريبون منهم وهم خائفون يرغبون في السرعة

وليس معهم حبال فقالوا لا يمكن أن نترك ذلول خوينا الشمري فأخذوا أرسان الإبل وحبال الأشدة ووصلوا بعضها ببعض واحتالوا حتى أخرجوا الذلول وكان اسمها الريشاء.

ومن تلك اللحظة كانت الريشاء نخوة الجلاعيد.

ومثل هذا الجندة من شمر أغار عليهم قوم في الليل مفاجأة فهربوا بإبلهم رغم شجاعتهم وحينما نجوا تذكروا حمير جارتهم فصاحوا: الحمير الحمير فرجعوا إلى العدو وهزموه رغم كثرته فصارت الحمير نخوتهم من تلك اللحظة.

ومثل ذلك أن آل محيا من شيوخ الروقة انهزموا هاربين بماشيتهم عن العدو وكان من ضمن إبلهم ناقة حرداء بطيئة السير لضلع فيها فبقوا عندهم يتصايحون الحرداء الحرداء فصاولوا عدوهم حتى انتصروا عليه فأصبحت الحرداء نخوة لهم.

ومثل ذلك أن جوزاء زوجة أحد الدوشان شيخ مطير بكت في المعركة لأنها سمعت كل امرأة تعتزي بأخيها وليس لها أخ وقد مات جميع أهلها.

فقال الدوشان كلنا أخوانك فصار كل واحد منهم يعتزي بأخي جوزاء.

فأصبحت جوزاء نخوتهم من تلك اللحظة.

ومن قصص الجوار هذه القصة التي ذكرها الشيخ منديل قال:

إن حمد بن وازع من الجبلان من مطير جاور الصويط شيوخ الظفير مدة ثم عاد لجماعته وبعد مدة أرادوا الغزو على الظفير في وقت الفوضى وكان عنده ذلول مشهورة طلبها ابن عمه يغزو عليها فاشترط عليه أن

لا تغير على الظفير حسب جيرتهم القديمة، فادعى ابن عمه أنه يريد غير السويط، فأغار على السويط وأخذت ذلوله وكان لها قيمة ومشهورة بالجري إلا أن حمداً ركب إلى السويط يطلب ذلوله مع علمه أن الذلول المغيرة لا تعاد فتوسل إليهم بهذه القصيدة فأدوها.

قال حمد:

يا راكب من فوق فج العضود	قطم الخفوف ومبعدات المصابيح
ما كعمّوا مرباعهن بالنفود	يرعن بالصلب الحمر والصحاصيح
ثلاثة اشهر ما اوجسن بالبدود	يتلن اخو هيلا وهلهن مصاليح
وان روحن يشدن بيض الخدود	اليازان مرماهن وصكتهن الريح
حثوا عليهن مع رقاق الحيود	حثوا عليهن بالسرى والمصابيح
تلفون بيت للقبايل عمود	ابو غنيم اللي عليه التماديح
جعيلان بن نايف عريب الجدود	كل المشاور غير شوره مدابيح
اشقر خفيف الريش ما هو حرود	من ماكر تظهر تبوعه ذوابيح
لازم تجون حمود حرز الشرود	فكاك بالضيقات شقح ملاويح
وابكرتي من بينكم يا الجنود	راحت فوت ما جا عليها سواميح
وابكرتي وان وردوا للعدود	تشرب صراة العد ما تنقر الريح
من يوم نوخت امها للقعود	واليوم عوصا تسبق الفطر الفيح
قصيركم من يوم بنيت عمودي	معكم ولد واليوم شيبي ملاويح
عنزتها حميد طويل الحيود	والرس ما يسقي الظوامي إلى ميح
من طاع هرج المنسدح والحسود	يموت ما يقوى على هبة الريح

وذكر الشيخ منديل من قضايا الجوار أن عماش الدويش أخذ ذودا لمجاهد بن كمي من العونة من الرشايدة وكانوا حلفاء لأحد الدوشان

فطلبوا من حليفهم الدويش أن يؤدي الإبل التي أخذها ابن عمه عماش إلا أن الدويش أبـى أن يؤدي من ابن عمه عماش وعماش نفسه لم يرض بإثارة الفتنة بين أبناء عمه فعرض على الرشايدة أن يدفع لهم من ماله إبلا بمقدار ما أخذ منهم فأبوا وتمسكوا بإبلهم بأعيانها ورحلوا مغاضبين ونزلوا عند آل سفران من العجمان أعداء مطير فغزوا معهم على الدويش الذي أخذ الإبل وأبـى تأديتها وأخذوا ذوده المعروفة بالمغاتير وذبحوا الحصان تحت عماش.

وبعد هذا طلب منهم الدويش أن يردوا مغاتيره ويؤدي لهم إبل الرشايدة باستثناء الغادر فهو ساقط عن الجميع.

والمراد بالغادر ما مات أو ذبح من الإبل.

وبهذه المناسبة قال علي الخرينق الرشيدي:

يـا راكبين فـوق ست صفيف	ست على قطع المناهيج دواب
يرعن من دخنة لخشم الصريف	تـطاولن العرق من يم الأزراب
حمر زهن حلاق وسم الشريف	سبحـان واقيهن لا جن هـراب
من عندنا يمسن ديـرة حليفي	ولد الحميدي مورد النذل لاهاب
أخذت لك يا شيخ رزق ضعيف	يدنسك يا شيخ في وسط الأجناب
أمـا رضـي والا لعـله ذلـيـف	ما نسكن الا بين ناهب ونهاب

وذكر الشيخ منديل أن لأحد العبيات من مطير بنت اسمها رقوا ليس له ولد غيرها فلما أحس بدنو أجله أوصى عليها شيخ العبيات رفاعي بن عشوان وجعلها أمانة عنده وأوصاه على إبلها ومن ضمنها ناقة اسمها ذروة.

وفي إحدى الأحداث أغار القوم على العبيات وأخذواإبل رقوا وكان القوم أكثر من العبيات.

فأخذ الشيخ رفاعي يجمع قبيلته ويهيب بهم ويقسم لهم لو كانت إبله هو هي المأخوذة لما رضي إحراجهم ودفعهم إلى الخطر فحصلت معركة قال فيها غنيم بن بطاح هذه الأبيات مشيداً ببندق له اسمها الجرعاء وقد كان هم ببيعها.

قال ابن بطاح:

ما ينزل الفرجة رجال التراببيع	اللي تزين بالمجالس حكاها
تهايقت ذرّوة وهفت مع الريع	ملحا تهايق يم حروة نماها
ولحقوا هل الجدعا بأثرها مفاريع	كل رحم رقوا ويوحي بكاها
حولت بالجرعا وأنا قبل أبا أبيع	ومن ضربها قلبي رسى في غلاها
ذبحت عشر مبعدات المفازيع	عند اللهابة شاهد لي جباها
ماني ولد خمع ردي المناويع	اللي نكس في كيلته ما رماها

وذكر الشيخ ابن فردوس أن المجرم إذا تعذره الناس وألجأته إحدى القبائل فإن مدة الجوار أربعة عشر شهراً[١٠].

وربما مات من خفر جواره جزعا فقد وجدت في كراسات الشيخ منديل أن سعود بن[١١] رشيد أراد أن يخفر السويط بناء على رغبة آل سعدون حيث لم تحصل معركة بينهم وبين السويط والخفر نكال وهو أن يأخذ من إبلهم أطيبها فخف معه زامل السبهان وآل سعدون وأبت عبدة من شمر متابعة ابن رشيد لأن بينها وبين السويط حلفاً.

فدعا ابن رشيد بحمود بن سويط شيخ الظفير فأمسك به وبدأ عمال ابن رشيد ينتقون من الإبل وتركوا إبل الشيخ ابن سويط حتى

(١٠) ديوان ابن فردوس ص ٢٣٩.

(١١) انظر عن خفر السويط مجلة لغة العرب ١/ ١١٣.

وصلوا إلى بني علي من حرب جيران السويط ينتقون منها وكان عقوب بن عفنان من شيوخ السويط جالساً على الشداد في بيته فسمع النساء يقلن: خفروا جيراننا الحروب.

فقال عقوب معتزياً: أنا سويطي ومات جزعاً على شداده لأنه لا يقدر على منع جيرانه فمات كمدا.

وقد قيل بهذه المناسبة عدة قصائد منها قول حمود بن سويط:

عـزاه من عين قليـل هجـوعـه ... يا أبو الدحيلي يا ذرا لايذ الجار

لي لابة عمسات الاريا طبوعـه ... قامت تقطف زرع قلبـي بمنشار

لو تسفهل النفس ساعة سبوعه ... قاموا يعقـدونه مقـابيس الأشرار

من لا صبر بالغيظ ما حب كوعه ... عز الله اني يا فتى الجود صبار

ووجدت في كراسات الشيخ منديل أنه حل عند نويشي بن ناشي ضيف من ذوي بدير من مطير.

ونويشي بن ناشي من بني عمرو من حرب.

فقتل الحربيون ومن ضمنهم خال نويشي المطيري الضيف.

فلما علم نويشي بخفرهم لذمته اختفى ولاذ بمغارة بأحد الجبال وصار يقتنص أبناء قبيلته بالبندق حتى قتل منهم عدداً وقد عجزوا عن الوصول إليه وقد أرعبهم فعله فصوت له شيوخهم بالكفالة والأمان على أن يكف عنهم وقد أصلحوا الأمور بدفع الديات بعد تجميعها من الأفراد.

وبعد مدة كان نويشي وخاله يسيران ومرا بمحل المطيري المقتول فأشار الخال بيده إلى مكان مذبحه وقال: هذا هو الذي سبب المآسي على جماعتنا.

فقال نويشي أخبرني يا خال ماذا قال قبل أن تقتلوه؟

قال: إنما قال أنا خوي نويشي.

فقال نويشي: يا خال يد أشرت بها لا بد أن تطيح عنده وقطع يد خاله فصارت مثلاً للشعراء.

قال الشمري:

لا واهني نويشي اللي قضى الدين   متقبل نصف الشهر من قمرها
عقب أربعة واثنين يسلم من الشين   غير اليمين اللي نويشي كسرها[١٢]

أما نساء المطيري القتيل فقد أكثرن اللوم والإلحاح على نويشي قبل أن يفعل فعله. فقال نويشي بهذه المناسبة:

يا راكب اللي شايبات مقاريه   مثل الظليم إلى ضرب له قرارا
يسرح وممساه البديري حراويه   اللي نزل بين السهل والوعارا
خوينا يا ترف الأقدام نغليه   لو حال من دونه مقابيس نارا
تصبري بالله واللوم خليه   يا مدمج الساقين بيضا غرارا
وش معجلك يا بنت حنا بثاريه   واللي ورا الصبيان دربه عسارا
مطلق عضيدي ما أحسب القلب يصخيه
        عند الخوي كنه هريد الجفارا
خلي ورا المطراق كل نظر فيه   ورمن عليه غدافهن العذارا
ذا فعل ولد القبع من دون عانيه   يسمع به اللي من بعيد الديارا

وقال الشيخ منديل في كراساته: إذا قرب الوافد من الديار ورد عليه أحد ممن في البيوت السلام سواء عرفه أم لم يعرفه أصبح بذلك آمناً حتى لو كان مطلوباً من أهل البيت أنفسهم بثأر.

---

(١٢) قصة نويشي في صحيح الأخبار ١٩٣/٥ والبيت الثاني عنده هكذا:

ذبح ثلاثة ثم لحقهم إثنين   والسادس التالي يمينه بترها

وهكذا من شرب لبنا من الرعية يسلم إلى وقت آخر إن كان عليه دم.

وقد حدثني عازب بن مبارك من بني سعد[١٣] أنه صار بينهم وبين بني الحارث حروب وثارات وقتل في هذه الحروب ابن مقبول عقيد بني الحارث، ولم يكتف بنو سعد بذلك بل أرسلوا قصيدة استفزازية منها هذا البيت:

يا راس ابن مقبول قبلك روس ما راسك اطيب من بني سعد

فزاد غيظ بني الحارث وأقسم مستور بن مقبول أن يقتل عقيد بني سعد وهو ابن محفوظ.

وفي يوم من الأيام كان ابن محفوظ عابر سبيل ورمى به الفأل إلى بيت غريمه مستور وهو لا يعلم بذلك فلما قرب من مناخ الضيافة قال:

يا راعي البيت جاءك ضيف جوده (يعني أعطه الأمان) فأعطاه الأمان وأكرمه وذبح له وتعارفا.

وفي الصباح مشى مستور مع ضيفه ابن محفوظ متحزماً ببندقيته وكان ابن محفوظ يظن أن مستوراً سيغدر به إذا بعدوا في البر.

فلما انتهت حدود بني الحارث وبدأت حدود بني سعد قال مستور:

هذه بلادك اذهب سالماً فهذا ما تقضي به عادات العرب واعلم أنني وراءك مستقبلاً ولن أترك ثار أبـي.

ومن نوادر الجوار ما قرأته في كراسات الشيخ منديل قال:

---

(١٣) ينسبون إلى عتيبة كما قال شاعرهم:

يـا سيـدي حنـا رجـال عتيبـة والنـاس يسمـونـا بني سـعـد

روي لي الشيخ بدر بن شفلوت من شيوخ قحطان أن نهار بن شري وجماعته المساردة من قحطان ساروا إلى وادي الدواسر لاجتلاب الطعام والمسافرون لهذا الغرض يسمون مديداً ومعهم امرأة لها ولد صغير من أقارب الشيخ زيد بن شفلوت فمروا على راعي إبل للدواسر فحلب لهم لأجل الصبـي.

ولما عاد القحطانيون وجدوا إبل الدواسر في الفلاة فأخذوها وأخذوا الراعي معهم حتى أبعدوا به عن أرض قومه ثم تركوه يعود فعاد وأنذر الدواسر إلا أن الإبل فأتتهم وليس بإمكانهم إدراكها لطول الوقت.

وبعد تمام الحول ذهب الدواسر وسألوا عن القحطانيين الذين مدوا في العام السابق فعلموا بأهل الصبـي الذي حلب له راعي إبل الدواسر فوجدوه من أقارب الشيخ ابن شفلوت فنزلوا على ابن شفلوت فطلب ابن شفلوت من جماعته أداء الإبل وكادت تكون فتنة إلا أنهم أدوا الإبل لما ذكرهم شاعرهم فراج بن ريفة بالعادات المتبعة وقد قال فراج على لسان زيد بن شفلوت:

يـا راكب ثنتين عـوص تبـارى	تلفـح سفـايفهـا وفيهـا خنـانيق
تنصّ ابن سودة زين راعي الثبارا	ما عندنا له لا ذموم ولا ليق[١٤]
الذم في عرك الحقوق الجهارا	حل النشب ما بين طماع ونفيق
عنـد آل شري مـودبين المهارا	اللي يروون الغلب في الملاحيق
تر ذود أبو فـالح عليهم غيـارا	اللي لهـا بوجيـه ربعي مـواثيق
عــار على شيبـاننــا والصغـارا	ولوم على اللي يلبسون العواليق
والله لو راحوا لهضب الشـرارا	والا نباله في قفـار دواريق[١٥]

---

(١٤) ليق: تزلف ونفاق.

(١٥) دواريق: ضلوع نائفة.

حلفت أنا لا قلط عليهم جهارا   وفعولنا تعرف إلى نشف الريق
حنا كماسم على الكبد جارا   يفضي العظام ويفضح الكبد لا ذيق

وقال الشيخ منديل: خرج متعب بن عبدالله بن رشيد من المدينة وحل ضيفاً عند الذويبي شيخ بني عمرو من حرب فصادف طلائع أخيه طلال في إغارته على الذويبي فحصل بينهم وبين متعب نزاع لأن الذويبي أكرمه فلا يجوز لطلال أن يغزوه فأرغم طلالاً على العودة فقال ابن هديرس راع العوشزية بالجبل عن هذه المناسبة:

توافقوا مثل الفحول الشوايل   هذا يبي يدلي وهذاك ينهاه
قال أبو بندر يوم عمس الدلايل   يوم ان كل مشورب عمست ارياه
أنا وشمر فوق قب الأصايل   حريبنا لو هو بعيد نصيناه
قال أخو رثعة لا زمى كل عايل   معزباتي ما تكشف مغطاه
الأمر لك صدق صحيح صمايل   وللعرض وجه وكيف وجهي تمثناه
أنتم وأنا من صلب ماضي الفعايل   ماريت في رأسك فأنا مثلك أراه

وعادة الحاضرة من القرى والأرياف إذا أرادوا السفر أن يأخذوا رفقاً من البادية يحميهم من قبيلة ويجيرهم من غير قبيلته إن كانت له منعة.

وما تدفعه له الحاضرة من أجر يسمى إخاوة.

قال محمد العبدالله القاضي مفتخراً بعنيزة:

دار الندى دار السعد والشكالة   ما ساقت الخاوة للأول ولا التال

ومن مصطلحاتهم (المنع). قال الكمالي:

والمنع ثلاثة أنواع:

النوع الأول: وهو أن يكتفي بتجريدهم من سلاحهم وإطلاقهم.

النوع الثاني: أن يجردوا من سلاحهم ورووا حلهم ومتاعهم.

النوع الثالث: أن يستسلموا للعدو بدون قيد أو شرط وتسمى هذه في عرفهم الممانعة على الحسنى والساية أي أن لخصمهم مطلق الحرية فإن شاء عفا عنهم وأطلقهم وأحسن إليهم وإن شاء قتلهم[١٦].

وهذه الأنواع من المنع يفرضها الأقوى، ويقبلها الأضعف حسب استعداده.

فهذا الشامي من حرب لم يكن من عادته قبول الاستسلام بالمنع إلا أن ذخيرته من الرصاص نفدت فقبل المنع، ولم يعلم أعداؤه أن رصاصه قد نفد فلو علموا ما منعوه.

وبهذه المناسبة قال:

بندقي مالك على الشامي ملامة	بس أنا وإياك بوجيه الدبايل
بندقي ما دام ما فرغ حزامه	ذبحها بالكون عزمات الأصايل
اعذريني يوم بعتك بالسلامة	يوم ولد اللاش بعيونه يخايل

وقال مريبد العدواني:

وما احلا الى ان الجيش عدي هزيمه	وقرط المنيع الى وصل ساقة له

فقرط المنيع أسره بعد الرمي به من ظهر جواده.

ومن أحداث المنع ما حدثني به الشيخ منديل.

قال:

أغار الشيخ عقاب بن خريص من شيوخ بني عمرو من حرب على إبل ناصر بن حديد من العضيان من الروقة ولم يكن عند الإبل غيره وكان

(١٦) الشعر عند البدو ص ٣١٩.

راجلاً فلما خطفت الخيل الإبل منه لحقها حتى سبقها واعترض للخيل والإبل معاً ومعه بندقيته فأوقف الخيل وسد الطريق أمام القوم وصار يراميهم وأصاب الشيخ عقاباً بجرح خطير وذبح فرس آخر، فلما رأى المغيرون ذلك وخافوا من أن يلحقهم الفزع من العضيان ولوا منهزمين وعندما لحق الفزع من العضيان وعرفوا عقاباً أرادوا قتله وقالوا هذا عدو (قوماني) ويجب أن نرتاح منه فمنعهم ناصر من ذلك لأنه من عادة العرب إكرام الرجل الشجاع وإن كان عدواً. وأخذ ناصر عقاباً إلى بيته وصار يعالجه وينفق عليه من طيب الطعام فلما برىء أعطاه ذلولاً بذخيرتها فلما وصل عقاب إلى أهله أرسل ثلاثين ناقة إلى ناصر ثم صار كل سنة يرسل له إما ذلولاً للركوب وإما ذلولاً للحلب (خلفة) واستمرت صلة البر بينهما.

ووجدت في كراسات الشيخ منديل أنه في بعض المعارك هزمت مطير وذبحت فرس غنام بن بطاح من العبيات فصار أخوه غنيم ينخي بعض جماعته ويهيب بهم لإنقاذه إلا أن كل فارس مشغول بنفسه والعدو يقتل كل من أمسك به فخف غنيم لإنقاذ أخيه وجالد عنه مع أنه سمع العدو يعرض المنع وهو أن يستسلم المحارب بشرط النصف أو البندق أو الذلول أو الرقبة ويستسلم المحارب إذا صوت رجل باسمه وقال فلان بوجهي على ذلك الشرط.

ولما أنقذ غنيم أخاه غناماً قال هذه القصيدة يخاطب طامي القريفة:

يا راكب اللي ما اتلفوه المداوير	راعيه ما يلحق شليل العباة
ملفاك اخو طفلة زبون المقاصير	على طريق تشبع الحايمات
ليته حضر يوم جرى به مخاسير	جاكم خبرنا والعلوم الثبات
نخيت ناهس والربوع المناعير	وتصرمن ركابهم مقفيات
ربع باثرهم يشبع الذيب والطير	لا واحسايف عشقهم للبنات

رديتها ما عاد هي بالتفاكير الى غدا غنام تقمح حياتي
نادى منادي المنع له قلت يا خير يقول ركابك بالنصف سالمات
طقيت سابق ناصر كنه الطير طاحت ولراعيها سوات الوقاة
اخوي كافيني ليال المعاسير ماكني الا وحدة من خواتي
لا مات هموا بي طوال المناقير يلقون فيه مثل فتق العباة
اخوي انا وياه بالشر والخير اما الحياة اليوم والا الممات

ومن أحداث معاملة الأسير ما وجدته في كراسات الشيخ منديل.

قال: أغار سيف المطلق الخنفري بجماعته من قحطان على بني الحارث ورئيسهم سيف بن عاتق أمير الجياش فكان النصر لبني الحارث وأخذوا القحطانيين بالمنع وهو استلام المغلوب وتعهد الغالب بالأمان على الرقاب.

فأكرم بنو الحارث الأسرى وأعادوهم مزودين بالركاب ومعهم مرافق يوصلهم إلى جماعتهم، ومثل هذه المعاملة تكون سلفاً مردوداً.

وكان بنو الحارث يكثرون للقحطانيين من القهوة لأنهم معروفون بكثرة شربها، وحملوا مرافق الأسرى كيس قهوة هدية لسيف بن مطلق.

وفي ذلك يقول شاعر بني الحارث:

ياشعيل سلم لي على صاحبي سيف نطاح وجه القوم قدم المغيرة
اللي ركابه كل يوم مواجيف ما تستريح وكل صبح بديرة
راعي دلال فوق ناره مهاديف يفرح بها الضرمان لا ابطى مسيره
وانا اشهد انه يا فتى يكرم الضيف وجاره على ما يسر الله خشيره
يا شعيل وصل سيف من عندنا كيف برية يا شعيل منا بريرة
جونا على قب المهار المزاغيف وصارت علينا بالزرايب كسيرة

ومن عاداتهم العلقة وهو أن يأتي إنسان إلى أمير قبيلة أو أحد من أفرادها فينزل بيته مستجيراً ويعلن هذا الضيف حق الجوار بشاة يقودها ويدخلها البيت أو يذبحها عند الباب، ولا يسمى الجوار علقة إلا بهذا.

ووجدت في كراسات الشيخ منديل عن أحداث العلقة أنه استجار أحد البقوم بسعيد بن مقنزع من الحمارين من العصمة بوسيلة تسمى العلقة.

وبعد مدة سافر البقمي فلقيه جماعة من العضيان وأخذوا ما معه فعاد إلى جاره سعيد وأثار نخوته بهذه الأبيات:

يا فاطري حني ونادي الحمارين	وابدي لهم في كل راس يبين
ان سندوا وان جوك من فرع منحين	وان واردوك الما مع الواردين
خصي بها صايل نحاز المعادين	لا درهمن مسرعات القرين
ثم انخي الشفعان هم له موالين	هم ولحقاهم كانهم جازعين
وانخي لشجعان على الحق قاسين	ابا العلا وربوعه الطيبين
خصي جزا حامي عقاب المتلين	ليا رفعوا لقطيها بالمديني[١٧]
يا اولاد عصمة يا الرماة المتاقين	ياما ايتمن ايمانكم من جنين
يا عنك ما انتم عن مثاره بمزرين	والا ترانا نعذر العاجزين

فسعى شيخ العصمة جزا أبا العلاء في رد ما أخذ من البقمي بتدبير حكيم دون حصول أي فتنة.

ومن المصطلحات التي ذكرها موزل (قران العرس) وهو إعفاء العريس من الحرب إذا لم يمض على زواجه مدة عام.

---

(١٧) المديني: المرح.

وذكر موزل أنهم يدربون خيولهم في الطريق إلى الغارة في الصباح ويسلون أنفسهم بأغاني الحداء.

وذكر موزل أن بعض الزوجات الملزمات بأزواجهن المتبرمات منهم يتمنين الغارات لعل الزوج يموت في الغارة.

قال أبو عبدالرحمن: هذا توقع لا يبعد عن الصواب بدليل أن استبسال الفرسان في الحرب وسيلة يتقربون بها إلى الجنس العطوف كما سيأتي بيانه.

قالت شاعرة من بني عبدالله من مطير تحرض الشيخ عجير بن مهرس شيخ الشدادين على قتل ابن عمها الذي تحجرها:

يا من يوصل لي كلامي لملفاه	لعجير بن مهرس بعيد المهاوي
يا عجير يوم انتم معاطيب ورماة	ارموه أرب الله يقدي المهاوي
تكفا يا (ابن مهرس) زبون المجناة	انخاك تفزع يا بعيد المهاوي
اجهم بعيد من العرب نقداه	عليه من شغل النصارى بلاوي
واليا وصلتوا للقليب المسماة	قلط سبورك لا تعدى الحراوي
تراه بين للموصف حلاياه	يطب غبات الخطر ما يراوي
واليا عطيت الوصف كنك تحلاه	
واحفظ ليامنك عرفت اسم ضاوي[18]	

ومن عاداتهم في الحرب أن القبيلة تنتخب أجمل الفتيات من النساء من نساء الرؤساء عادة ويختار لها جمل أوضح عليه هودج مزين والفرسان عند الهودج والفتاة حاسرة تشجع الفرسان وتمنيهم المودة إن كانوا منتصرين وتنتحب وتندب وتثير النخوة إن خافت عليهم الهزيمة.

---

(١٨) مجلة العرب س ٦ ص ٧٨٨.

قال شليويح العطاوي:

نطعن لعين اللي تهل دموعها   تبكي وفي تالي البكا نخاوي
تقول يا الظفران من عاداتكم   هوشوا عسى يبقى لنا شلاوي

وقال التويجر من الروقة في وقعة عرجا:

ليت نايف حاضر دقلة جملنا   كان يخلي نجد بالقلب النظيف

ولقد ذكر الشيخ ابن بليهد رحمه الله أن في وقعة عرجاء ثلاثة عشر هودجاً كل هودج يتبعه أكثر من ألف ما بين راكب وراجل.

وهذه عادة باقية على مدار التاريخ العربي منذ الجاهلية فالشيخ ابن بليهد عندما ذكر بيتي شليويح الآنفي الذكر قرن بهما قول عمرو بن كلثوم:

وما منع الظعائن مثل ضرب   ترى منه السواعد كالقلينا
على آثارنا بيض حسان   نحاذر أن تقسم أو تهونا[19]

ويذكر فهد المارك أن فرسان العجمان جاؤوا بفتياتهم في وقعة الطرفية للتشجيع على القتال، وكذلك فعل فرسان شمر في وقعة جراب، وفي هذه المعركة ذكر قصة بنت سراي بن زويمل من فرسان ورؤساء سنجارة وأن العدو لما هجم على الجناح الذي فيه هودجها ظلت تحرض قومها وتقول (حب ذرة يا الصبيان) أي أن رصاص العدو كحب الذرة لا أثر له[20].

وقد مر ذكر لحداء عمشاء بنت ناصر الشريف على الهودج وذكر الأمير السديري رحمه الله أن ذلك في معركة بين الأشراف والبقوم وأن قبيلة

---

(١٩) صحيح الأخبار ٢/٢٠٥.

(٢٠) من شيم العرب ٣/١١٦ ـ ١١٨.

سبيع فزعت للبقوم عند خبراء الشريف بقرب عريق سبيع وأن عمشاء جرحت جرحاً بسيطاً وأخذت مسبية ثم أعيدت لأهلها دون أن تمس كرامتها كما هي عادة العرب.

وتسمى الهوادج أيضاً غبطاناً.

قال شايع الأمسح:

وردنا بساقتهم على دار ملكهم   وغبطانهم قفت تشادي نسورها

وتسمى الجحاليف.

قال شاعر من العبيات:

شدوا وشالن البني الجحاليف   من فوق كل مشرهف ما يباع

وقال جزا أبا العلا عن العطفة:

وعيد والله ما بقي وعيد   الجمع يزبر والجمل سقناه

وقال مخلد القثامي:

نبيه للراس المصعفق الى مال   لا شيلت العطفة نهار الزحام

وقال حمود بن رشيد:

جينا على وضح النقا عقب الاذان   ذبحت قواد الجمل بالمريرة

ويضعون في أنف الناقة قطعة ذهب للزينة تسمى الرقيعي على التشبيه بطائر الرقيعي.

قال ابن محاسن:

من فوق حمرا فوق خشمها   مثل الرقيعي وكنه ضاري عادي

وهذا عام لجمل الهودج وغيره.

وربما قلدوا الجمل ريش نعام للزينة.

قــال الحــادي:

يــالا بــتــي حــطوا غــلب والــريش مــردوم عــليــه

وقــال آخــر:

يــا هيــه يــا راعي الـقعـود ومــقــلد ريش الــنــعــام

والبيت الأول أيضاً عن تجميل الرمح بريش النعام لأن من عاداتهم أن يضعوا في أعالي الرماح حلقاً من الحديد الثقيل المصمت يغرسون فيه السنان، ويسمون ذلك زرجة.

قال حمد الشرابـي:

اركض بمصقـول برمـح وزرجة وشري على اللي يلبسون الدروع

ويضعون في الزرجة ريش نعام يتدلى أسفل الزينة.

وغلب الرمح ما تحت الزرجة.

قال سليمان اليمني من السلقا من عنزة يمدح دهام بن قعيشيش شيخ الفدعان:

مـواجد لا دللوا كـل مـرهـاش يروون لدنـات القنا مـع غلبها

وقال مريبد العدواني:

اهل الرماح يساعـدون التفافيق ومقلدين رماحهم ريش هيق[٢١]

ومن أسماء السيوف عندهم: دابان، وعباس، وحنوف.

---

(٢١) هيق: ذكر النعام.

قال حسين بن عليق الدويش:

حنوف ما يعبا يقع لاول القوم والا لعيلات الرفاقة الى جـات

وقال نمر بن عدوان عن سيفه:

اللي نهـار الكون يكبـر جنابـه زين الجهامة حاضر الباس عباس

وتسمية السيف والجواد والناقة قد تكون عرفاً عاماً، وقد تكون تسمية خاصة كتسمية صنيتان الضيط جواده بعمهوج.

قال برغش بن طوالة:

من ضرب اهل عمهوج راحت دبالة مير اقمحن يا لابسات السباهين

وذكر موزل من الاصطلاحات (المناخ) للحرب الكبيرة، و (الجيش) لغارة عشرين رجلاً فأكثر على الجمال، و (الغزوة) لركب مكون من خيل وجيش وذكر أن قائد الغزوة يسمى عقيداً وليس ضرورياً أن يكون هو شيخ القبيلة.

وذكر أنهم يفضلون الإغارة ليلاً لا سيما ليلة (السرا) وهي ليلة استسرار القمر.

كما أن أنسب الفصول للحرب فصل الشتاء للأمن من العطش ولوجود الكلاء، ولهذا فهذا الفصل مصدر خوف كبير.

وذكر من المصطلحات (الزمال) وهو صاحب جمل ينقـل مؤونة صاحب الفرس وأكثر ما يكون الزمال إما عبداً وإما قريباً.

قال أبو عبدالرحمن: مما ورد في هذا قول مخلد القثامي يمدح هذال بن فهيد:

وشيخ يتل الخيل زينات الاذيال يبـري لها عبـد كبـار الهـوامي

وجنب الخيل يعني جري الفرس بجانب الجمل وقد ربطت به.

وذكر أن الخيول إنما تستعمل في الغارات القصيرة أما الحروب الكبيرة في المسافات البعيدة فيستعمل فيها الإبل.

وذكر أن الخيل تحذى قبل الخروج بها وأنهم يحملون بعض الحذوات احتياطاً.

وذكر صبر الفرس وهو أن يخاط رحمها بخيوط من شعر ذيول الخيل لمنعهن من الإجهاض.

قال أبو عبدالرحمن: شاهد ذلك قول تركي بن حميد في فرسه:

جندرتها من صوف سلك وريمان   وانا لها عن لذة النوم حراس

أي أنه خاطها من شعر حصانين هما سلك وريمان إلا أن ذلك في خياطة جرحها لأنه يعالج فرساً أصيبت في الحرب.

ومن عاداتهم تحييل الفرس أي حجبها عن اللقاح إلى أن يجد حصاناً أصيلاً لتنجب له مهرة أصيلة بإذن الله.

قال حمد الشرابي عن تحييل فرسه:

حيلتها لما لقيت ابو زرجة   وانا احمد اللي جاب بنت الرثوع

وأبو زرجة حصان أصيل.

وقال الحادي:

يا لابتي يا محيلين الخيل   ترى العصب عاده بلاه

ورباط الخيل تسمى جواخير.

قال خلف أبو زويد الشمري:

خيل الصحابة ربطن بالمواخير   وصاعن مدورة العوافي بالاجواز

والأجواز أن ترمح الفرس برجليها معاً.

والفارس يقف جواده بقوله: عمش عمش.

وقال نمر بن عدوان:

لكنهم يـا عقاب طـابـور دولـة   كل معه مريوش من فوق عمش

وكلمة (تعيه تعيه) نداء للغنم والخيل.

قال شاعر من العبيات:

مقسوم والا ما عليهـا تحاسف   لا مـــدوه معهم ولاني متـاعي

ولقيد الجواد في يده قفل يحمل الفارس مفتاحه، وتسمى الحلقة التي يوضع فيها القفل طبلة.

قال صالح بن خدعان العجمي:

تكـافخت بطبـولهـا كـل سحـا   قحص الامهار وكل غوج ندوح

ومن المصطلحات التي ذكرها موزل (شيخ الشداد) وهو قائد الغزوة إذا كان شيخ القبيلة لا دراية له بفن الحرب أو كان مريضاً أو هرماً.

ومما ذكره موزل أن شيخ الشداد يستصحب معه قارىء طوالع أو ساحر أو يستأس برؤيا أو يأكل بلحا.

ثم ذكر من التأويلات أن من رأى في النوم أنه يأكل لحمًا فمعناه أنهم سيغنمون كثيراً من الخيام ذات الأواني والموائد.

وإذا رأى أنه يلبس جوخاً أخضر فمعنى ذلك أن القائد سينتصر في مبارزة خصمه.

وإذا رأى أنه يقف على تل عال فمعنى ذلك أنهم سيهزمون عدوهم هزيمة منكرة.

وإذا رأى عساكر نظامية تهاجم العدو فمعنى ذلك أن مطراً غزيراً سيضطرهم إلى الانتظار بعض الوقت.

وبعكس ذلك إذا رأى ريحاً أو عارياً أو لديغاً أو ساقط الأسنان الثمانية أو ساقطاً في بئر أو مكبلاً بالحديد أو قابضاً على ذهب، أو أعمى أو رأى نفسه يلبس ثوباً أحمر.

ومن المصطلحات التي ذكرها موزل (ناقة الشداد) وهي أحسن الجمال للركوب يأخذه العقيد من الغنيمة.

وناقة المهوى للعقيد أيضاً وهي أي ناقة تسترعي انتباهه.

والعاقر يختارها العقيد من الغنيمة لتنحر عقب الانتصار كالعادة.

والقائد العام ـ إذا كان الغزو من قبائل وفرق ـ يسمى المنيخ المثير [لعلها المنوخ المثور] يعطيه قائد كل فرقة أو قبيلة ناقة تسمى صدرية، كما يأخذ كل جمل أشهب الظهر من جمال الغنيمة ويأخذ أي ناقة تعجبه وتسمى خزيزة.

والقائد هو الذي يقرر قسمة الغنيمة هل تكون بالسوية أم يكون لكل فارس ما غنمه، وفي الحال الثانية فله أن يأخذ من الفارس الجمل الذي يعجبه وللفارس أن يختار بديلاً عنه هذا إذا لم يستثن ثلاثة من الفرسان لا يؤخذ من غنائهم أي جمل بهذه الطريقة.

والناقة التي أخذها القائد من غنيمة الفارس تسمى رضوى.

وذكر أن ما وجد من إبل لم يضع أحد يده عليها فهي للقائد.

كما ذكر أن الخيول لمن أخذها ولا حق لأحد فيها.

وذكر أن الفارس إذا لم يغنم سوى ناقة واحدة يأخذها ويعطي الزمال ستة مجيديات (٥/٤٠ دولاراً أمريكياً).

وإذا غنم حصاناً أعطى الزمال ناقة مما يملك.

وثاني ناقة يغنمها فهي للزمال وتسمى (العايد).

ومن غنم ناقة وسمها وأناخها معقولة.

وإذا ادعى رجلان غنيمة ناقة سميت (غباشة).

وعن لباس الفرسان ذكر المارك كلاماً لا أدري عن صحته فقال:

المجول سوار من فضة لا يضعه في عضده إلا الفارس الذي أبدى شجاعة خارقة في إحدى المعارك وطار صيته كفارس بين صفوف أعدائه وقبيلته[٢٢].

ومن المصطلحات التي ذكر موزل (الصابور) وهم أصحاب الجيش الذين يرافقون الرماة من أهل الخيل.

قال أبو عبدالرحمن: لعل وجه التسمية أن أصحاب الجيش يحتاط بهم الرماة في أهل الخيل لمصابرة العدو أي أن الرماة أنفسهم يصابرون العدو بالرمي محتاطين بأهل الجيش.

وفي أمثالهم (جنوب البل حراب) لأن المعارك عندها عادة.

قال مريبد العدواني:

قامت جنوب البل وسلت حرابه   قالوا جنبها عاشقين الطماميح

والإقدام على الصابور مع وجود الرماة غاية الاستبسال وقد فخر الفرسان بذلك.

قال محمد بن هندي:

عاداتنا نركض على الصابور   والعمر تدبيره على واليه.

---

(٢٢) من شيم العرب ٢/١٤٤ حاشية.

وقال دهام بن قعيشيش شيخ الخرصة من الفدعان:

خـيـل الـسـيـافـا شـرقـت ما ودعـت صـابـورهـا[٢٣]

فهذا البيت دليل على أن الصابور هو الطابور من الفرسان أصحاب الجيش المرافق للخيالة.

ومما قيل في الدفاع عن الصابور هذه الأحدية لأحد العتبان:

نـرعى الوسـامي والبـرا مـردود عينيـك يـا عجـفـا سـنـام
من دونهـا نروي القنـا والعـود ومن طاح قدم نحورهن ما قام

وقال رجا الشمالي الهاجري في فرسه:

ابـي الى ما جن مع الحزم جحاح لاهي على الصابور ترخي شنقها

وقال حمد الشرابـي:

اركض على الصابور لعيون فرجة لاهـاب عشيق البني الـنـدوع

والفرس التي تغنم في الحرب وقتل راكبها تسمى قلاعة.

قال القاضي:

قوم الى ركبوا على حرد الايدي شفت القلايع كالحراذين هراب

ومن عاداتهم ذبح شاة الحلف.

قالت مويضي البرازية:

امـا احتميناهـا بحـد السـلايـل والا عـطينا الشـاة ذولا وذولاك

---

(٢٣) السيافا: جماعة الجرباء.
وهذا البيت والذي قبله من كراسات الأمير السديري رحمه الله.

علق الشيخ ابن خميس بقوله:

وذبح الشاة هو أن القبيلة إذا ضعفت التجأت إلى قبيلة أقوى منها وذبحت معها شاة الحلف وأصبحت في جوارها[٢٤].

وأورد ابن رداس الشطر الأخير هكذا:

(ولا بد نعطي الشاة ذولا وذولاك)

وعلق بقوله: لا بد أن نذبح شاة الحلف مع عدونا دليل خضوعنا وعجزنا.

وقصة شاة الحلف أن الفئة الضعيفة من العشائر تلجأ إلى فئة أقوى منها وتعمل وليمة يسمونها شاة الحلف ويقصد من ذلك مجرد المشاركة في الأكل، وتحصل الحماية من القوي لمن هو أضعف منه بسبب ذلك حتى يتخلى الأضعف برغبته ويحل الحلف[٢٥] إلا أن للأستاذ حمد بن محمد العبيدي رحمه الله رأياً آخر عارض به شرح أستاذنا ابن خميس فقال:

المقصود هو غير ما ذكر، فالشاة عادة تعطى من القبيلة إلى الأخرى عن كل بيت يدخل للرعي في حمى القبيلة الثانية.

والمعروف أنه في حالة وقوع جدب في أرض قبيلة ما يقوم رئيسها أو شيخها في إرسال نجابين إلى القبائل المجاورة يشرح لهم حالتهم ويطلبون منهم اللجوء إلى أراضي جيرانهم وعند ذلك يتشاور رئيس القبيلة مع كبارها ويتفاهمون عن البيوت التي يمكن إدخالها إليهم لرعي مواشيهم في أرضهم، وعند ذلك يفرض على كل بيت شاة كمقابل اللجوء والرعي إلى أن يمن الله عليهم ويذهبون[٢٦].

---

(٢٤) العرب ج ٤ س ١ ص ٣٠٠.

(٢٥) شاعرات من البادية ١/٢٥٦.

(٢٦) مجلة العرب ج ١٢ س ١ ص ١١٥٩.

وقال الشيخ ابن بليهد تعليقاً على هذا البيت:

وأما ذكر الشاة فهذه عادة عند العرب كانوا إذا ضعفت القبيلة وهي في بلاد غير بلاد قومها وعندهم قوم أقوياء ذبحوا شاة ودعوهم عليها وحالفوهم عند ذلك فتكون تلك القبيلة منهم[٢٧].

ومما ورد في شاة الحلف قول الزناتي التويجري من أهل الطرفية:

اما حميتوا داركم سوقوا الشاة   يسوقها اللي خاف من كل عايل

قال الشيخ منديل تعليقاً على ذلك: تساق الشاة كجزية يسوقها الضعيف للقوي حتى يسمح له بالمنزل[٢٨].

ومن أنواع الجوار منح العيافة والعرافة ومعنى ذلك أن المجير وقومه يعافون ماشية المستجير فلا يأخذونها، ويتعرفونها عند الأعداء إن أخذت ليردوها. أخبرني بذلك الشيخ منديل الفهيد.

وأخبرني الشيخ منديل أن من مصطلحاتهم تقسيم المرافق الذي تلزم حمايته إلى قسمين: الخوي المباري ودلي النقعة.

فالأول رفيق السفر والثاني من يدلي معك بالأكل في إناء واحد.

ومن مسائل الجوار (الخوة) وهو أن يترافق اثنان في السفر فإذا أرادا الافتراق وسم كل واحد عصا رفيقه بوسم قبيلته هو ليكون له بذلك أمان عند القبيلة فإذا لم يؤمنوه لزم رفيقه أن يرد له حقه.

وقد كان نصار العازمي رفيقاً لأحد المجالسة من مطير يدعى الهفتا واسمه أحمد أو محمد فوسم المطيري عصا نصار العازمي فواجهه غزو من

---

(٢٧) صحيح الأخبار ٢/١٣٠.

(٢٨) من آدابنا الشعبية ١/٧٢.

مطير عقيدهم فارس العميل الجبلي فأخذ ذلول نصار ولم يصدق بصحة الوسم ظناً منه بأن نصاراً هو الذي وسم العصا.

فقال نصار يخاطب شبيب الهفتا ابن أخي العقيد وعم بالخطاب جميع (واصل) وهم مجموعة قبائل بريه من مطير:

يا راكب من عندنا فوق مذعار — سفايفه مثل اللواليح تـومي
فوقه غـلامٍ نقوة الـربع مختـار — يسري الى من دلبحن النجوم
تلفي على واصل وعلم بالاخبار — واشهر بصوتك في طويل الرجوم
فكاكة المظهور بالموسم الحـار — ومطوعة راس الحصـان العزوم
اولاد واصـل لا تلومون نصـار — الله يـلوم اللي لـحـالي يـلوم
كان الخوي قد فك من لاهب الحار — فـانـا خـوي لـه خـوي لـزوم
محمـد بخوتنـا ولمتنـا الاقـدار — ووخذت ذلولي والتفق والهدوم
يا فاطري ارجيك مع كل مرار — وارجيك لو اني بلذات نـومي
انخى شبيب ان كان سو البلا ثار — لا رددوا وسط المجالس علومي
يفـزع بشلفا سنهـا كـل بيـطار — يوم ان ولد اللاش يفزع بشوم

ثم قال يحثهم بقصيدة ثانية:

يا فاطري عيفي ردي المحاريف — ما كان يرضى بالحقوق الهوافي
حني وعيـد عندهم بـالتـواقيف — اظن لا فيهم من البعد لا في
وصيحي لهم من نجد لا ماقع السيف — وانخي بصوتك لابسات الغداف
وانخي عنان العزم ريف المواجيف — مطلق اليا حلوا مجاله سنافي(٢٩)
اولاد صندل بالمـلاقا مـزاهيف — لا صاح مجلي الثمان الرهاف

(٢٩) مطلق: ابن مهيلب من شيوخ الوساما.

وطامي ولد شباب ريف المواجيف　　لاجت هزال والمزاهب خفاف[٣٠]
ربع القريفة فارقين المواليف　　لاجا نهار فيه ما من عوافي
وانخي رفاعي وان كبا النذل ما شيف　　شبره على كل المناعير وافي[٣١]
مقدم هل الجدعا حرار المشاريف　　من فوق هجن كنهن الطخاف
واولاد مناع كرام على الضيف　　ربع يحطون الشحم بالصحاف
من سر نبعة مروبة شذرة السيف　　ذباحة للحيل هي والهرافي
وانخي متيهة الابكار المشاعيف　　هوامل والفعل منهم يشاف
ونعم لا ركبوا الامهار المزاغيف　　صفر تغذى في حليب الصحاف
واولاد ديحان ربوع مزاهيف　　لاجا طلبهم صامل ما يفافي

ومن نوادر الجوار كما قرأته في كراسات الشيخ منديل عن إبل الشمري التي كانت في جوار كلبه هباس.

قال منديل: نزح محمد بن علي الشمري من جماعة ابن طوالة ونزل عند عنزة عند رفيع الركابي وكان عند الشمري كلب اسمه (هباس) لا يستطيع أحد أن يقربه إلا أنه أنس للعنزي حسب طول مدة الجوار.

ثم عاد الشمري إلى جماعته بعد ثمان سنوات، فصادف أن أغار رفيع الركابي على شمر مع قلة من أصحابه للحيافة وكان ضمن الغنيمة إبل الشمري فلحقهم الكلب هباس وصار يقع على الأرض وينبطح أمام رفيع فعرف أن هذا الكلب كلب المستجير به محمد بن علي فأمر زملاءه بإرجاع الإبل لصاحبها وقال: لا يمكن أن يكون الكلب أحسن جيرة منا، فذهبوا لحيافة آخرين.

---

(٣٠) طامي: القريفة.

(٣١) رفاعي: ابن عشوان شيخ العبيات.

فقال الشمري بهذه المناسبة:

امس الضحى عديت في راس نابـي   كني خلاوي ما تقل حوله اوناس
وذكـر عليه قـرب حلو الجناب   قلبـي يلوعه بين الاضلاع هوجاس
انـا ثمان سنين عنـد الركـابـي   امشي عزيز وسطهم عالي الراس
وبعده رجعت لربعنـا والمرابـي   ورحنا لهم عدوان مع ساير الناس
وغاروا علينا القوم قوم الركابـي   ومن شيمته رجع لنا الذود هباس
اسمه رفيع ومرتفع ما هو غابـي   متـرفع عن الـرذايـل والادنـاس
من لابة ترعى الخطر ما تهاب   افعالهم ما تنحصى مالها قياس

ومن أحداث فنجال الجوار ما وجدته في كراسات الشيخ منديل. قال:

كان فرز الحافي العتيبـي جاراً لناصر بن عاتق أمير الجياشية من بني الحارث.

وذات يوم مد فرز الفنجال لناصر وقال له مازحاً:

يا ناصر هذا فنجال نياقي لو أخذها قومك لزمك أن تردها!

وبعد أن عاد فرز إلى جماعته بفترة قضت المصادفات أن يغير ناصر على ماشية فيها ماشية فرز ويغنمها ويعود إلى بلاده.

فصـ ـرز على أن يعيد الإبل من ناصر لأجل شربة فنجال المجورة ولم يصدق جماعة فرز بجدوى ذلك، لأن قصة الفنجال ممازحة والممازحة حجة ضعيفة في قوانين العرب.

فوفد فرز على ناصر وطالب بإبله لأجل فنجال المجورة، وكان ناصر قد قسم الإبل فأمر بأدائها فأعيد بعد عناء شديد كاد يحصل بها فتنة.

وعاد فرز إلى جماعته بالإبل ورد على تساؤلاتهم بقوله:

يا روق يا اللي للسوالف هجاجي ردوا سلامي يم ذربين الايمان
ردوا سلامي يم ناصر وناجي ذوي سليم وما اخر العود فطحان
ادوا نياقي ما وراها مناجي ادوا علي العرب حلوات الالبان
بعد خذوها بالحزوم الزراج قالوا كثير الناس ما فيه عقلان
جتني ولا فيها جواب عواجي وحياك يا علم من الراس قزحان
اهل بيوت بينة ما تلاجي يفرح بها اللي حده الليل جيعان
مارية الترحيب طلق الحجاج وغير الكلام الزين ومفطح الضان
وان جا نهار فيه غيم وعجاج عاداتهم يثنون من دون الاظعان
وناصر لاهل عوص النجايب سراج ويروي شباة السيف حزات الاكوان

وقال الشيخ منديل: روى لنا فيحان بن دغيم بن هدبا المطيري أن عمه طلال بن هدبا وابن عمه غالب بن طلال بن هدبا صديقان لطلق بن وسيود الروقي من عتيبة.

وفي ذات مرة غزا طلال وابنه غالب وصادفوا إبل صديقهم ابن وسيود ولم يعرفوه إلا أن غالب لم يكتف بالإبل بل طمع في أن يلحق بصاحبها ليغنم بندقه مع أن والده نهاه عن ذلك فلم يمتثل.

أما ابن وسيود فلما رأى غالباً يسير نحوه ـ وأحدهما لا يعرف الآخر ـ رماه فقتله وأصاب عمه بجرح وهرب.

ولما رجع المطران بالإبل عرف طلال والد غالب إبل طلق فقال: لا مطمع لنا في هذه الإبل لأنها إبل صديقنا ابن وسيود وهو لم يعرفنا ونحن لن نعرفه وابني هو المعتدي وقد دنا أجله ثم أمر برد الإبل وتنازل عن دم ابنه وأرسل إلى ابن وسيود يطلب منه إرسال من يستلم إبله.

فأبى ابن وسيود استلام الإبل وقال هي إهداء لغالب ونحن أشد حزناً عليه من والده.

وعندما أراد قوم طلق بن وسيود الغزو قال هذه الأبيات يتحسر على ذلول يركبها:

يـاهل العيـدي عليكم مشرهيـة	اركبوني ياهل الجيش الاصايل
مقدر الحقكم ولا عندي مـطية	سابقي مع بوش ما ظين الفعايل
مـا خذوهـا مشترى ولا عـطيـة	غيـر والبارود غـاد لـه ظـلايـل
في مكان يا سعـد عسر عليـه	لا بليتوا به على طول المهايل
يــوم ردوا ،كنهـم لي ادومـيــة	عند ذودي ما يعرفون العذايل[٣٢]
اعتـزيت وعـزوتي بـالمـزحمية	واعتـزوا باولاد عبـاد الشـوايـل
قلت يا اهلَ الجيش ما جوب عليه	جنبـوا عنها وانـا يبس البلايـل
اجتمعنـا وافتـرقنـا في شـويــة	يـوم للدم الحمر جـاله وشـايل
ليت يــوم الـرب ميلهم عليــه	حاضرين اثنين من روس الحمايل
حـاضر بـذعار والا اخـو عليـة	صاملين الراي لا جات الحفايل

وقال موزل الذي خبر البادية وعـاش مع الـرولة سنـين طويلة ما معناه: أن الحروب الدائرة بين البادية ليس سببها الجوهري الطمع والرغبة في سفك الدماء، وإنما تستهوي رجال البادية المخاطرة وممارسة فن الحرب. !

ولهذا فقد يهب المنتصر الغنائم لغيره، وقد يتنازل عنها لـزوجة المغلوب.

قال أبو عبدالرحمن: يؤكد هذا ما سمعته من الشيخ منديل وقرأته في كراساته.

---

(٣٢) ادومية: أصحاب دم يطالبون به.

قال:

هذه قصة رجل من آل حبلان من عنزة مر عليه ضيف من السبعة فسأل الحبلاني ضيفه السبعي عن رجل من السبعة هل له أولاد؟.

فقال السبعي: له أولاد.

فقال الحبلاني: ليس له أولاد.
ثم سأله عن آخر فأجابه بمثلها.

فغضب السبعي وقال: كيف أخبرك عن رجلين من جماعتي أعرفهم فتنكر خبري وأنت لا تعرفهما.

فقال الحبلاني: في أحد الأيام سرينا على الخيل وصبحنا عدونا بآخر الشتاء والبرد شديد، فلما صبحناهم وجدناهم قد علموا بنا ورحلوا قبل طلوع الشمس.

أما جماعتي فمنهم من كسب ومنهم من أصيب وكان عددنا ستين خيالاً فجلسنا عند نيرانهم نعالج المصابين منا لأنني ضمن من ردوه بالقوة مع الجرحى، فلحقنا خيال لم يحضر المعركة فقال لي: ما الذي أجلسك هنا وعدوكم رؤية العين.. ليس عندكم إلا التمدح عند أهلكم.!

فقلت له: ما جلسنا رغبة وإنما جلسنا نمرض المصابين، وما تراه من هذه الجروح هو فعل العدو الذي تستهين به.

فركز رمحه من الغيظ وجرد السيف وتقدم يحدو بهذه الأحدية:

اطعن لعيني فاطر لي   خدينة لي بالفلاة
مربـاعهـا خشم الظفيـري   مقيظها حمص وحماة

فهاجم العدو وفعل بشيوخهم الأفاعيل وكسب ماشيتهم وأخذ المظهر وفيه النساء ونجا الأعداء بأنفسهم.

فعاد إلينا ونحن قد جمعنا الغنيمة فقال: لعن الله مثلكم يا كسابة المكسوب! واستقبلته لأهنئه بالفوز وقلت له:

إنما جمعنا الغنيمة لنحفظها لك حتى رمحك الذي ركزته في الأرض حفظناه لك.

فقال لي: : اقرب مني لأهمس لك بخبر، فخفت منه فقلت له عاهدني.

فعاهدني ثم قال لي: عمر لي السبيل (الغليون) ثلاث مرات.

ثم بعد ذلك قال لي: عط القوم حرمهم على زملهم محملات بطعامهم.

وبيت شيخهم وزمله لا تعارضونه.

وأعطاني ثلاثاً من الإبل من أجل إعداد الدخان (الغليون) وحفظ الرمح.

ثم قال لي استعد إنني سأوزع الكسب ما جئت طمعاً فلي مال كثير عند الناس وإنما جئت لمساعدة جماعتي.

فصار يحدو بنفس الأحدية ثم صاح: يا طماعة انهبوا الكسب فأحاطوا بالكسب فتناهبوه ولم يبق سوى ست من الخيل.

فلما قص القصة قال السبعي: أسألك بالله هل مات فعل هذا معه أم بقي بعده؟

وذكر موزل أن اجتماع عدد من القبائل بالحلف لا يلزمها محاربة قبيلة أخرى وإنما تلزم الحرب القبيلة التي ينتمي إليها الشيخ الذي أعلن الحرب، والمشاركة في الحرب راجعة إلى بقية القبائل المتحالفة إذا أعلنت: (القوم على الجميع).

وقال الشيخ منديل: لرجل شيباني ذلول مشهورة بالجري أخذها الجدعي من الموهة من مطير حيافة مع جملة إبل وبعد تمام الحول تذكر الشيباني ذلوله وسهر متغنياً بهذه الأبيات:

واسابقي زبن عن اللال مضمون   زبن الرديف اليا تناوش قداها
فالشتو يوم البدو للبدو يدنون   كم مصفر سريتها عن نماها
وبالقيظ يوم ان الطراقي ينيسون   كم عقلة نفت عن الخشم ماها
راحت لولد الجدعي اللي يقولون   بغت تريح وردها في عناها

ومن المصادفات أن الجدعي أعاد الكرة لحيافة إبل الشيابين ومن المصادفات أيضاً أن يتفرق جماعة الجدعي على البيوت ويكون نصيبه هو حيافة صاحب الذلول فلما سمعه يغني بهذه الأبيات ناداه من قريب وطلب منه الأمان فأمنه فتصافحا ووعده برد ذلوله وأقسم أنه لن يركبها بعد اليوم.

فأعطاه الشيباني أخت ذلوله وأحضر ربع الجدعي كلهم وأولم لهم ورجعوا آمنين متسالمين.

ومن مصطلحاتهم التفدوي، وقد يكون التفدوي لأجل الحيافة. قال الشيخ منديل:

من أمثال العامة في نجد قولهم (عطية غبيني) وقصة هذا المثل أن حمدان بن غبين قبل نزوح جماعته من نجد كان له حصان اسمه شقير لا يوجد في الخيل ما يسبقه.

فلما علم الأمير ابن عريعر بهذا الحصان أغرى من يأتيه به حيافة بأن يعطيه مئة ناقة.

فقال أحد جماعة ابن عريعر أنا أستطيع أن اتفدوى (أي يكون ضيفاً يقوم بالخدمة) فنزل عند حمدان متنكراً وكان هذا الفداوي رجلاً يقوم

بالخدمة حسب جهده ولم يسألوه من هو لأن عادة العرب أن لا يسألوا الفداوي عن مذاهبه مخافة أن يكون لاجئاً فلا يحرجونه.

وقد لاحظ الفداوي حرصهم على الحصان، فكان حمدان بنفسه يفكه ويسقيه ثم يعيده إلى القيد.

فبقي الفداوي مدة عام دون أن يجد فرصة للسرقة فلما يئس استأذن حمداناً في العودة فكبر على حمدان أن يفارقه ضيفه بدون سبب فلما ألح عليه حمدان عن أسباب رحيله صارح مضيفه بأنه جاء لسرقة الحصان مندوباً من الشيخ ابن عريعر.

فقال له حمدان عليك أن تنتظر إلى الغد حيث سأمر بالحصان على الصانع ليجود حذاه ثم تأخذ الحصان مسرجاً هدية مني لابن عريعر دون أن تعرض نفسك للسرقة والمخاطرة.

إلا أن ابن عريعر عف عن الحصان وقال ارجع به إلى حمدان فصاحبه أحق به.

فلما عاد به إلى حمدان قال له أعده إلى ابن عريعر وقل له هذه عطية غبيني لا ترد فإن أعاده ثانية ذبحت الحصان[٣٣].!

ومن قصص الحيافة ما سمعته من الشيخ منديل وقرأته في كراساته قال:

كان فيه مديد[٣٤] من شمر إلى بلاد مجاورة ومعهم شخص اسمه بدعا الحميدي الشعيلي من الجبرين من شمر، وعندما وصلوا نزلوا عند رجل ليضيفهم ويحميهم من رجل من جماعته مشهور بالجرأة والمخاطرة اسمه فليح.

---

(٣٣) نشر القصة ابن خميس في كتابه من أحاديث السمر ص ٢٥ ــ ٢٧.

(٣٤) المديد يطلق على الجماعة الذاهبين لاستجلاب الطعام من بلد إلى بلد.

ومن جرأته على الحيافة ومهارته فيها أنه إذا ذكرت له فرس أصيلة أو بندق طيبة باعها وقبض ثمنها وهي لا تزال عند مالكها لأنه واثق بأنه سيسلبها بالحيافة ولأن المشتري بهذه الصورة من البيع يأخذها بثمن أقل.

نزل الحميدي وجماعته عند مضيفهم بصباط وهي صندقة بابها على درب واحد وقد حذرهم مضيفهم من حيافة فليح فجمعوا سلاحهم ورصدوا له الدرب وكان فليح يتردد يراقبهم ليعلم أهم نائمون أم مستيقظون وفي ذات مرة أطلق عليه الحميدي النار إلا أنه انحرف بالرمية عنه قصداً لأنه يعلم أنه إن قتل فليحاً لن يسلموا من جماعته ولن يتمكنوا من الهرب وإن تمكنوا من الهرب أفلسوا من استجلاب الطعام.

أما فليح فقد هرب، وأما جماعة فليح فقد جاؤوا إلى المضيف وقالوا لضيوفه لا شك أنكم قتلتم فليحاً وقد سمعنا صوت الرمي.

فقال الحميدي: لقد انحرفت بالرمية عن فليح لأنه رجل شجاع ولا يجوز قتله ولم يدر بخلد الحميدي أن فليحاً سيسمع بهذه الكلمة، وبالفعل سمع فليح بهذه الكلمة فندب للحميدي من يخبره بأنه رهن إشارته إن احتاج إلى شيء من أمور الدنيا.

وعلى مدار الحول انحدر الحميدي وجماعته لجلب الطعام ومع الحميدي فرس ضعيفة فلما علم به فليح دعاه للضيافة وأدخل فرسه في الزرع وأكرمه ثم دفع له قيمة الطعام ست مئة دينار وقال له اذكرني كلما احتجت.

وكل هذا لثنائه عليه في غيبته.

ومن مصطلحاتهم قولهم (طريح البل) أو (طريح المراح)، قال الشيخ منديل:

كان مشعان بن عيد الشيباني من المشهورين بالحيافة والشجاعة كما أنه من العدائين المشهورين.

وفي إحدى حيافاته نذرت به امرأة بعد أن استيقظت وأخبرت زوجها فلحقوه فسقط في خبارة (جحر جربوع) فأدركوه.

ومثل هذا يسمى طريح إبل لا ينجو من القتل إلا نادراً ليكون نكالاً لغيره، ولأن الحائف أعظم خطراً ممن يغير علنا.

فتناولوه بأسلحتهم يمزقونه حتى تيقنوا من أنهم أماتوه وقد كتب الله له حياة فقد زحف آخر الليل إلى البيوت فشعرت به صاحبة البيت فجرته إلى ذرا البيت وفي الصباح أرادوا دفنه فمنعهم صاحب البيت واعتبره جاراً له وعالجه حتى برىء.

وبهذه المناسبة قال مشعان:

ضويت يوم الإبل هبهب ضريبه	في ليل برد وتالي الليل ممطور
بغيت مرحول الفريق أغدي به	وغلب نصيب اللي كما قايد الحور
عيا نصيبي لا يبطل نصيبه	وصبر الياجاني من الرب مقدور

ومن مصطلحاتهم المخلول وهو من صغار الإبل تجمعه القبيلة لمن أخذت إبله.

قال الشيخ مثال السور يخاطب دخيل بن تنبيك:

كم روكة رحنا بها يم اهلنا	وأصبح رويعيها يلم المخاليل

وقال الشيخ منديل: حدثنا عماش عيد العتيبي أن الشيخ رفاعي بن عشوان شيخ العبيات من مطير ربع بالصمان هو وجماعته وكانت ماشيته من الإبل ومعه ابن أخته وكانت ماشيته من الغنم فلما جاء الصيف وأحسوا بالظمأ رحلوا لكي يقطنوا عند أحد المياه وبقي صاحب الغنم في

أثرهم لم يستطعٍ اللحاق بهم لعجز الغنم عن معانقة الإبل، فقال هذه الأبيات متوجعاً:

شدوا وشالن البني الجحاليف	من فوق كل مشرهف ما يباع[٣٥]
وتقاودوا قحص الأمهار المزاغيف	وقادوا القطعان يقوده رفاعي
أحد عطا المشقر واحد لزليغيف	واتلى وعدهم في سمار الوداع
وراعي الغنم يأخذ نهارين ما شيف	غدت على ساقه هل الابل ضياع
مقسوم والا ما عليها تحاسيف	لا مدوه معهم ولاني متاعي[٣٦]

ولما وصل الخبر لخاله رفاعي وجماعته قال لقومه كل رجل يأخذ من غنم الولد ذبيحة ويعطيه بدلاً منها ناقة بسن الذبيحة أما خاله فأعطاه فرساً وقال له دوه وتاع مثلنا بدل ما تقول لا مدوه معهم ولاني متاعي.

ولعل من عاداتهم غسل الفرس إذا ركبها الجبان فقد ذكرت في السفر الثاني قصة غسل الفرس التي انهزم عليها بصري الوضيحي[٣٧].

وقد قال حاد من عنزة:

ودك يغسل مركبه	وتعطى لكساب المديح

ونصيب المسافر مع جماعته من الطعام والماء في ظروف الشح يسمى جزوى.

قال فيصل الجميلي:

ولاكنه بدا بجزواه غيره	وبات على الظما مع الناس نايم

---

(٣٥) الجحاليف: الهوادج.

(٣٦) متاعي: حكاية لصوت نداء الخيل (تعيه تعيه).

(٣٧) وانظر الفنون الشعبية ص ١٢٤.

ومما يشبه قصة ابن مامة ما حدثني به الشيخ منديل. قال: ذهب عفتيل العركي من الجندة من عبدة من شمر مع جماعته للصيد فنفذ زادهم وبقوا اثني عشر يوماً بدون طعام وأوشكوا على الهلاك حتى كان بعضهم يحزم بعضاً على مطيته كي لا يقع من الجوع.

فلما رأى عفتيل حال جماعته نحر ذلوله ليتعشوها فلامه بنو أخيه فأقسم أن لا يذوق منها شيئاً وهو أشدهم جوعاً يخشى من قول الناس: إنما ذبح ذلوله لأجل نفسه لا من أجل جماعته.

وبقي عفتيل على أكل الجرابيع التي تصاد له حتى وصل إلى بلاده.

وأهم ما يبلو جوهر الفرسان وينم عن قوة بأسهم النجدة من أجل المرأة.

قال الشيخ منديل: من أقوال العرب: فلان لا حق، وفلان ما حق، وفلان سابق.

فأما اللاحق فهو من ساوى أسلافه في خصائص الرجولة مقتدياً بهم.

وأما الماحق فهو الردبىء العاجز عن مجاراة أسلافه.

وأما السابق فهو من بز أسلافه وصار أكمل منهم في خصائص الرجولة، ويصفون هذا الصنف بالنبيته.

ومن هذا الصنف الأخير حمد الشرابي، وقد جاور الجرباء شيخ الجزيرة وكان شهمًا اختـار البداوة والغزوات، وعنده فرس مشهورة بالجري حيلها (أي حجبها عن اللقاح) ولم يلقحها إلا من حصان أصيل يسمى أبو زرجة فأنتجت له مهرة أصيلة سباقة.

وأعظم أمنياتهم ذلك الوقت فرس سابق، ورمح طويل، وسيف قطاع.

أما البنادق فقد كانت قليلة.

وكان للشرابـي معشوقة لم يمكنه الحظ من الزواج منها لأنها محجرة لابن عم أقرب منه.

وذات يوم رحلت معشوقته مع أهلها فلقيهم في الطريق اثنان وكانت على جمل آخر الركب وهو متميز بالدل، والدل سفائف تتدلى للزينة، وكانت تمشي تارة وتقف تارة ملتفتة وراءها.

فسألاها هل تركوا في الحي أحداً لينزلا ضيفين عنده.

فدلتهما على الشرابـي وحملتهما سلامها عليه فألفياه يجر ربابته حزيناً على الراحلين فأخبراه بالسلام الذي حملتهما إياه صاحبة الجمل.

فما زال يجر الربابة حيناً ويستعيدهم الخبر حيناً حتى سئموا من ترديد الإجابة.

وبينما هم على هذه الحال فوجئوا بزوجته تخبر الشرابـي بأن الإبل أخذت شريقاً (أي عند شروق الشمس) فلم يتحرك من مكانه بل استمر بجر ربابته وقال بكل هدوء أسرجي الفرس وأحضري السلاح ثم تلبب بسلاحه وركب فرسه وعاد إليهم آخر النهار مسترداً إبله غانماً من خيل العدو وإبلهم ومعه أسرى من القوم فذبح لضيوفه وأسراه وأكرمهم وفي الصباح أطلق الأسرى وأعطاهم ركائب تحملهم وأعطى كل واحد من ضيوفه مطية وأعطاهم فرساً لأهل البنت هدية من الغنائم.

وبهذه المناسبة قال أحمد الشرابـي:

حيلتهـا لمـا لقيت أبـو زرجـة	وأنا أحمد اللي جاب بنت الرثوع
ماني محيلها على شـان فرجـة	أبـي الى ثار الدخن بالفزوع[٣٨]

(٣٨) درجة: رصاص.

ان ثار عند قطيهن حس درجة وصاح الصياح وطوحن المنوع
اركض على الصابور لعيون فرجة لا هاب عشيق البني الندوع[٣٩]
اركض بمصقول برمح وزرجة وشري على اللي يلبسون الدروع[٤٠]
إما رميت الشيخ من فوق سرجه حلفت ماني شوق غرو فروع
أبوي قبلي نازل له بمرجة وأنا نصيت مهدمين الجموع[٤١]
والبيت بانينه على شان هرجة وفنجال بين أضيافنا والربوع[٤٢]
لا بد من قبر طويل بعرجة كم غالي ينثر علينا الدموع[٤٣]

ومن أقوالهم: فلان يثني عند التوالي.

قال الشيخ منديل:

إذا انهزم القوم تتبعهم الغالب يقتل ويأسر، وكل من المنهزمين لاه بنفسه يحتال لنجاته.

إلا أنه يوجد أحياناً بين المنهزمين فارس شجاع رماء يصيب أهدافه فإذا أهاب به قومه لحمايتهم حتى يجتازوا عدوهم فإنه ينزل عن راحلته ويختفي تحت شجرة وشبهها فيشغل المغيرين بالرمي ويرد الخيل عن اللحاق بجماعته فإذا رأى أن جماعته نجوا من الطلب لحق بهم ركضاً على الأقدام.

فإذا كان لهذا الفارس الرماء عشيقة قالوا له:

حول لعيون فلانة!

---

(٣٩) فرجة: اسم عشيقته.

(١٠) زرجة: حلق مصمتة من حديد في طرف الرمح يغرس فيها السنان.

(٤١) مرجة: بستان يريد أن أباه فلاح والمراد بمهدمين الجموع آل الجرباء.

(٤٢) هرجة: أحاديث السمار والزوار.

(٤٣) عرجة: منعطف.

أي انزل عن راحلتك وأشغلهم عنا بالرمي حتى نهرب لأجل خاطر عشيقتك فلانة!

فإذا سمع الفارس هذه الكلمة استمات وفدى بنفسه وإذا وصل الخبر إلى عشيقته تعلقت به حباً ولم تطمح لغيره.

وكان من جماعة ابن حميد المقاطي شخص اسمه سعود نشأ يتيمًا عند أبناء عمه.

وهناك فتاة ابنة عم لأولياء أمر اليتيم كل منهم يطمح لها إلا أنها تفضل اليتيم سعودا عليهم.

وفي غزوة للمقطة على قحطان حصلت لهم هزيمة وحصرهم القحطانيون حتى صارت المعمعة عند الجيش (الركاب).

فكانت هذه الحادثة فرصة سعود إذ نزل عن راحلته وحمى فلولهم حتى طار صيته وأثنى عليه القاصي والداني مما أوغر صدور بني عمه حسداً له على حظوته من بنت عمهم.

وبهذه المناسبة قال سعود:

هيه يا راكبين الحول	كان طاب الغضي طبنا
يفتشل ناقض المجدُول	ان غزينا ولا جبنا
ليت من ينشد المجمول	ويش ظنه إلى غبنا
ويش عذري منه بالقول	كان وخذت ركايبنا

وفعلاً اختارته على العموم.

وقال بصري الوضيحي:

حامي عقاب الخيل من ضربه امراج	لا نسفوا فوق الحوارك مزاريج

والأعراب يكرهون الحرفة ويعيبونها ويقدسون الكسب من السلب والنهب وشعارهم (اذبح تربح).

قال عبيد بن علي بن رشيد:

والحضر بالبلدان ياكلهم الحاس ناس خيايط وناس حياييك

وقال الشيخ منديل:

هذه قصيدة لشخص اسمه عمهوج يتشوق فيها إلى المغازي لأن أبناء جيله لا يرضيهم إلا ما كسبت أيديهم بالسلب والنهب.

قال عمهوج:

يا أبوي أنا شفي من الجيش حرة بعيدة المسراح يوم اثني الورك
تشرب حثال بالقلص يوم اثره لاجالهن عند الموارد لهن عرك
غدا لهن من عقب الادلاج صرة صرة قطاة حركوا بيضها حرك

فقال والده يقنعه بأن لديه زوجة وإبلاً وليس هناك ما يدعوه إلى المغامرة في طلب الرزق:

عمهوج هيضني بصوت يجره سلط عليك غليم ول ما اقشرك
جمعت لك ذود كما وصف حرة وبيت كبير والمسايير تنحرك
وعمهوجة تلعب بحبل المجرة تطرب نظيرك يوم بالعين تنظرك
ما قدرك إلا في يمينك مكرة ومركبك عيريفرك الخد بك فرك[٤٤]

وقال عبد لعقاب بن عجل من شيوخ عبدة من شمر عندما باع عمه الإبل وسكنوا بالجزيرة واستبدلوا بيوت الشعر بالأعشاش فقال هذه الأبيات متشوقاً للإبل وحياة البادية:

(٤٤) مكرة: مقشعة، وهي أداة يجتث بها العشب.

يا عقاب عقب البل خرابيط وعلوم   يابو جهز لا تعيـر فكرك لغيره
أما أنت والا عافت خلوا الدوم   واتبع هوى العليا ولعبه وظيـره
ما شفت سعدون سنة هجمة الروم   لولا نياقـه ما سعت لـه بخيرة
أرسل على الدفرات من كنس كوم   وشالوا على حيل سمان ظهيرة
أقفى كما طير نهج يدرج الحوم   من فوق نوق عينن خمس سيرة

وقال الشيخ منديل: من المعتاد عند العرب أن حياتهم بالسلب والنهب كل واحد يزهد في مال أهله ولا يرضيه إلا ما كسبه بيده سلباً ونهباً ويعاب من لا ينهب ويغنم بنفسه.

وقد حاول الشيخ أبو فهد عبدالمحسن بن هذال كسر هذه العادة وعبدالمحسن هذا هو جد محروت أول من ملك الرزازة بالعراق فقسم على جماعته قطعاً من الأراضي ليزرعوها ويكسبوا منها فتنتهي فوضى السلب والنهب.

ومن ضمن من منحوا أرضا الشاعر اللحيدي سرور من الحبلان كان فقيراً ولم يوفق في زراعته فقال يزهد قومه في الفلاحة ويتحرق على الزمن الفائت زمن الإغارات.

فمن شعره في هذا الغرض قوله:

يا حسين زرعك فدوتك يا السنافي   من بد ربعك عد زرعي بصعنون
مضـارب الفـدان بيض نــظاف   غير التعب يا حسين ماش على لون

وقوله:

ياما حلا ياحسين وان صاح صياح   تجيـك دقلات تـروي السيـوف
خيـل تنازى بـالحبالين وسـلاح   وشلف سهوم الموت فيها تشوف
من عقب ما أصوت لربعي الفلاح   على شلوخ منيـلات الـظلوف

اليوم أنا يا حسين يا ابوك فلاح انقل فدادين الخشب بـالكتوف

فعندما سمع الشباب بهذا الشعر سروا إلى البلاد المجاورة لمشاركة البادية في عزوتها فلما علم الشيخ عبدالمحسن غضب على الشاعر وأقسم عليه أن يرحل عنه.

فلما غادر الشاعر المكان اتصل بصديق لـه من مزارعي الشيـخ عبدالمحسن بالرزازة اسمه حسوني فاستقضاه ديونه فقضاها عنه فقـال اللحيدي:.

يا ناس يا اللي للدعا تسمعون بيضا وبيرقها مع النـاس منشور
يستاهل البيضا شوارب حسوني اللي جدع عني من الهم طابور

وعندما رجع الشاعر ليأخذ أثاثه على الإبل بالكراء لأنه ليس عنده إبل مر الشيخ يودعه فقال فيه قصيدة حين سمعها الشيخ سمح له بالبقاء.

قال اللحيدي لـه جواب وكيـد أقــولهــا والله شهيــد عليـهــا
أقـولها بـالشيخ ولـد الحميـدي زبن الطحوس اليا تردت يديها
يـا شيخ والله مـا شفاتي بعيـد ولا ودي اسكن ديرة ما انت فيها
شفـاة والا نعمتي عند سيـدي مـظمونـة عند الـولي ما عليهـا
شفي مع الحبلان فتخان الأيدي من خوف راعي قالـة محتسيها

□ □ □

- ٣ -
نص العزاوي عن الحرب والسلم

قال العزاوي:

أصل الغزو تابع للأخذ بالثأر وهو شغل البدوي الشاغل بل هو أكبر مشغلة له، وأعظم من موارد رزقه.

لا يقف عند العداء، وقد يكون سببه.

وأكثر آدابهم المنقولة ووقائعهم المعروفة إنما تتعلق بذكرياته. قال الأول(١):

ولو أن قوما غزوني غزوتهم فهل أنا في ذايا لهمدان ظالم
متى تصحب القلب الذكي وصارما وأنفا حميا تجتنبك المظالم

وهناك حالات تدعو للغزو كعداء فجائي، وتجاوز آني، أو أن يكون على قوم ليس بينهم عهد، أو على الكلأ والمراعي، أو الآبار.

والأساس أن تعتبر الحال حربية بين القبائل، والغزو دائب.

وأسباب العداء كثيرة، وفي الغالب تحترم العهود والوقائع السابقة، أو تكون العامل في إثارة البغضاء، والقصص التي ينقلونها لا تكاد تحصى، والقصائد المهمة كثيرة.

ومن البواعث عندهم ما لا علاقة له بأحد المتخاصمين كأن يقوم

---

(١) هو عمرو بن براقة الهمداني. ابن عقيل.

بالحرب والغزو إرضاء لزوجته التي تنفر ممن لا تشيع أخباره في الشجاعة والكرم كما ينقل عن أحد رؤساء بني لام الذي كانت له زوجة(٢) وتوفي عنها فتزوجها أخوه، وكان يضارعه في رسومه وأشكاله، إلا أنه بعيد عن الحروب والغزو على خلاف ما كان عليه زوجها الأول، فلم يرق لها الزوج الجديد، وقالت قصيدة منها:

الـزول زوله والحـلايا حـلايـاه	والفعل ماهوفعل ضافي الخصائل(٣)

---

(٢) قال أبو عبدالرحمن: هي زوجة الشيخ وديد بن عروج وله عقب بالعراق وانظر عنه السفر الأول من هذا الكتاب ص ٧٠ (حاشية) وأنساب العشائر العربية ص ٣٦ ــ ٤٥ ومن آدابنا الشعبية ٢/٤٧ ــ ٧٧.

(٣) القصيدة رواها الشيخ منديل كاملة عن الشاعر غانم بن علي الجنفاوي الشمري وهذا نصها:

يا الله يا عـايد على كل مضمـاه	يـا مخضر الأرض الهشيم المحايل
أنت الكـريم ورحمتك مـا نسينـاه	تـروف بـالـلي دوم عينـه تخـايـل
تلطف بمن لـكن عينــه مـداواة	الـلي بقلبـه حـاميات المـلايـل
الـوج مثل ايـوب من عظم بلواه	واسهر الى ما يصبح النجم زايل
على حبيب كل ما قلت ابا انساه	لـذكره تفطني من الهجن حـايـل
الى نسيتـه ذكـرتني بـطريـاه	شيبا ظهر من عـاصيات الجلايل
يلتاع قلبـي كل مـا اذكر سـواياه	كـما يلوع الـطير شبـك الحبايـل
لـوا حبيبـي سبعـة سنين فرقـاه	عليـه انـا قصيت كـل الجدايـل
لــوا حبيبـي يتلف الهجن ممشـاه	الى بغى لـه نية مـا يسـايـل
لـوا حبيبي يـقي الربـع من ماه	دليلهـن لا ضـيعـوه الـدلايـل
لـوا حبيبـي يـرعب الهجن بغنـاه	من كـثر ما يـوحيه ليـل وقـوايل
لــوا حبيبـي كــل قــوم تنصـاه	تلقى ربــوعـه طيبـين القبـايـل
لــوا حبيبـي تـدفق السمن يمنـاه	يـاما ذبـح من بين كبش وحـايـل
لــوا حبيبـي وافيـات سجـايـاه	عليــه غـظات الصبـايا غـلايـل
لــوا حبيبـي دوم للعفن متقـاة	يـامـا كلنــه مـدمجـات الفتـايـل
لــوا حبيبـي بـين ذولا وذولاه	خـلي بـوجـه معـدلـين الـدبـايـل
لـوا حبيبـي طـاح يـوم المـلاقـاة	بنحـور غلبا فـوق قب الـسلايـل

تريد أنه كزوجها الأول في شكله وحلاياه ولكنه لم يكن ضافي الخصائل مثله.

علم الخبر، واطلع على مكنون سرها، ومن ثم هاجت همته، وزاد حنقه، وعد ذلك إهانة منها له، فعزم أن يظهر بما ترضاه، ويقوم بما كانت تأمله فذهب للغزو وصار إلى محل أبعد، فغنم غنائم وافرة، وقام بأعمال جليلة بغرض أن تكون له مكانة مرغوبة عندها، ويعمر ما قامت به من إهانة!.

عاد من غزوته ظافراً، فاستقبلته بقصيدة مدحته بها ليرضى عنها، ففتر غيضه، وزال غضبه، وعفا عنها، وعرفت له منزلته، وذهبت منها الفكرة الأولى(٤)!.

= لـوا حبيبي طير شلوى تعشاه — قطاعة المهجة سناعيس حايل
يا عارفين اوديد يا طول هجراه — يا ليتني بوديد ما ابغي بدايل
اخذت اخوه أبي العوض ذاك من ذاه — والبيت واحد من كبار الحمايل
عندي مثيله واحد كنه اياه — عليه من توصيف خلي مثايل
الزول زوله والحلايا حلاياه — والفعل ما هو فعل واف الخصايل

(٤) القصيدة الثانية التي أشار إليها العزاوي هي قولها كما رواه الشيخ منديل:

يا بكرتي وش علم حالك ضعيف — اشوف حيلك واني عقب الاردام
عقب الفسق ومهادرك بالمصيف — ومصاول القعدان مرباعك العام
عقب الاباهر والسنام المنيف — صرتي كما المفرود من فعل لزام
قطع عليك ديار قوم تخيف — تسعين ليلة راكب الهجن ما نام
اقفى عليك من الحسا للقطيف — لحوران والحرة الى نقرة الشام
وتدمر وصلها وخمها مستخيف — وشبيح والضاحك وقديمي الاقدام
واخذ عليك اذواد جو مريف — وضح كما برق الحباري بالاكوام
يزفها يقداه مشيه هريف — واقفى عليهن متلف الهجن لا قام
وعادوا على العارض ركيب يهيف — يتلون ابن عروج مقدم بني لام
زهابهم حب القرايا النظيف — وسلاحهم صنع الفرنجي والاروام
يا ما انقطع مع ساقته من عسيف — ومن فاطر مشيه عن الجيش قدام

والبدوي لا يغزو قريبه، أو يسرقه إلا أن يكون قد حصل عداء بين الفرق أو القبائل التي بينها قربى، وكذا لا يسوغ له أن يمد يده على الجار أو الحليف، والغزو إنما يكون على العدو أو من جوز القوم نهب أمواله، أو اعتباره محارباً.

وإذا قبل هذا الأساس نجد الاتفاقات تجري بين الأفراد، أو العشائر أو أصحاب الغزو للوقيعة بالعدو، والحرب معه، أو بقصد الحصول على غنائم.

وهذه الاتفاقات قد تعود بالويل والخيبة، (ألف تعبة على البدوي بلاش!!)، أو يكون العكس بأن يغنم الهاجم، ويربح الغازي، ومن ثم يقابل بالفرح والابتهاج ويرحب به الترحيب الزائد.

= عقب الشحم ومـلافخه للرديف ... قامت تسندر مثل مبخوص الاقدام
تـوي هنيت وطـاب بـالي وكيفي ... من عقب ضيمي صرت في خير وانعام

وروى الشيخ منديل أن لزاماً زوجها أخا وديد قال بهذه المناسبة:

انـا ابن عـروج وهـذي سـواتي ... موصل سمان الهجن شن ما يجنه
خمسـين يـوم والنضـا مقـفيـات ... مـع مثلهن وهن عـلى وجههنـه
نمشي النهـار وليلنـا مـا نبـات ... كم ذود مصـلاح منيس خذنـه
من ظن فينا الطيب شافه ثبات ... والـلي هقى فينا الـردا ضاع ظنه
كم من صبي عشـقـة للبنـات ... عقب التعجرف بدل الضحك ونة
استاخـذ المذهـول عـاف الحياة ... هـو ما درى ان الهجن بيـوصلنـه
من فوق هجن من فحلهن خوات ... غيب الصبايا الخافيـة يـظهـرنـه

وذكر لها الشيخ منديل أيضاً قولها قبل أن يمارس زوجها الغزو:

يا فاطري ياما جرى لك من العنا ... مع دربك العيـرات نشت لحومهـا
غدا عنك نواس العدا مرذي النضا ... يجـرها مـع مـا نبـا من حـزومهـا
غدا عنك وارث في مكـانه زلابـة ... تـروعـه الـظلما تليـلي نجـومهـا
يـاما حـويت جل ذود من العـدا ... اضحى عليها الغزو يفرق سهومها
وياما يثور عند عينـك من الدخن ... معـارك تـدني لـلارواح يـومهـا
عليـك مقـدم لابـة شـاع ذكـره ... حـامي تـواليهـا مقـدي يمـومهـا

إن الصلح والحرب من أعظم المسائل الاجتماعية عند البدو، ولهم حلول قد تخفى على الكثيرين، أو أن إدراكها بعيد عمن لم يكن ملتفتاً إلى حقيقة ما عندهم.

وإذا أردنا أن نتوغل في هذه الناحية وجب علينا أن ننظرها كحالات دولية، أو مناسبات سياسية تابعة لحقوق واسعة النطاق، وبعيدة الغور في دقتها وأصلها ولكن بصورة مصغرة.

وهذه الحقوق متعامل عليها، ومعروفة من قديمة الزمان، ومضى القوم عليها وإن لم تدون، أو تسجل في شريعة، أو قانون.

والإسلام في أوائل ظهوره دون بعض الوقائع المخالفة، وسجل العلماء الشائع، وهكذا استمر، بل إن بالإسلام تأسست الحقوق الصحيحة، والوقائع المتعارفة، وقد قبل ما يصلح أن يكون تشريعاً عاماً، ولم توافق الشريعة الغراء على الحرب والغزو بلا سبب صحيح، أو اعتداء ظاهر.

وفي سعة هذه العلاقات وكثرة وقائعها لا نستغني عنها اليوم لمعرفة الحقوق القديمة عندنا، وخاصة في جزيرة العرب، وفيها ما لم ينتبه إلى صور حله، وطريق حسمه، ولا يقلل من قيمة هذه الحقوق أنها غير مكتوبة، ولكننا نقول إن العربي أحفظ لعهوده وأقرب لسياسته الحقة والصريحة، لا ينكث عهده إلا أن يرى من مقابله ما يدل على العداء أو التحرش أو الإجحاف، وهذا لا يقع دوماً، وإنما هو قليل جداً.

وفي الوقت نفسه ترى البدوي يثأر فلا ينسى ما أصابه من حيف، أو ناله من ظلم.

ولهم أشعار كثيرة في الثأر والترة، مدونة في غالب كتب الأدب مثل ديوان الحماسة لأبي تمام، والبحتري وسائر الكتب الأدبية.

وهذه حالتهم حتى اليوم، وعندهم المحالف، أو الجار لا تنتهك حقوقه بوجه وإنما هو محل رعاية، وكذا النزيل فإن رعايته أكبر واحترامه أزيد.

وهم في كافة أحوالهم يتجنبون الحرب ووقائعه المؤلمة لكل ما يستطيعون من قدرة وقوة، وعقلاء القوم دائمًا يكبحون شرة المتهورين الجامحين، ويحذرون الفتن، ومع هذا إذا وقع العداء وتمكن لا تكون الحرب حاسمة، يتفقون مع المجاورين، ومن لهم صلة قربى، بل يجري الغزو بين آونة وأخرى، وينتهب الواحد ما تصل إليه يده، وفي الغالب لا يهاجمون على الوجه نهاراً ولا دون مبالاة، وإنما يأتون على حين غرة وبنتيجة حساب للأمر وافتكار فيه، والغالب أن القتل في الغزو غير مقصود، وإنما المقصود المال وقد يكتفون بالتهويل، وهكذا!.

وفي هذه الأيام مات الغزو تقريباً، والفضل في منعه راجع إلى وسائط النقل الحاضرة وسهولة استخدامها، وتكاتف الحكومات المجاورة لقطع دابره، وتفوق الأسلحة والعدد التي لا تستطيع القبائل مقاومتها كالمدرعات والرشاشات.

مر بنا ذكر بعض الحوادث، ولكن هذه كثيرة لا تحصى، ولها شواهد وقصائد مقولة ومحفوظة ليست بالقليلة، وهذه في العراق غالباً، ولا يعوزنا تدوينها إلا أن الصعوبة، كل الصعوبة، في معرفة تاريخ حدوثها، ولا تعد الوقائع مدونة فيما بين نفس قبائل شمر بعضها مع بعض، أو بين عنزة، أو ما يقوم به بعض هذه القبائل نحو الأخرى ومنها يتكون سمر القوم، وحديث مجالسهم.

ومحفوظ كل قبيلة لا يعتبر عاماً وإن كان يلهج به القوم ويتناقلونه، إلا أنه لا تعطى له أهمية عظيمة، ولا تكاد تعد وقائع مثل هذه، وما يتحدث به القوم من حوادث شجاعة، وما يتغنى به القوم.

وللصائح ولزوبع وللسبعة ولغيرها وقائع كثيرة وقد يكون فيها من الغرابة ما لا يوجد في الوقائع المهمة بين القبائل العظيمة وإني أشير إلى بعض الحوادث التي نالت شهرة وصارت حديث المجالس.

حصة: هذه بنت الحميدي وأخت عبدالمحسن جد الشيخ محروت، وهذه شاع فيها المثل (لعيون حصة ما تمصه) وتفصيل الواقعة أن قوم ابن هذال من عنزة أصابتهم سنة فأمحلت أرضهم، فاقتضى أن يعبروا إلى الجزيرة، وكان يسكنها قبائل شمر، وكان الذي عبر هو الحميدي بن هذال، وعبرت عنزة معه، وهذه لا تفكر إلا في قبائل شمر وتعدها عدوها، أو ضدها.

ومن مألوف البدو أن يبعثوا ركباً يدعون الضديد (الضد) إلى المسالمة ويطلبون أن يقضوا سنتهم، وإلى مثل هذه يميل الضعيف ويطلب ما يطلب من المهادنة.

لكن القوي لا يمنعه مانع، ولا يركن إلى هذا النوع بل يعده ذلاً، واعترافاً بالضعف وعنزة لم ترضخ[٥] لشمر في وقت، ولم تبد إذعاناً، أو ما ماثل وإن كانت الحروب بينهم سجالاً. إذا غلبت قبيلة مرة استعادت قوتها وأخذت بحيفها مرة أخرى!.

عبروا ولم يبالوا، ومضوا لسبيلهم وأما شمر فقد اتخذت هذه فرصة سانحة عرضت، ومن ثم تناولوا، والكل متأهب لقتال صاحبه، وطال المناخ لمدة شهرين ولم تكن النتيجة لصالح عنزة وإنما انتصرت شمر انتصاراً باهراً.

وفي هذه الوقعة كانت حصة بنت الحميدي بين من أسر واستولوا عليه من نساء عنزة، والعادة أن لا يتعرض القوم للنساء، ولا يمسهن أحد

---

(٥) لم ترد رضخ في لغة العرب بمعنى انقاد.

بسوء، ولكن هذه المرة رأت حصة إهانة من بعض أفراد شمر عرف أنها بنت الحميدي فتطاول عليها وطعنها، ومن ثم صاحت حصة (الدريعي يا رجالي)!.

وصل خبر هذه الصيحة إلى الدريعي، وكان من رؤساء عنزة المعروفين آنئذ وعادت عنزة في هذه الحرب مخذولة.

أما الدريعي فإنه لم ينم على هذه الندبة من حصة وأمر قبائله في سورية أن تتأهب للحرب المقبلة، وأن من كان عنده فرس ذبح مهرها لئلا تذهب قوتها من الرضاع.

تأهبوا لأخذ الثأر ونفروا للحرب، وصاروا يخاطبون أمهارهم بقولهم: (لعيون حصة ما تمصه) أي أن أخذ ثأر حصة دعا أن حرمناك من الرضاع من ثدي أمك.

والبدوي متأهب بطبعه للغزو، ولكن الاهتمام في هذه الوقعة زاد، والتأهب والعناية بلغا حدهما.

ومن نتائج هذه أن تحالف الهذال والشعلان على أن يصدقوا الحرب، وأن يكون المتقدم للحرب الهذال بقبائلهم، وطلبوا إلى الشعلان أن ينهبوا ويقتلوا من يتخلف عن الحرب من قبائل الهذال، وشاع أمر ذلك، ليكون القوم على يقين من القتل والنهب فيما إذا لم يتفادوا، ويحاربوا عدوهم، وهو قوي مثلهم، ولا يقعقع له بالشنان.

وفي هذه الحرب في السنة التالية لتلك الواقعة طال المناخ ثلاثة أشهر، ولم يظهر الغالب (والحمل وزان) كما يقول المثل وكاد يقتل بعض الفرسان من الطرفين. وضاق الأمر بآل هذال من عنزة، وكادوا يفشلون في هذه الحرب لولا أن علم آل الشعلان بأن التناوخ دام وطال وعلموا أن سرح شمر كان يجري على مرادهم لولم يكن عليه خطر بخلاف إبل عنزة

فإنها لا تستطيع أن تخرج فتسرح وتمرح، فعلم آل الشعلان أن الأمر ضاق بآل هذال، ونفروا بعضهم لمناصرة عشائر الهذال وإنقاذهم مما أصابهم من ورطة.

ومن ثم مضوا إليهم، وأرسلوا من يخبرهم بالقصة، وأعلموا بأنهم في يوم كذا سوف يهاجمون السرح لقبائل شمر، ويضعضعون أوضاعهم، ويهاجمهم آل هذال من أمامهم تأميناً للانتصار ففعلوا.

وفي هذه المرة، وبهذه الطريقة تمكنوا من شمر، وانتصروا عليهم، وفي هذه أظهر ابن جندل من رؤساء الجلاس تدبيره في لزوم المساعدة السريعة، مضوا إليهم بلا ظعون ولا أثقال، واختاروا من يعولون عليه، وتمكنوا بسرعة من اللحاق والانتصار، بل وأخذ الانتقام بطعن بنت الجرباء بالصورة التي رأتها حصة!.

وفي هذه نشاهد التدابير الحربية، وطرق الغزو للوقيعة، والشجاعة، وحسن الإدارة وما ماثل مما يتخلل الوقعة، وقد يصعب بيان قيمة بعض الأشخاص وما قاموا به، أو زاولوه من أعمال.

ويتكون من هذه مجموع سمر قد يغني عن مطالعة الكتب، وإنما هو التحدث بالمجد وأشخاص الوقائع لا يزالون في قيد الحياة. أو يحدث عنهم أبناؤهم وتظهر مفاخرهم، وهناك القصائد، وذكر المخاطر، والسمر اللذيذ.

نرى البدوي يهول في مواطن الهول، ويظهر المهارة والقدرة في مواطنها، والعزة القومية، وصفحات بيانه تكتسب أوضاعها، ويكاد المرء يشعر أن الوقعة أمامه ويشاهد مخاطرها!.

وعلى كل حال إن العداء والمنازلة والانتصارات والمغلوبيات كل هذه

تجري مع الأسف لما يفيد إذلال بعضنا لبعض والافتخار في التغلب عليه، وتهييج العداء الكامن.

والوجهة أن نزيح هذه الأوضاع ونستخدمها لصالح الأمة وعزتها القومية، وأبهتها بين الشعوب، وفخرها على غيرها، ويعز علينا أن نجد صناديدنا وشجعاننا يذهبون ضحية وقائع أمثال هذه، ونخرب بيوتنا بأيدينا!.

ولو كانت نشوة الانتصارات هذه على عدو حقيقة ممن لم يكن من قومنا لشكل فخراً كبيراً. أما هذا فهو في الحقيقة ضياع لأكابر الرجال، وكل واحد من هؤلاء يصلح أن يكون قائداً لجيش عرمرم.

وملحوظتنا أن هذه الوقعة كانت بين شمر وعنزة، ولم تكن للحكومة علاقة بها مما دعا أن لا تدون، واعتقد أنها وقعة يوم بصالة، وتاليتها يوم سبيخة.

وكل حوادث البدو متقاربة، وتتلخص بغزو بعضها بعضاً، والمهارة المعروفة وقدرة القواد تبز بأوضاعها وأحوالها الكثير من وقائع التاريخ مما لا يسع المقام تفصيله.

والطرف المقابل الذي قد هوجم يتهالك في الدفاع، ويستميت عند ماله وحريمه، ويناضل نضال الأبطال، وهناك يشتهر بالشجاعة من يشتهر، وكم صدوا العدو وأعادوه على أعقابه خائباً، أو مغلوباً بصورة فاحشة خصوصاً إذا علم القوم وأخبرهم (السبر) بنوايا عدوهم أو بتوجه الغزو إلى ناحيتهم.

وما أصدق قول المتنبي على الكثير من قبائل البدو:

ولو غير الأمير غزا كلابا ثناه عن شموسهم ضباب
ولاقى دون ثأيهم طعانا يلاقي عنده الذئب الغراب

وخيلا تغتدي ربح المـوامي   ويكفيها من المـاء السـراب

ويتحاشى البدو كثيراً من الحرب عند الظعون، أو الهجوم على العدو عند البيوت وفي هذه الحالة تكون له (غوارات) وهي الخيول التي تهاجم، و (ملزمة) وهم الذين يكمنون ويحافظون على خط الرجعة ولذا يقول المثل (غوارات وملزمة).

والعمارية بنت يعد لها قتب فيه (هودج)، ويقال له (العطفة)، وهو حصار يزين لها بأنواع الزينة، والبنت في الغالب تكون من أعز بنات القبيلة بنت الشيخ أو العقيد ومن جميلات البنات الأبكار وفيها همة ونشاط تحث القوم وتحرضهم على القتال، وإذا رأت منهزماً طلبت إليه أن يعود لنصرة إخوانه وأن لا تذل النساء بيد الأعداء.

(العادة)، أو (العودة) كثيراً ما تؤدي إلى انتصار المغلوبين بسبب ما يبدونه من استماتة، وشمر أهل العادة ولهم الشهرة فيها.

وهذه البنت تفرع (تكشف رأسها) وتتدلع وتنخى القوم وتشوقهم على القتال، وتكون من العارفات برجال الحي وأوصافهم المقبولة، ومزايا كل تمدح في مواطن المدح، وتحض على الحرب!.

ولما إن ترى رجوعاً في الرجال، وغلبة طرأت، أو كسرة عرضت تستحثهم على العودة، فلا يطيقون الصبر على لائكتها وعتابها أو تقريعها تشجع وتعيد المنهزم، تستعيده فيستميت القوم في القتال!.

وكثيراً ما يناضل الأبطال عنها وهي تقصد العدو، وتتقدم إليه ليكون الحرب أشد وأقوى!.

وبسبب هذا التشجيع والتثريب لمن ترى منه ضعفاً يعود القوم الكرة، ولهذا نرى بني لام يسمونها (العيادة) باعتبار أنها تدعوهم إلى العودة وتعتلي بيتاً أو محلاً بارزاً وتصرخ بهم قائلة:

العودة! العودة! أو العادة، العادة!

عليهم! عليهم!.

وعلى كل حال تعرف بـ (العمارية) أيضاً، تسوق ناقتها إلى الأمام بأمل أن ينقذوها وأن يتقدموا نحو أعدائهم، ويتفادوا في سبيل خلاصها!.

ومثل هذه تكون صاحبة جنان قوي لا تهاب الموت، وكثيراً ما تصاب قبل كل أحد. ويقصدها العدو خشية أن تشجع القوم، وتجعلهم في حالة استماتة وتفاد عظيم في الدفاع!.

وهذه عادة قديمة في البدو، ولم تكن من عوائد هذه الأيام، ولا دخيلة في العرب، وإنما هي موجودة من زمن الجاهلية:

يقـدن جيـادنـا ويقلن لستم بعـولتـنـا إذا لم تـمنعـونـا

وغاية ما ينتفع من هذه العمارية أو العماريات حينما يشعر القوم بضعف، أو قلة في العدد، وخور في العزائم فيركن النساء إلى ما يشجع ويقوي العزائم.

والأمم لا تزال تستخدم أنواع الأساليب لإثارة الهمم، وتقوية العزم، وتوليد العقيدة الراسخة للاستماتة، كاستعمال خطابات، وإذاعة نشرات، وركون إلى تهييج عداء سابق وتذكير به، ونظم أشعار حماسية، وإلا فالقوة والعدد الكاملة ليس فيها ما يكفل النجاح، وإنما يجب أن تقوى الروح في التفادي والتهالك في سبيل الدفاع الوطني.

وهذه الحالة النفسية لا يجرد منها البدوي كما لا يجرد المدني!!.

والنزاع لا يقتصر على الكلأ والمراعي، ولا لسوء معاملة من المجاور، ولا من جراء انتهاك حرمة دخيل، فقد يكون من جرائم قتل، أو من تعرض لعفاف مما لا يحصى.

والغزو من أشهر أسباب حروبهم.

والعمارية تتخذ لها (عطفة) كما مر وهو هودج خاص، ويعمل من خشب، ويغطى بريش النعام، وله شكل معروف عندهم، والآن ليس له وجود في القبائل إلا عند ابن شعلان.

والمعتاد عند القبائل أن من تذهب عطفته في حرب كأن استولى عليه العدو لا يستطيع أن يأخذ عطفة غيرها، ذلك ما دعا أن تنعدم من جميع البدو، ولا تستعاد إلا أن تكون القبيلة أخذت عطفة عدوها وغنمتها، فيحق لها أن تتخذ عطفة جديدة.

وقد انعدمت العطفة من أكثر القبائل بل كلها، فاعتاضوا بـ (العمارية) في سائر القبائل ما عدا الشعلان.

وتعد العمارية من أكبر الوسائل لاستنهاض الهمم، وتقويتها بعد الفتور والضعف وخور العزم.

وهوادج النساء غير العطفة:

١ ــ الحصار.
٢ ــ ظلة.
٣ ــ كن. وهو نوع هودج، أو هو مرادف له، ويسميه الزراع (باصور).

وفي المثل البدوي (من طول الغيبات جاب الغنائم) فإذا تم الحرب أو الغزو بالربح والغنيمة فكيف تقسم الغنائم وتوزع بين الغانمين؟.

يكون هذا تابعاً لما اتفق عليه القوم أو جروا عليه، والرئيس، أو العقيد إذا كان شجاعاً وبصيراً بأمر الحروب أخذ المرباع المعروف قديماً، أو حسب ما اتفق عليه مع الذين غزوا معه.

وهؤلاء لا يشترط أن يكونوا من فخذ واحد، أو من قبيلة، بل قد يتجمع إليه أناس مختلفون لا يجمع بينهم إلا قرابة بعيدة، أو مجاورة، وقرابة قريبة، والكل على الغريب والبعيد الذي ليس بينهم وبينه عهد. . وهكذا، ولكن في حالة العداء والمنافرة بين قبيلة وأخرى، أو قبائل مع معاديتها كانت الجموع تابعة للقدرة، وقد مر بنا ما تعتبره عنزة وتسمي كل ألف أو ما قاربه (جمعاً) وأن له قائده، أو زعيمه.

والغنائم تابعة في قسمتها لأحكام عديدة، ومختلفة تبعاً للمقاولات، أو المعتاد في أمثالها والكل تابعون للعقيد المسمى (منوخا) وهذا العقيد من حين سلموا إليه القيادة صار يتحكم بنفوسهم وأرواحهم فهو مطاع، بل مفترض الطاعة لا يعصى له قول! وهو الذي عناه شاعرهم:

وقلدوا أمركم لله دركم ... عبل الذراع بأمر الحرب مضطلعا

نعم إن أمره حاسم، لا يقبل تردداً، وهو في الوقت نفسه يشاور أصحابه الذين يجد في آرائهم فائدة فيمضي دون تردد، ويقطع فيما يرون القطع فيه.

وغالب المنازعات والأثرة نراها تظهر عند تقسيم الغنائم، والاختلافات تؤدي إلى مراجعة العارفة، والحلول قطعية إذا كانت من (منهي) أو تقبل إعادة النظر إذا كانت صحيحة وطريقها معتاد، والعارفة في أمثال هذه ربحه وافر، وغنيمته إنما تكون وافرة عند حدوث النزاع على الغنيمة. . وهكذا.

والغنائم في الغزو غيرها في الحروب الحاسمة كما مر في قصة (حصة).

وهذه نوضح فيها بعض المصطلحات ثم نصير إلى طريق قسمتها:

١ ـ **جماعات الغزو**: وهذه متفاوتة جداً بالنظر لمقدار الغزاة وهم:

١ ـ **الركب**: ويقال للعشرين فما دون.
٢ ـ **الجمعة**: جيش على ذلول وهم مئة إلى ألفين.
٣ ـ **السربة**، مثل الركب إلا أن أصحابها فوارس يركبون الخيل دون الإبل.
٤ ـ **اللواء**: ويقال له (البيرق). وهذا للرؤساء يقودون الألوف.
٥ ـ **الراكضة**: وهي في مقام الجمعة من الخيالة من مئة إلى ألفين.

ويسمى بالجمع ما كان (ألفاً) أو نحوه، وفي المثل (يا محورب حورب)[٦].

قال: (تلاقت الجموع).

٢ ـ **العقيد**: ويسمى المنوخ إذا كان عقيد الجمعة، وهذا يتولى قيادة الجمع أو أقسامه المذكورة أعلاه، ونصيبه متفاوت على ما سيجيء.

٣ ـ **الخشر**: وذلك بأن يتفق الغزو على أن تكون الغنائم لجميع الغزاة، ولقسمتها قواعد تابعة لنوع الغزو وماهية الغنائم.

٤ ـ **كل مغيرة وفالها**: ومن هذه يتفق الغزاة على أن تكون الغنيمة لغانمها ولا يشاركهم فيها أحد إلا أن نصيب المنوخ أو العقيد محفوظ ومعترف به.

٥ ـ **العقادة ونصيب الغانمين**: وهذه تابعة لنوع الأغراض التي غزا القوم من أجلها وشروط العقد الجاري، وغالب ما هنالك أن نصيب العقيد مختلف.

ففي (الركب) يأخذ العقيد النصف إذا كان الكسب من (المرحول)، أو يكون نصيبه (المرحول) وحده إذا كانت الغنائم مختلطة.

---

(٦) الحوربة عند أهل نجد بمعنى موال العرضة. ابن عقيل.

وعادة الركب في الغالب أن تكون الغنائم بينهم (خشراً)، ولا يدخل الخشر ما استولى عليه الغازي بصورة (القلاعة) وهي أن يجندل محاربه ويستولي على فرسه وهذه تسمى (قلاعة).

ومن يتناول الغنائم قبل كل أحد فيربح نصيباً وتكون له (طلاعة) وهي ناقة أو ناقتان إلى ثلاثة وتسمى (حواية).

وسربة الخيل لا تختلف عن الراكب في حكم الغنائم. وغالب الجمعة أن تتفق على أن تكون (كل مغيرة وفالها) أي أن يكون المكسب لمكتسبه، وفي هذه يأخذ العقيد الخزيزة وتسمى ناقة الشداد يختارها من كل الغنيمة، ثم يأخذ العوايد وهي ما يسمى بـ (ابقع ظهر) ويقال له المرحول ويراعى الطيب مع من يوده فيبره ببعض العطايا أو يمنح من ظهرت له قدرة ومهارة، والباقي في حالة الخشر يوزع بين الغانمين.

وفي البيرك (البيرق) أو (اللواء) يأخذ الشيخ وهو العقيد ما يختاره مما يسر من أمامه ويسمونه (مسرياً)، ولا يأخذ من المعروفين من العشيرة ممن هم لزمته (أقاربه الأدنون)، وكذا لا يأخذ من الفارس الطيب وهو الذي يتفادى في حروبه ولا من المحترمين، وبعض الأحيان لا يأخذ الرئيس إلا أنه إذا أخذ يوزع القسم الأكبر منه.

وعلى كل حال لقسمة الغنائم طرق متبعة، والاختلاف فيها كبير، ومن جراء هذا يرجعون إلى العوارف.

وقد يرجع إلى الغزاة الغانمين بعض من نهبت أمواله، ويطلب منهم أن يعيدوا له قسماً منها فيقول (الحذية) ويقال له (أبشر بالعطية).

وهذا يرى أن سوف لا يتمكن أن يعيش بعد أن ذهب كل ما عنده، يلتمس ويطلب أن يعطوه، ولم يكن من المحتم أن يبذلوا له، فقد يمنعونه ويحرمونه، إلا أن العطاء يدل على نبل وكرم في النفس، والمنع يدل على لؤم

وخسة في الطبع ولا يقع في الأغلب وقد تكون نفس من نهبت أمواله أبية لا ترضى أن يطلب العون والمساعدة من عدوه، وإذا كانت الغضاضة قوية وفيها قتل وإيلام فلا يعطى طالب العقلة.

والمنع نادر جداً، والعقلة هي المال الذي يعطى للمنهوب منه ويسمى (حذية).

والحذية أيضاً ما يمنح به المتخلف عن الغزو لسبب، أو يكون الطالب فقيراً، وفيه من الضعف ما لم يستطع به أن يقدر على الغزو فتكون له شرهة على أقاربه الغانمين.

وكل ما تقوله في العقلة أو الحذية أن البدوي كبير النفس، نراه يعفو في أشد ساعات الحرج، وفي أنجح أوقات الربح يمنح، ويعد عندهم العفو عند المقدرة من كريم الخصال، ونرى القوم يفتخرون دائمًا بما عفوا به، أو منحوه لطالب العقلة، وكأن طالب العقلة يريد ما يتقوت به كما أن العقلة واسطة نجاة الحياة.

ملحوظة: يقال للآبار ثبرة وجمعها (ثبار) في البادية وتسقى منها الإبل ويقال لها (عقلة) أيضاً.

وغالب الحروب بين البدو على العقلة هذه، وقد يتقاسمون بينهم بسبب تدخل العاذلين خصوصاً إذا كانوا أقارب، ولكل عقلة اسم خاص بها مثل (الحزل).

ومن آبارهم المعروفة: البريت، والمجمى، واللصف، والمعنية، والنصاب، والحمام، والعاشورية، واللعاعة، والشبرم، وراقصة، والشبحة، والصيكال، والصميت والامكور وهي عقل كثيرة.

وبين هذه الأبار المطوي، والعقلة، والوقائع عليها كثيرة لا تحصى، وللمؤرخين تدوينات في آبار العرب.

اشتهر كثيرون بالشجاعة والحروب، ويطول بنا ذكر من اشتهر، أو كل من قيل فيه شعر لما برز من شجاعة، وأبدى من تفادي.

ومما قيل في عبدالمحسن والد فهد وعقيل آل هذال:

يا مزنة غرا تمطر شمال	ترمي على روس المعادي جلاميد[٧]
زبيديها يا فهيد روس الرجال	وعشبه قرون متيهين الاواليد
يتلون ابو عقيل ماضي الافعال	ماص الحديد اللي يقص البواليد

ومما قيل فيه في وقعة عبدالكريم قالها شارع ابن أخيه:

يا عم يا مسقي القبايل هدب شيح	يا حامي الوندات يوم الزحام
حيف الفرس تركض على القاع وتميح	يا عاد ما يقعد صغاها اللجام
حيف الفرايش تنهزع للمفاتيح	ليا صار ما يركي عليها الابهام

وهذا عبدالله بن تركي من آل سعود يخاطب آخر ويفتخر بحروبه ويلوم صاحبه قال:

وش عاد لو لبسك حرير تجره	وانت مملوك لحمر العتاري[٨]
من الزاد غاد لك سنام وسرة	من الذل شبعان من العز عاري
يوم ان كل من خويه تبره	انالي الا جرب خوي مباري
نعم الصديق ولو سطا ثم جره	يدعي مناعير النشامى حباري
من طول المسرى سرى واستسره	ويمدح مصابيح السرى كل ساري

وقال محمد من الصقور:

يا مزنة غرا من الوسم مبذار	برق جذبني من بعيد رفيفه

---

(٧) يستقيم الوزن بتشديد الطاء من تمطر. ابن عقيل.

(٨) قافية الشطر الأول بمد الراء هكذا: تجرى، سرا... إلخ.
هذه هي الرواية الصحيحة.

قطعاننا ما يقبلن دمنة الدار — يرعن صحاصيح الفياض النظيفة
وترعى بها قطعاننا غر وجهار — وتربع بها العر النشاش الضعيفة
يبني عليها بنية اللبن بجدار — وعقب الضعف راحت ردوم منيفة
ترعى من البكري الى خشم سنجار — ومغيزل يروي حدود الرهيفة[٩]
وحنه نرى هذا لك الله لنا كار — وعن جارنا ما عاد نخفي الطريفة
واحد على جاره بختري ونوار — واحد على جاره صفاة محيفة
وخطو الولد مثل النداوي ليا طار — وصيده جليل ولا يصيد الضعيفة
وخطو الولد مثل البليهي ليا ثار — وزود على حمله نقل حمل اليفه
وخطو الولد ينبش على موته النار — وعود على صفر تضبه كتيفة
والجار لا بده مقفي عن الجار — وكل على جاره يعد الوصيفة
نرفي خماله رفية العش بالغار — وندعي له النفس القوية ضعيفة

وهم عند الغلبة قد يلجأون إلى ما يسمى بـ (المنع)، وهذا يعني أن المنهزم أو المنهزمين قد يجدون أنفسهم في خطر فيكونون في (منع) أحد وجهاء الغانمين ويتمكن هذا من إعطاء حق المنع لواحد فأكثر إلى مئة، ويدفع عنهم القتل إلا أنه تباح له خاصة أموالهم، ولا يستطيع أن يتعرض لهم أحد بمجرد أنهم دخلوا في منعه، وفي بعض الأحوال لا تقبل الدخالة، ولا يجري (المنع) إذا كان بين المتحاربين ترات ووقائع مؤلمة أدت إلى قاعدة (الطريح لا يطيح) فيقتل كل من استولوا عليه، وهذا يجري حكمه في الحقوق المتقابلة وانتهاك حرمتها بين المتقاتلين.

و (المنع) في الغزو غير (الوجه) المعروف بين القبائل.

□ □ □

(٩) في الأصل: وترعى بذر الله ثم ومشعان؟!.

- ٤ -

نماذج من الأحديات

[مما أورده موزل وغيره]

قال لزام بن ظاهر أبو ذراع شيخ الصمدة من الظفير:

عاشت يمينك يا ولد   شوايعك جتنا من بعيد
هذي مراكيض الولد   ما يضرب الا بالوريد
يا ابا الخلا ذرب جوابك   يا شين ما حنا عبيد
حنا ذراكم من شمال   يوم انت بالرقعي تصيد[1]

وقال أبو ذراع:

ابو عجاجة وش بلاك   صارت براسك رابعة
ستة اكوان مطبقات   وبعد عليك السابعة[2]

وقال أحد الحداة:

يا طارش من عندنا   سلم على عم العبيد
من دور فارس ضدكم   تبيد الدنيا ولا نبيد[3]

وقال أحد الحداة:

رمحة فتلنا عقالها   ودلو الدنيا يستدير[4]

---

(١) عشائر العراق ١/٣٠٣ وأورد منها السديري البيتين الأخيرين.

(٢) عشائر العراق ١/٣٠٤ ويستقيم البيت هكذا:
اكوان ستة.

(٣) عشائر العراق ١/٢٠٥.

(٤) يستقيم هكذا: وللدنيا دلو يستدير.

يـا طـارش لابـو نـواف فـنـه عـلـيـنـا يـصـيـر
حـنـا عـلى خـطـو الـمـرام نضرب على الدرب العسير[5]

وقال حاد من الصايح:

صـوايـح والـخـيـل عـزم والـيـا لكـدنـا مـا نـشـوف
عـاداتـنـا رمـي الـمـحـزم لعيـون كـل غـرو هنـوف[6]

وقال حاد من الرولة:

كـريـم يـا بـرق سـرى يـسـقـي الـغـدف ومـعـيـلة
يـسـقـي مـداهـل نـوقـنـا وضـح وذراهـا مـنـيـلة

وقال برجس بن مجلاد:

يـا سـاق يـا الضلع الـطـويـل الـعـود وصـاني عـلـيـك[7]
لـعيـون منـسـوع الـجـديـل الـحـربـي مـا والله يـجـيـك

فأجابه شاعر حرب بقوله:

يـا سـاق يـا الضلع الـطـويـل آمـن وحـرب تـحـمـيـك
والـوايـلي قـفـى ذلـيـل اللي حلف مـا احـد يجيـك
فـرقـا خـلـيـل من خـلـيـل فـارقـك لـو وصى عليـك[8]

---

(٥) عشائر العراق ١/٢٠٥.

(٦) عشائر العراق ١/٢٠٤.

(٧) هذه رواية العبودي، وعند السديري:

يـا سـاق يـا الضلع الـطـويـل الحـربـي والله مـا يجـيـك
لـعـيـون نـقـاض الـشـلـيـل الـعـود وصـاني عـلـيـك

(٨) بلاد القصيم ٣/١١٣٩.

وقال أحد الحداة:

يا اللي تمنى حربنا	غويت يا غاوي الدليل
كم واحد من ضربنا	دمه على الشلفا يسيل[٩]

ومما أورده موزل قول أحد الحداة:

يا هجمة عنده حراس	والموت عند اركانها
ياما قطعنا عندها من راس	ما درهمن حيرانها

وقول الآخر:

العليا ترعي بالخطر	والرجل فوق المعلبة[١٠]
حنا كما سيل حدر	ننفي العدا بالمجنبة

وقال الحادي:

لعيون شقح دوجت	نسمع بهادن الجرس
ان ما رميت لعبدالكريم	يحرم علي ركب الفرس

وقال أحد الحداة:

يا لابتي حطوا غلب	والريش مردوم عليه
يا حيف يا خطو الولد	ينير ومشروه عليه

وقال آخر:

اطعن لعيني صاحبي	واطعن لعيني عندلي
قلبي غدا به صاحبي	مني عطية جندلي

---

(٩) تذكرة أولي النهي وذكر أنه حداء الشمريات في جراب ٢/١٨٤.

(١٠) نسبها السديري لحاد من شمر ورواها هكذا:

ترعى البويضا بالخطر. ربعي كما سيل.. زاح العدا من.

وقال آخر:

اطعن لعيني بنت ابن قبلان　　اخت الذي زبن الطريح
العين عين مشذر الغزلان　　عشيقها ما يستريح

وقال أحد الحداة:

لعيون من لبس الحرير　　شقر ذوايب راسها
واليا تلاقوا بالوعد　　والشيخ بمحاسها

وقال حاد:

ارخصت عمري والفرس　　دون الجمال اللي عليه
يا ابو قرون كنها المرس　　قلبي مشتاق عليه

وقال الحادي:

كل يوم عيد للبنات　　واليوم هذا عيدنا
نرمي العشا للحايمات　　لعيون من تريدنا

وقال أحد الحداة:

حنا زيزوم الحرب الاول　　نصبر ولو انه ثقيل
كم من طموح من عدانا　　راحت تدور له حليل

وقال الحادي:

ياما حلا طرد السبايا　　من فوق مشمرة الشليل
ويـاما حلا حب الثنايا　　اليا صار عشقك صغير[11]

---

(١١) هذا الشطر على غير القافية، وهو مختل الوزن، ويستقيم هكذا:

لا صار عشيقك حليل

بتشديد الشين.

وقال الحادي:

يـامـا حـلا طـرد السبـايـا   لا صرت من فوق الجمـوح
ويـامـا حـلا حب الثنـايـا   لا صـار عشيقـك طمـوح

وقال الحادي:

يـا راكـب حـر مـعـنـى   ومـشـذر زيـن الـفـديـد
والله مـا نـخـلي وطـنـا   لـعيـون مـن لبسـه جـديـد

وقال أحد الحداة:

لابس زبـون قـمـاش وجبـة   والـمـوت والله مـا طـرى
لـعيـوني من عـطاني حبـة   وامـهـا وابـوهـا مـا درى

وقال الحادي:

لعيـون من فـج الـذرا ويـويق   عـطشـان ويـبـغض شـوفـنـا
عـاداتـنـا فـك الـوسـيـق   جـيـب الـقـلايـع حـوفـنـا

وقال الحادي:

مـمـدوح والله مـا نـروح   نـهـوش عـنـد ديـارنـا
لـعـيـون مـن قـرنـه يـلوح   ذبـح الـسـواري كـارنـا

وقال الحادي:

لا بـد العسكـر دارع بـالخيـل   امـا يـجـي والا يـروح
لعيـون من ريحـه زبـاد وهيـل   اللي عـن العـافـة طـمـوح

وقال أحد الحداة:

يـا محمـد شفت ابن رمـان   عـيـنـتـه حـمـاي الـظعـن

ولـد الـفـريـجـي زقـلبـه　　لـعـيـون بـيض فـرعـن

وقال الحادي:

لـي صـاحـب زينـه شنـاح　　حـلو سـواد عـيـونـهـا
لا فـرعـت عـلى الـمبـطاح　　الـعـمـر يـرخص دونـهـا

وقال الحادي:

بنت اخـو قـطنـة يـا نـواف　　تـركـيـة لا تـجـونـهـا
الـيـا تـلاقـن بـالـسـمـاح　　اقـلطك لـعـيـونـهـا

وقال الحادي:

بنت اخـو قـطنـة يـا سـطام　　شـقـحـا يـعـوزك لـونـهـا
تـصـد جـمـوع غـربـت　　مـا ظـنـتـي يـعـطونـهـا

وقال الحادي:

يـا راعـي الحـمـرا شـنـوف　　يـا حـلو شـبـطة راسـهـا
يـامـا حـلا حـب الهـنـوف　　ومـلاعـب بـفـراشـهـا

وقال الحادي:

يـا هيـه يـا راعي الـقعـود　　ومـقـلد ريش الـنـعـام
الـقـلب من يـمـك يـهـاب　　والـعـيـن عـيـت لا تـنـام
من شـانهـا نـرخي الجـريـر　　نـرمي العشـا للطيـر شمـام

وقال أحد الحداة:

يـا بنت يـا شقـرا الـذوايب　　يـا عـين ظـبي النـازيـة[١٢]

---

(١٢) النازية: كل مرتفع في عرف أهل الشمال.

القلب من يمك منهوب والعين ما هي عازية

وقال الحادي:

هيا يا ابو شليل وهيا يا ابو ثمان
انت تعطيني الله وانا اعطيك امان

وقال الحادي:

يا راعية الاوضح عن الردي شومي
شومي لاخو حية يا زينة المضيوم
شومي لوجه الله جلاي الهموم

وقال الحادي:

راعني يا ابو زميم راعني حتى تشوف طعانيه
يا ابو زميم لويته كيف؟ عن النذل ما هو ليه

وقال الحادي:

يا شوق يا زين المذارع يا عود ريحانة رجوح
اما حمينا لك مشارع والا عن الديرة نروح

وقال الحادي:

يا رب نطلبك الهدى والستر والعلم المليح
ربعي مدابيس العدا وان حرفوا عند الطريح(١٣)

وقال الحادي:

---

(١٣) عند السديري: يا الله طلبناك.. وان حولوا خلف الطريح.

هبي لنا هبوب الريح هبي لنا　　اليامـا تكـامـل خيلنـا[14]

وقال الحادي:

يـا رب يـا الـرب الـرحـوم　　تـرمي الحيـا بـديـارنـا[15]
نـرمي العشـا للي يحـوم　　لـعيـون جـل بـكـارنـا

وقال الحادي:

شهـرين مـا جـاني عـلام　　واشـوف السلطة مستـريـح
يا وجه الذيب ان طالع الرعيان　　ادنـاهـم واقصـاهـم يصيـح

وقال الحادي:

يـا اهـل السبـايـا طهـورهن　　نـادى المنـادي بـالفـلاح
لاجـا الـطريـح بنحـورهن　　شـربي نقـع عقب المـلاح

وقال الحادي:

يـا اللي تلوبـد بـالشعيب　　مـا عنـدنـا الا سبـعكـم
نـرمي العشـا للذيـخ الاطـوق　　ونـطرح قـعيـدة ربـعكـم

وقال الحادي:

يـا خـايفين من المنـايـا　　المـوت مـا جـالـه نـذيـر

---

(١٤) هذا مختل الوزن وأتوقع أن صحته هكذا:

هـبي لـنـا هـبـوب الـريـح　　هـبي لـنـا هـبي لـنـا
هبي لـنـا هـهـبـوب الـريـح　　لا مـا تـكـامـل خـيـلنـا

(١٥) نسبها السديري إلى حاد من شمر هكذا:

يـا الله طلبتـك يـا الجـليـل　　تـرمـي الحـيـا بـديـارنـا
عـاداتـنـا جـدع الـعـديـم　　لـعـيـون جـل بـكـارنـا
والى تـلاقـن سـربـتـين　　جـدع المـدرع كـارنـا

الخوف ما فك الحباري   ولا طول العمر القصير

وقال الحادي:

يا اهل السبايا روسهن   لاما عمامي يلحقون
نقالة شغول العجم   ذباحة ما يرحمون

وقال الحادي:

يا لابتي يا محيلين الخيل   ترى العصب عاده بلاه
اما نفك ديارنا   والا نجوز من الحياة

وقال الحادي:

راكان يصوت بالمنام   يا من يبشرني بعقيل[١٦]
ربعي محددة الجمال   كسارة للجمع الثقيل

وقال الحادي:

يا الله طلبتك يا الكريم   ما هو على كثر الحلال
ما هو على مال عظيم   نرمي فهد والا طلال

وقال الحادي:

تدلهي وارعي هواك   يا حايل مع فطري
واللي يردك عن هواك   هذاك علمه ما ينطوي

---

(١٦) راكان بن مجلاد شيخ الدهامشة من عنزة قال محمد بن مجلاد (سعران):

يا طارش لابن هذال   شيخ العشاير والبلد
اللي يبا له ما يصير   راكان عقب له ولد

وقال الحادي :

اطـعـن لـعـيـنـي فـاطـري   واطعن لـيـا هـاب الـذليـل
ان مـا حـمـيـتـه بـالـقـنـا   يـا ليت ما عمـري طـويـل

وقال الحادي :

اطعن لعيني بـكـرة مشعـاف   وضـحـا تـضـد حـوارهـا
من فـوق شقرا كنها الخطاف   ومـعـسـكـر مـسـمـارهـا

وقال الحادي :

شـقـحـا تـعـاود لـلرحـول   يـوم الـصـبي دودى لـهـا
تـشـره على اللي يـطعنـون   يـوم الـجـنب يـبـرى لـهـا

وقال الحادي :

يـا نـايـم عـن فـطره   مـجهـول عـينـه بـالـسـهـر
حـلوبـتـه ركـوبـتـه   جـلوبـتـه يـوم الـدهـر

وقال الحادي :

يـا نـايـم نـوم الـفـهـد   لا تـقـعـدون الـنـايـم
اعـطوا الـعـشـايـر حـقـهـا   والـروح مـا هـي دايـم

وقال الحادي :

يـا حـزوم واحـلب لـلفـرس   يـذكـر ابـو هـايـل لـفـى
حـرايـب مـا بـه مـنـاص   ولا بـه على الجـاهـل خفـا
ابغي عليهـا نـطحـة الطيـار   والـعـلـم لا قـلتـه وفـى

وقال الحادي:

وش عاد لو رد النقا فرحان ويشوف نفسه زايدة[17]
نروي الغلب ومذلقات الزان ونعوده عوايده

وقال الحادي:

يا دغيم واشوفك بدين شبعان ولا انت بحالنا[18]
جنب عن الصيهد يمين نبغي نكيل لعيالنا

وقال الحادي:

يا طارش لابن هذال يقبل على الما والربيع
بين الابيض والغدف بسهلة تلعب جميع

وقال الحادي:

يا ذيب يا ذيب اذرعات صوت على ذيب البطين
ان كان عيالك مقويات دونك ابو لحية سمين
بشلفا من كف ابن شعلان فرق حبيب عن جنين

وقال الحادي:

يا دغيم لا خلفت عليك خطمت وعقبك الفلاح
من عقب ماريشك كثير واليوم مفقوم الجناح

وقال الحادي:

المشرف ترطن رطين تجاوبت هي والعلاه
ابن شعلان اكل سروح زود على حمص وحماه

---

(١٧) هو فرحان الجرباء.
(١٨) دغيم: ابن هذال شيخ العمارات

وقال الحادي :

يا لابتي توي شربت الكيف والكبد جلينا صداه
من عجة صارت عليهم بين السويدا والعلاة

وقال الحادي :

يا سربة جت تحتدي ما سندوا جها لها
ياما عذلناهم وعيوا ياما بطل عذالها

وقال الحادي :

يا طير يا اللي تدير الحوم سلم لاجيت طير حومة
عثيرها ذعذع بالقوم تلقى تعاجيب بعلومه
ولوا جماعة غشاكم لوم اللي مع الحيد مزمومة

وقال الحادي :

يا الله طلبتك يا غفور يا ابا الدرج العالية
تجعل لنا حظ يثور بالاولة والتالية

وقال الحادي :

فالكم يا غزو طيب فالكم طرش عزيب
فالكم يا غزو طيب فالكم طرش قريب

وقال الحادي :

ياما حلا طاري الحرايب والشيخ يوقد نارها
من فوق مشمرة الشليل ومعسكر مسمارها

وقال الحادي :

حريبنا مثل العليل واليا برى عاده بلاه

عاداتنا ذبح الحليل والطامحة تلحق هواه

وقال أحد الحداة:

البارحة خلي قريب واليوم وين ديارهم
عليك بالرجم الطويل غديك تطالع نارهم

وقال الحادي:

ابغى اتمنى منوتي شقرا ذهوب محجلة
ابغي ليا لحق الطلب اريضها ما اعجله

وقال الحادي:

يا عم واشتر لي جموح يا مير ما هي سايرة
لا بد من يوم يصير به القلايع خايرة

وقال الحادي:

عمي شرى لي مهرتي لا يا بعد كل العمام
اليوم واروي حربتي واضرب على وسط القتام

وقال الحادي:

ياما حلا ركب الاصيل ياما حلا هذباتها
مع سربة ما هي قليل على العدو عيلاتها

وقال الحادي:

يا مهرتي خبي خبيب والهرف لا يطري عليك[19]

---

(19) نسبها الأمير السديري لدلي الومير العنزي شيخ الخرصة من ضنى ما جد من الفدعان هكذا:

والمشي لا يطري عليك.. الغوج لا يطري عليك

ما طول اخو قطنة حريب	الغوج لا ينزي عليك

وقال الحادي:

الاسمر اللي قادها	والبيع ما يطري عليه
ياما حلا حوز الرداني	والمقزر يزهى عليه

وقال الحادي:

يا هيه يا راعي القعود	ريضي قعودك يمنا
من عقب ما حنا بعيد	الحمد للي لمنا
واليا تلاقن بالسماح	نرضيك ونزعل عمنا[20]

وقال الحادي:

يا عضيب يا مرخي الجرير	يا شوق مردوع الوشام
مخلي العجوز من الجنين	يا اللي صويبك ما ينام

وقال الحادي:

يا هطيل واقلبي غدا	ما بين دليل والرثوع
يا هطيل لو تشوفها	ما تلبس الملثم دلوع

وقال الحادي:

وجدي على الربع سند	لا طنب الراغي يصيح
زبن الحصان اليا بلد	الربع كساب المديح

وقال الحادي:

يا عيال دقوا البارود	للمغربي مخ الحديد

(٢٠) نسبها الأمير السديري لبرجس بن مجلاد.

لا بـد مـن يـوم يـعـود يـفـرق وديـد عـن وديـد

وقال الحادي:

نـرمي العشـا بنحـورهن للطيـر لا كـنـهـبـوا عـنـهـا ورا
بمشنشـلات صنعهن بـالـديـر بـرقـاب عـدلات الـقـنـا

وقال محمد الطويل العجمي شيخ آل جحيش:

يا من لقى لي شارب الفنجال شـراب فـنـجـال الـطويـل
كـانك شجاع فانـطح الخيـال وافعـل ليـا هـاب الـذليـل
وانـا عـلى مـثـل الـغـزال تـرفع بسمك الراس والشليل
عيب على اللي ماوفى لا قال وضرباح مـا هو لي عـديل[21]

وقال نافع بن فضلية في بقرة مضاوي بنت الملك عبدالعزيز وقد رآها تمرح في الخفس[22]:

عينيـك يـا بقـرة مضـاوي ارعـي وحـنـا مـن وراك
الخفس مـا هـو لـك حـراوي ميـر الـملك طـول خـطاك

وقال حاد آخر:

بـنـت الـشـرابي صيـحـت شـقـت جـديـد ثـيـابـهـا
ودقـة صـارت عـلـيـه تسـوى الجـزيـرة ومـا بهـا

□ □ □

---

(٢١) ديوان ابن فردوس ص ٢٣١.
(٢٢) معجم اليمامة ١/٣٩٤.

ـ ٥ ـ
نبذة عن تاريخ نجد للشيخ ابن بليهد

هذه نبذة نفيسة جداً للشيخ ابن بليهد مدفونة في كتابه صحيح الأخبار تسجل أحداثاً وتفصيلات أهملها المؤرخون، كما تحفظ أسماء بعض الأعلام خاصة من الفرسان وتسجل بعض العادات الحربية.

وهذه المناخات ستكون موضوعاً لعدد من قصائد ديـوان الشعر العامي، وهي من أهم الأحداث عن تاريخ نجد في عصور العامية، بل هي أهم من أحداث القرى التي عني بها مؤرخو نجد.

ومن كبار الأعلام في عصور العامية الشيخ محمد بن هندي لهذا أحببت إيراد هذه النبذة بكامل نصها لتكون مدخلاً عاماً لكثير من القصائد سترد ولها علاقة بهذه المناخات ولتكون مدخلاً لدراسة أعظم قادة هذه المناخات وهو ابن هندي.

وكتاب الشيخ ابن بليهد كتاب رائد إلا أنه كحب الشعير مأكول ومذموم.

ولقد مني بكثير من الجحدان والتنكر من قبل المختصين لا يكادون يذكرونه إلا متعقبين، وما وجدوا له من صالح دفنوا!!

فالفصل الجيد الذي كتبه عن المقارنة بين الشعر العامي والشعر الفصيح تناهبه الدارسون ولم يعزه إليه أحد منهم كابن خميس والزامل والكمالي.

وكلامه عن تموج القبائل في نجد أخذ في وضح النهار ولم يسند إليه كلمة.

وأغلب أصحاب المعجم لا يذكرونه إلا متعقبين، ولم يتركوا الرجل وشواهده، من الشعر العامي بل أغاروا عليها.

والفصل الذي كتبه الشيخ ابن خميس في المجاز عن تموج القبائل إنما هو تلخيص جيد لما كتبه ابن بليهد آخر هذه النبذة التي سأوردها إن شاء الله.

وربما قيل: صحيح الأخبار إنما كتب لابن بليهد!

وهذا حق فابن جبير نسقه له لأن أسلوب ابن بليهد النثري ضعيف وهناك من الأحياء من يدعي المساهمة في كتابة صحيح الأخبار.

ولكن ما لا يجوز أن يكون محل خلاف القطع والجزم بأن معلومات جميع الكتاب هي اجتهاد وعلم ابن بليهد وهو رجل رحالة ملم بأخبار العرب المعاصرين وشعرهم مشافهة وكتابة، كما أنه عارف بأخبار العرب القدماء وشعرهم قراءة وهو قارىء ممتاز بالنسبة لعصره.

وإذا كان في صحيح الأخبار من ناحية تحديد المواضع أخطاء قليلة أو كثيرة شنيعة أو بسيطة فلا يعني ذلك التنكر لريادته، بل هو رائد في فكرة الكتاب وفي حشد شواهده وفي التمهيد للمرجحات التي عورض بها ابن بليهد نفسه.

كتبه على فقر المكتبة العربية في عهده في جزيرة العرب بالذات واعتمد على مشاهدته وكان خطؤه ـ لو فرضت كثرته ـ مرجوحاً بجانب حسناته.

والشيخ حمد الجاسر لم يكن موقفه من صحيح الأخبار موقفاً جباناً فقد رد هو وخالد الفرج على ابن بليهد في حياته وصححا كثيراً من أوهامه في عدة حلقات ورد عليهما ابن بليهد حسب اجتهاده.

وإنما يلام أصحاب المعجم بأن موقفهم من صحيح الأخبار إلا في النادر موقف من لا يرى صحيح الأخبار حجة في شيء بل ان احتفاءهم

بمعجم ياقوت على علاته أعظم من احتفائهم باجتهاد ابن بليهد نفسه في بلاده ومواضع انتجاعه.

ولا ريب أن تحقيقات الشيخ حمد وأصحاب المعجم هي التي عليها المعول والرجحان لتيسر سبل المواصلات والحصول على مزيد من المصادر المطبوعة والمخطوطة وتضافر الجهود ولكن الأمر في أقصى حالته ليس سوى التتميم لمسيرة ابن بليهد.

إنني .أرجو أن أجد في المعجم أي لفتة تحتفي بأدنى سابقة لابن بليهد.

هذه هي المعادلة في موضوع واحد من موضوعات صحيح الأخبار وهو تحديد المواضع.

أما النفائس الأخرى المدفونة في الصحيح من أشعار عامية وتأريخ لما أهمله التاريخ من أخبار العرب المتأخرين وعاداتهم فلا يسوغ السطو عليها بالشكل الذي نراه حتى لو تأتت للناقل بطرق أخرى بإضافة أو تصحيح بل يجب أن يرد الحق إلى نصابه حتى يعلم ما أخذ من ابن بليهد وما أضيف إليه وما رد عليه.

وسأحرص إن شاء الله على تناول نفائس ابن بليهد خلال أسفار هذا الكتاب وإيرادها بنصها والتحشية على ما تلزم التحشية عليه لأنني جازم بأن أسفار هذا الكتاب ستكون مرجعاً للشعر العامي والفن الشعبي وتاريخ نجد وما حولها، فإذا لفت النظر في هذا المرجع إلى نفائس ابن بليهد فحسبي أنني أديت أقصى ما أقدر عليه من حفظ للأمانة العلمية.

قال الشيخ ابن بليهد رحمه الله عن مناخات العرب المتأخرين وعاداتهم وتموجات العرب في جزيرة العرب:

أما يوم المروت الأخير فاجتمع من عتيبة جمع عظيم من برقا

والروقة، ورؤساء برقا يومئذ محمد بن هندي بن حميد وهذال بن فهيد الشيباني وابن حجنة والهيظل وأبو العلا والدهنية وأبو رقبة المهري، وقد حضر أغلب برقا ذلك اليوم.

ورؤساء الروقة الرباعين والمحيا، والمياه التي تشربها عتيبة صميغان، والخيس، وأبو مروة، والسديري، وجميع هذه المناهل في أسافل عرض ابني شمام متاخمة للمروت.

ورئيس مطير نايف بن هذال بن بصيص ومعه جماعة من بريه، وهم بطن من مطير ليس بالكثير.

والحاضرون من قحطان آل روق، ورئيسهم محمد بن حشيفان، وكلا الفريقين على ماء الحرملية التي مر ذكرها.

وأنا لا أعلم أن عتيبة هزمت في يوم من الأيام التي تقع بينها وبين أعدائها في نجد إلا في ذلك اليوم، وهو معروف عند أهل نجد (مناخ الحرملية) ولكن نايف بن هذال بن بصيص من أهل الثبات في الحرب، وعدد مطير قريب ثلث عدد العتبان، وقد انهزمت في أيام الحرب الأولى المطران والقحطانيون هزائم يسيرة.

وفي بعض هزائم المطران مر فيحان بن زريبان رئيس الرخمان من مطير على ضميدان العارضي مذبوحة راحلته، فعرف فيحان بن زريبان فقال بعدما ندبه: لا تتركني، وضيدان المذكور من أرمى أهل زمانه بالبندقية، فعرف فيحان ضيداناً، وقال: اركب.

فلما استوى على ظهرها رماها رجل من رماة العتبان، فسقط الاثنان مع سقوط الراحلة، فمشيا على أقدامهما، فالتفت فيحان بن زريبان إلى ضيدان العارضي، فقال:

يا عمري عمراه، خشية من القتل، فقال له ضيدان: لا تخف ما دام في حزامي رصاصة واحدة.

فتقدمهم رجل من آل محيا على جواده، فرماه ضيدان فجند له، وما لحقهم من الخيل رماه، فتقدمهم رجل يقال له فلاج البراق من جماعة ابن ربيعان من الروقة، فسد الثنية، ومعه بندقية، فجلس له ضيدان، فضربه برصاصة من بندقيته، وهي من الصمع فيما بين عينيه فجند له، فاتسع أمامهما الطريق، وانفرج لهما فسارا حتى وصلا أهلهما على ماءه الحرملية، فقال فيحان بن زريبان أبياتا نبطية يذكر فيها قتل راحلته ويذكر ما أصاب ضيدان ببندقيته:

يا فاطري ما ارخصت فيها بالاثمان	إلا بيوم ما يقلب صويبه
رديتها لمنجي الحُرد ضيدان	ما نيب من بالضيق ينسى صحيبه
رديتها من ريع سوفة على شان	تنجيه وقت الضيق والا تجي به
قلت استرح في كورها يا أبو سلطان	وللناس مع هاك الثنايا حطيبه
صيبت وغطانا من الملح دخان	وعج كثير ولا نشوف الظريبة
قال ابتجح بالنصر يا ابن زريبان	والطير يبشر بالعشا من عتيبة
يا زين ذبحه والملح له ترنان	لابن محيا عند خشم الجذيبة
ثم ذبح عندك جوادين وحصان	وفلاج بالدشة وراها رمي به
هذا عشى للضبع والذيب سرحان	أيام بالمروت يرفع قنيبه

انظر تر شعراء الجاهلية ذكروا المروت، وذكر جرير سوفة في قصيدته، لما ذكروا اليوم الواقع في هذا الموضع، ومنه تعرف أن المروت في جانب سوفة، وانظر هذا الشاعر العربي المتأخر تجده لما ذكر اليوم الأخير الواقع في ذلك الموضع نفسه ذكر المروت، وذكر سوفة أيضاً.

أما الهزيمة الشنعاء فقد كانت في آخر الأيام على عتيبة، وانتصر

الحاضرون من مطير ومن معهم من قحطان ولما شاء القضاء والقدر أن ينزل الهزيمة بالعتبان اجتمع رؤساء مطير وقحطان، يدبر أمر مطير نايف بن هذال بن بصيص ويدبر أمر قحطان محمد بن حشيفان شيخ آل روق، فقال نايف بن هذال: يا قوم تعلمون أن عتيبة أكثر عدداً منكم، ولكني سأعرض عليكم رأياً لا ينجح أمركم إلا به إني أرى أن نتناوش في القتال مع العتبان نحن معشر مطير، ويبقى من فرساننا قوم يجتمعون بيننا وبين العتبان فأتوهم من خلفهم، فإذا توجهوا إليكم كررنا عليهم كرة واحدة، قالوا: سمعاً وطاعة، وهذا هو الرأي، فدبروا هذا التدبير فلما التحموا جاءت قحطان ومن معها من المطران فأول من وقعوا عليه الشيابين ورئيسهم هذال بن فهيد، فانهزموا، وليست الهزيمة لهم عادة، بل هم أشد وأجلد الناس في الحرب، فلما رأى العتبان أن الميمنة اختلفت اختلف القلب، وتزعزع، ثم تزعزعت الميسرة، ثم كانت الهزيمة.

حدثني رجل ممن حضر هذه المعركة يقال له غايب بن معية من قبيلة العصمة، قلت له: هل صحت هزيمتكم يوم الحرملية، أو أنكم كنتم متراجعين لتتحيزوا لقتال؟ قال: لا والله، بل هزيمة شنعاء، ولم نتراجع إلا على ماءة عروى، وهي تبعد عن موقع المعركة مسافة يوم أو أكثر.

وقال في حديثه: لما انهزمنا كان رئيس قحطان محمد بن حشيفان على فرسه المشهورة وعليه جوخة حمراء، وهي عادة الفرسان في المعارك، يلبسون شيئاً يمتازون به على غيرهم وكان على أثر العتبان بيده سيف ومعه رمح، فإذا لحقهم قريباً أخذ يجالد بالسيف وإذا بعدوا عنه أخذ يرمي بالرمح، فقال مزيد بن مغيرق من قبيلة العصمة وهو من الفرسان ومن الرماة لأصحابه: إني قد عزمت على قتل هذا الفارس الذي أهلك القوم، ومع مزيد بن مغيرق بندقية من الصمع فأعدها ومال بجواده، وأخذ يراقب غريمه، فلما حانت له الفرصة انتهزها، وسدد بندقيته إليه، فكان فيها

حتفه، فسقط عن جواده، وأخذ مزيد الجواد، وذلك أكبر شاهد له على أنه هو الذي تولى قتله، فلم ينازعه في جواده أحد وهذا الجواد من أعرب خيل نجد وأكرمها، واسمها الطرقاء.

وكان فارس الدويخ من الروسان من قبائل عتيبة قد جلا عن وطنه من دم وغرم كانا عليه فنزل جاراً لصاحب هذا الجواد محمد بن حشيفان، وكان فارساً زري الهيئة قبيح المنظر وبعد نزوله عليهم بخمسة أيام أصبحوا فإذا الطرقاء ليست في مربطها، ثم وجدوا أثر رجل علموا أنه قد أخذها بليل واتجه بها إلى بلاد عتيبة، وكان من عادتهم أن هذا العتيبي يمنع عنهم في سلمهم فالتفت ابن حشيفان إلى ابنه فقال: ما ظنك بهذا الجار؟ يعيد إلينا الطرقاء أم لا؟ قال: لا أعلم، وإن جارك لا يعجبني، والكلام كله في أذن جارهم فارس الدويخ، ولما أتاهم في مجلسهم قالوا: ما رأيك في الفرس؟ قال: سنتبعها ونسير على قواعدنا، فركب الولد والجار على رواحلهما، وأخذوا يتبعون أثرها حتى أدركوها عند الشعراء عند رجل من الدعاجين من جماعة ابن عقيل يقال له ابن عرويل فلما كانوا في وسط منازلهم رأى فارس الدويخ ابن عرويل يقود الطرقاء قاصداً حوض ماء يريد أن يسقيها منه، فلما رآها قال لصاحبه صاحب الفرس: أنا رأيت الفرس ولا أحتمل أن أتركها، ولكن اندفع أنت إلى تلك الأخبية فإنها أخبية قومي الروسان، وانتظرني عندهم حتى آتيك بفرسك أو تأتوني ميتاً فتنزلوني قبري، وهو محتزم بخنجر، وهي من سلاح الأعراب كالسكاكين، فاعترض سائق الطرقاء قبل أن يصل الحوض فأمسك بزمامها، فقال له ابن عرويل: ما شأنك؟ قال: شأني أن أفتكها بيدي أو تقتلني أو أقتلك، وقانون قبائلنا بيني وبينك، فلما رأى ابن عرويل الجد وخصمه شاهر خنجره بيده فك حبلها بيده، وقال: بيني وبينك سلم القبيلة، فركبها واندفع إلى قبيلته فقال عند ذلك أبياتاً نبطية منها:

ما روح والطرقاء تبوج الدواوير   والله ما جنب عن قصيرة عيالي

والله ما أجنب عن رسنها ولا أسير　　إلا حـدينا للمقـابـر يشـال

فصح عندهم أن الفرس جارة له، فلم يداعوه فثبت أنه جار لأصحاب الفرس، وتركوا مطالبته ورجع الولد القحطاني إلى أبيه، ومدح الجار عند والده، وذكر ما رأى منه من الجد، وبقيت كلمة الولد التي يقولها لأبيه حين سأله عن الفرس في نفس الرجل، فلما رجعوا ووصلوا منزلهم استأذن ابن حشيفان الدويخ أن يرحل إلى جهة أخرى ولم يخبره بالسبب، فأعطاه ناقتين إكراماً له ورحل عنهم.

نرجع إلى رئيس مطير نايف بن بصيص فإنه رأس قوم من مطير ليسوا بالكثيري العدد يقال لهم الصعران، وهم من قبيلة بريه، ومطير تنقسم إلى قسمين: قبيلة علوى، وهم الذين منهم الدوشان من أكبر رؤساء مطير، وليس يرأس الدوشان أحد، بل يرأسون قبائلهم، القبيلة الثانية بريه الذين منهم الصعران قبيلة ابن بصيص، ورؤساؤهم كثيرون ولا أعلم رئيساً من الرؤساء لا من الدوشان ولا من غيرهم من القبائل حارب عتيبة وحادهم في بلادهم مثل هذا الرئيس نايف بن هذال بن بصيص، وكانت في أوائل القرن الرابع عشر أربعة مناخات بين عتيبة ومطير، وقد كان في هذه الأربعة كلها عمود مطير وعمادهم.

وسمي الاجتماع في الحرب مناخاً من إناخة الإبل يومين أو ثلاثة في مراحلها وقت المعارك خشية عليها أن تؤخذ، فيقال للاجتماع مناخ.

المناخ الأول مناخ الحرملية، وفيه انهزمت عتيبة.

والثاني مناخ الدوادمي، اجتمع عندها مطير قسم من علوى وقسم من بريه، أما رؤساء علوى فهم وطبان الدويش وعماش الدويش، ورئيس بريه هو الرئيس المذكور نايف بن هذال بن بصيص، وحرب بنو علي بطن من مسروح على ماءة عرجا رؤساؤهم عبدالله الفرم وصنيتان الفرم، وهم

عضد للمطران على عتيبة، وعتيبة على ماءة الشعراء رؤساؤهم محمد بن هندي بن حميد ومناحي الهيظل وخزام المهري وأبـو العلا وابن جـامع وأبو رقبة.

وفي يوم من هذه الأيام تناوشت فرسان مطير وعتيبة ورجع كل عن صاحبه من غير أن يهزم أحدهم الآخر، ورجـع العتبان، ومحمـد بن هندي بن حميد قد نالته إصابة ومناحي الهيظل قد نالته إصابة وخزام المهري قد نالته إصابة، وجزا أبو العلا قد نالته إصابة، هؤلاء الرؤساء الأربعة أصيبوا في يوم واحد برؤوس الرماح، ولم ير أحد منهم بأساً وامتد المناخ قريباً من عشرين يوماً، ثم رحل المطران من الدوادمي لم ينقص أحد منهم، غير أنهم رأوا العتبان كل يوم في ازدياد، لأن البلاد بلادهم، فلما رأوا ذلك ارتحلوا، وحين بلغ رحيلهم العتبان المقيمين على ماءة الشعراء ارتحلوا عن بكرة أبيهم ينوون الصباح على ماءة عرجا ونهب الذين عاضدوا المطران على حربهم، ولم يعلم برحيلهم الفرم رئيس بني علي، فجدوا أول ليلهم وقطعوه في السرى، فوصلوا عرجا صباحاً، ولكن ردهم الحربيون رداً عنيفاً، وتواقفوا إلى قريب الظهر، والحربيون لا يبلغ عددهم خمس العتبان، فلما زالت الشمس أو قرب زوالها أغار العتبان غارة رجل واحد، وهزموا حرباً بعد قتال عنيف ذهب فيه عدد من الفريقين، وقال التويجر من شعراء الروقة من عتيبة أبياتاً نبطية منها:

ليت نـايف حاضـر دقلة جملنا	والله ان يخلي نجد بالقلب النظيف
رديفكم شلناه من عرجة لاهلنا	واكبر عليكم يا مخليـة الرديف

وقول الشاعر ليت نايف يعني به نايف بن هذال الذي رحل من الدوادمي ولم يحضر.

والمناخ الثالث: مناخ الجنيفاء، وهو بين عتيبة ومطير، ولكن مطيراً لم

يحضر منهم إلا قوم من بريه يرأسهم الرئيس المذكور نايف بن هذال، وعتيبة لم يحضر منهم إلا قسم من برقاء وقسم من الروقة، وحضر هذا المناخ تريحيب بن شري بن بصيص، وهو أفرس رجل عرفه الناس في زمانه، وحدثت في هذا المناخ مناوشات وقتال، ولم ينهزم أحد، بل بعد مضي عشرين يوماً تصالحوا، والمطران يشربون من روضة مطربة ممتلئة من المطر الواقعة شمالي العيون عيون السر، وعتيبة يشربون خباري ومياه العيون، فتصالحوا على السلم فرحل المطران وجعلوا كثيب السر بينهم وبين العتبان، وقصدوا الجهة الجنوبية لأجل المرعى، ورحلت عتيبة قاصدة عالية نجد، فلما وصل العتبان الضال والتسرير قريب الدوادمي عارضهم الأعداء والغزاة يدفع بعضهم بعضاً، ورئيس الأمداد من برقاء هذال بن فهيد الشيباني، وقسم من الروقة كل قبيلة برئيسها، ولما التقى هؤلاء القوم الغازون بأولئك العائدين قالوا لرئيس برقاء محمد بن حميد: ارجعوا معنا، فأجابوهم بأنا تصالحنا مع ابن بصيص وقبائل مطير التابعة له وتهادنا أياماً معلومة، فلا نستبيح لكم أن تغازوهم قبل مضي هذه الأيام، فتريثوا حتى إذا انقضت مدة الهدنة فاجؤا مطيراً وهم غارون يشربون من غدير الحور بين ضرما ومراة، فاجتلد الفريقان ساعة من نهار وانتهت بقتل الفارس تريحيب بن شري بن بصيص ابن عم نايف بن هذال، ولم يكن عمره قد بلغ اثنين وعشرين عاماً، على أنه لم يقتل إلا وقد ذاع صيته وعرف بالشجاعة النادرة عرفته فرسان عنزة وفرسان شمر وفرسان حرب وفرسان عتيبة وفرسان قحطان، وفارس عتيبة على الإطلاق في مناخ الجنيفاء الذي مر ذكره خزام المهري رئيس الدغالبة اعترف لتريحيب هذا بالمنزلة العالية في الفروسية.

وهذه المعركة التي قتل فيها تريحيب هي المناخ الرابع.

ذكر الحوادث المتعلقة بذلك المناخ الرابع الذي قتل فيه تريحيب: لما

توجه الغزاة وهم عتيبة أقسام من برقا والروقة بعد لقائهم لمحمد بن هندي بن حميد وقومه الراجعين من مناخ الجنيفاء ساروا يلتمسون المطران وكان معهم امرأة على مركب من مراكب النساء هودج صغير وهي من قبيلة النفعة من عتيبة، فالتفت إليها فاجر السلاة رئيس القساسمة من ذوي عطية من الروقة، فقال: ما شأنك أيتها المرأة؟ فقالت: أنا امرأة موتورة قتل تريحيب بن شري أخاي بالأمس في المناخ، ولما أجد في قلبي من الحرارة والأسى على أخي رغبت في السير مع هؤلاء الغزاة طلباً لثأر أخي، فقال لها فاجر السلاة: تقتلينه أنت؟ قالت: لا والله تقتله أنت إن شاء الله، ثم التفت إليه ثانية فقالت: أتكفي أنت فتقتله؟ فقال: والله إن رأيته لأذبحنه، فكانت منية تريحيب على يده.

وفي اليوم الأول الذي قبل مقتل تريحيب بيوم اجتلدت الخيل، فلحق تريحيب خيل الروقة، فعثرت جواد ابن تنيبك رئيس المراشدة، وسقط عنها، فأخذها تريحيب فطلب إليه العفو، فعفا عنه وخلى سبيله فلما كان اليوم الثاني وجاء تريحيب على عادته أدبرت خيل الروقة وهو على أثرها، وكان فاجر السلاة قد عرفه بالأمس وأحب أن يفي بوعده للمرأة فأعد بندقيته من الصمع وهو من الرماة المشهورين، فلما أسند تريحيب واعترضت جواده رماه فأصاب ساقه فكسرها وأنفذ السهم في الفرس فسقطت، وسقط تريحيب معها، فجاءه ابن نتيبك الذي من عليه تريحيب بالأمس فقال له تريحيب: امنعني كما مننت عليك بالأمس، فقال ابن تنيبيك: لا والله بل أقتلك وأريح عتيبة منك، ثم قتله وأخذ سيفه وما معه من السهام، وبعد يومين أخذ جميع ذلك فاجر السلاة الذي كان أصابه، وهذا عرف عند قبائلهم، يجعلون السلاح والسلب وما يمتلكه القتيل من الفرس وغيرها لمن ضربه أولاً فعاقه عن الحرب، لا لمن أجهز عليه.

وفي اليوم الثالث من أيام مناخ الجنيفا وحوادثها كان الفريقان قد مل

بعضهما بعضاً، فبعث نايف بن هذال بن بصيص ابن عمه شري بن بصيص أبا تريحيب الفارس المذكور لطلب الصلح بين الفئتين، فأتاهم على جواده في غلس الصبح حتى وقف عند بيت رئيس العتبان محمد بن هندي فسلم عليه وعرفه بنفسه، وكانت خيل العتبان عند غروب الشمس اشتبكت مع خيل المطران وقتل ناجي الضرة من فرسان عتيبة المشهورين وهو من الدغالبة جماعة خزام المهري قتله تريحيب بن شري بن هذال الذي يطلب الصلح، فطلب من محمد بن حميد أن يتصالحا ويكف بعضها عن بعض، ويرعى أرض الله كل آمن، فقال: نعطيك ذلك، فلما قرب من فرسه ليركب بعد أن اتفقا على الأمان مع الرئيس محمد بن هندي بن حميد إذا فارس قد أقبل عليهما مسرعاً، فقال ابن هندي لشري بن بصيص: لا تركب جوادك حتى نرى خبر هذا الفارس، فلما وصلهم عرفوا أنه خزام المهري الفارس المشهور من عتيبة، فبقي على ظهر جواده، ثم قال للأمير محمد بن هندي: أيها الأمير لماذا تركب لتسير إلى حومة الوغى؟ فقال: لقد تصالحنا وأمناهم، وهذا شري بن بصيص يطلب الصلح، فقال له: اللعنة على شري بن بصيص وابنه تريحيب، أما علمت أن ابنه تريحيباً قتل ناجي الضرة البارحة؟ ولن نصالحهم حتى نثأر بفارسنا، فصاح بأعلى صوته، وشق جيبه، وقال عتيبة: يا رفاقة ناجي يا ثاير[1] وهذا نداء جرت به عادتهم، ثم اندفع خزام إلى جهة المعركة التي كانت بالأمس فاندفعت الخيل في إثره، ثم ركب محمد بن حميد بكوكبة من الخيل على إثرهم، والتفت عند ركوبه إلى شري بن بصيص الذي يطلب الصلح فقال: اعذرني لقد رأيت بعينك وسمعت بأذنك، فأغارت خيل العتبان، فالتفت شري بن بصيص إلى خالد بن حميد وهو باق عنده لم يركب مع أهل الخيل فقال: إن الذي وجدوه أمس سيجدونه اليوم فلما قربوا من خيل مطير إذا

---

(١) لعلها يا ثارة.

هي قد استعدت للجلاد، فكانت ميمنة مطير هي التي تلي ميسرة العتبان وفيها تريحيب بن شري وجملة من فرسان قومه وفيها طامى القريفة وهو فارس مقدام رام بالبندقية، وقد اتفق تريحيب أن يكون هو على جانبه فإذا هزمت الخيل فهو يحفظها، ومن اعترض أو أسند رميته بالبندقية.

وحدثني فارس من عتيبة شهد هذه الغارة الأخيرة قال: لما اختلطنا بهم وعرفنا أنه تريحيب منحناه أظهرنا، فندب بعضنا بعضاً، فأسند شبيب بن حجنة، وهو من الفرسان والرماة وبندقيته صمعاء، فلما اعترضت جواده رماه طامي القريفة ببندقيته فقتلها فنزل وسار على قدميه، وندب فرسان قومه، فأركبه رحان بن ثويمر من رؤساء المقطة على جواد عريب، فانهزمت خيل عتيبة، وكان معهم رجل يقال له غايب بن معية على حصان وهو من قبيلة العصمة، فكأن الحصان انقطع به، فرفع صوته يندب شبيب بن حجنة أدركني فقال شبيب لما سمعه لابن ثويمر: اردع الجواد، فأبى خشية أن يصيبها مثل ما أصاب جواد شبيب، فلما مر بحجر قليل وظن شبيب أنه يخفيه نزل، فكمن في وسطه والخيل قريب أولهم صاحب الحصان والذي يليه طامي القريفة على جواد حمراء، فرماها شبيب بن حجنة فأصابها، واختفى طامي خشية أن يقتله شبيب لأنه يعرفه من الرماة، وكلما جاء صاحب فرس ووقف عند طامي لإركابه رماها شبيب فقتلها، فقتل أربعاً من الخيل في موضع واحد حتى نجا صاحب الحصان، فلما انتهى قتال ذلك اليوم وشري باق في بيت ابن حميد صالحوهم صلحاً جديداً وافترقوا، وفي الأمداد الذين عارضوا ابن حميد بعد مفارقتهم العصمة من الرؤساء أبو العلا والعقيلي وابن مغيرق قبل أن يلتقوا بابن حميد، وقبل أن ينتهي القتال سكب مشعان أبو العلا فنجالا من الدلة ووضعه في مجلسه بين الفرسان وقال: هذا فنجال تريحيب، اشربوه، فأبوا، ثم ندب ابنيه سلطاناً وجزا، ثم ندب العقيلي، ثم ندب مزيد بن مغيرق قاتل محمد بن حشيفان، فأخذ الفنجال فشربه، ثم قال له: يا مشعان أنا

أعلم أنك تحب أن أقتل، ولكني قد شربت هذا الفنجال، والله لئن رأيت تريحيباً لأقتلنه أو يقتلني، ولتريحيب إخوة هم غالب وغلاب، وهما أخواه لأبيه، وله أخوان لأمه: أحدهما متعب بن جبرين من أفرس أهل زمانه من مطير من بني عبدالله والثاني من غير تثبيت غلام من قبيلة الملاعبة من مطير ذكروا أنه في مناخ الدوادمي لما اجتلد العتبان والمطران قصد إلى محمد بن حميد بين الفرسان واشتبكا على ظهور خيلهما حتى نزلا في الأرض، وذكروا أن الثلاثة من أفرس العرب.

ذكر الحوادث المتعلقة بالمناخ الذي قبل هذا، وهو المناخ الثاني من الأربعة، عتيبة تسميه مناخ الشعراء ومطير تسميه مناخ الدوادمي وأهل نجد يسمونه سنة عرجا.

حدثني خلف بن إبراهيم بن خلف من سكان الشعرا قال: أخذلنا إبل وأخونا من مطير عماش الدويش، وخرجت من الشعرا إلى بلد الدوادمي طلباً للإبل يسترجعها أخونا عماش الدويش، فجئت أندبه، فوجدت رجلاً جميلاً مرجلاً شعره جالساً متكئاً على رحل له موضوع ومجلسه مليء بالرجال، فقلت: السلام عليك يا دويش، وأنا أحسبه عماشاً فقال: عليكم السلام، فجلست فالتفت إلي فقال: ما شأنك؟ فقلت له: أنا أخوك من الشعراء، أخذت مطير إبلي، وقصدي أنك تؤديها إلي، فالتفت إلي بعين مغضبة فقال: نبا ناكل إبلك وناخذكم، لأنكم عتبان في وسط عتيبة، ولا لك عندنا وجه ولا عاني فسقط في يدي، ولم يكن هذا عماشاً، وإنما هو ابنه، فالتفت إلي رجل قريب من مجلسي فقال: هذا ابن عماش، أما عماش فهو هذا الرجل الراقد، فالتفت إليه فإذا رجل قبيح المنظر نصف شعره أشيب، كأنه نائم وليس بنائم ملتف في عباءة برقاء فلبثنا قليلاً ثم تحرك وجلس، فنهض القوم إكراماً له حتى جلس، فلما استوى جالساً نهضت إليه وسلمت عليه، فرد علي السلام أحسن رد، ثم

التفت إلى صاحب له ورمى إليه عظمًا، فقال: املأه من التتن، فملأه وأشعله، فلما خلص من تتنه التفت إلى ابنه فقال: يا عبدالله، فقال: لبيك يا أبت، فأول كلمة تكلم بها أنه قال: حسبي الله على والدتك، غرتني بحسنها والله ما أنت عريب لقد سمعت كلامك مع راعي الشعراء، كيف تجروء على هذا الكلام؟ أما علمت أنه أخوك صاحب قرية لا يشد ولا يمد ولا يغير ولا ينير، وتقول له: نبا ناخذنك أنت عتيبي في وسط عتيبة، ولكن يعفيك مما استوجبه كلامك هذا أن تركبوا الآن لتجمعوا له إبله، ومن امتنع من تسليمها فأتوني برأسه، فمكث قليلاً، فجاءت الإبل تحدوها الخيل، فاستلمتها، وعزمت على السير إلى بلدي، فقال: إن لي بك حاجة، أقم عندنا اليوم فلما كانت الغداة جاءت الخيول لتتوجه إلى قتال عتيبة، وجاء ابنه عبدالله، وحضر جواده، ورحل على ذلول من أعرب جيشه، وقصده أن تكون زاملة لفرسه، فالتفت عماش إلى ابنه فقال: ضع عنها الرحل وضعه على جمل، فإني أظن ركابكم لا يرجع منها شيء فأخذ الرحال، فوضعه على جمل، ومشوا إلى جهة الشعراء، فلما غربت الشمس جاءت الخيل وقد أخذت الركاب، ولم يرجع الجمل، فلما أصبحت وعزمت على الرحيل دعاني وقال: إذا وصلت بلادك فزن وزنتين من القهوة وانطلق بهما إلى محمد بن هندي بن حميد وقل له: هذه لك من عماش الدويش تجديداً لما كان بيننا وبينه من العملة السابقة فإن أحب أن تبقى فإنه يأخذها تجديداً لها، وإن أحب أن تنقطع فسيتركها، قال: فجئت وأخذت القهوة وذهبت إلى ابن حميد وأخبرته بما دار بيني وبين عماش، فأخذ القهوة وقال: بل نجددها، وهذه تكون عملة خاصة بين الرئيسين فقط، لو أغارت مطير على إبل عتيبة المقيمين في بلاد الشعراء وأخذت إبل ابن هندي مع تلك الإبل يجب على عماش الدويش أن يردها، ولو أخذت إبل عماش وجب على ابن حميد أن يردها، وافترقت ثلاث قبائل من هذه القطعة المتوسطة في نجد، فكانت الهزيمة فيها على حرب القاطنين على ماءة عرجاء.

الحوادث الواقعة في مناخ الحرملية، وهو المناخ الأول، لأنه في السنة التاسعة من القرن الرابع عشر، وقتل تريحيب كان في السنة السابعة عشر من القرن الرابع عشر من الهجرة، وكان تريحيب أيام مناخ الحرملية صغيراً لم يحسن ركوب الخيل، وفي مناخ الدوادمي كان يركب الخيل ويرغب أن يحضر المعارك، ولكن أهله كانوا يمنعونه، فكان يحضر المناوشات الخفيفة، فلما بلغ سبع عشرة سنة ظهرت مخايله، وقتل لما كمل إحدى وعشرين سنة من عمره.

فمن حوادث مناخ الحرملية أنه لما انهزم العتبان وقحطان على أثرهم عثر جواد محمد بن هندي به وسقط، وكان الذي يليه من الفرسان فارساً مقداماً يقال له دهنين من آل روق، من قبيلة محمد بن حشيفان، فنزل عن جواده وتطاوله ووضع نفسه عليه، وقال: يا قوم، والله إني قد أمنته وهو كاذب، ولكنه رغب أن يصنع جميلاً مع هذا الأمير العاقل، فتنازع القحطانيون فيه: قسم يحب قتله، وقوم دهنين عزموا على منعه، وعندهم شك في صاحبهم أنه لم يؤمنه، ولكن أحبوا تثبيت كلامه، فمنعوه فكان الذي أخذه دهنين من الإبل من محمد بن هندي بن حميد مقابلة الجميل مئة وعشرين ناقة، غير أنه لم يأخذ ذلك دفعة واحدة، بل كان إذا أتاه أعطاه المتيسر: تارة عشراً، وتارة أقل، ولكنه لم يعطه أقل من ثلاث، وهذا الرئيس من دهاة الرجال، وعنده ترو في الأمور، وأناة في مهمات الأمور، إذا رأيت بعض حيله لم تشك أنه من أدهى الدهاة.

حدثني حشر البواردي من أهل شقرا قال: كنت مع محمد بن هندي بن حميد، وكنا ضيوفاً عند الشريف الحسين في مكة فكأن الشريف قصر في إكرامه، وعنده بعض شيوخ الروقة، وظن ابن حميد أنه قد وشى به واش عند الشريف فلما أحس تقصير الشريف قال: هذا الشريف أنا في الصبح أرميه بخبر يحمله على إكرامي، وقد بقيت متحيراً فيما عسى أن

يكون هذا الخبر، فكانت إقامتنا في المعابدة، فركبنا رواحلنا صباحاً نقصد الشريف، فلما دخلنا عليه، وكان يدني مجلس ابن حميد من مجلسه، وأخذنا مجالسنا، وتجاذبنا الحديث، حتى خضنا في أمر الجيش، فقال ابن حميد: نظرت اليوم دلولاً نجيبة معروضة للبيع لم أر مثلها، فالتفت إليه الشريف فقال: أين هي؟ فقال: مررت بها تحت قصر سعود بن عبدالعزيز الأول الذي ملك مكة، فاضطرب الشريف في مجلسه وقال له: ليس له قصر ولم يملك مكة، قال ابن حميد: هذا خبر أكيد فسكت، فافترقا والشريف مغضب، فوالله ما وصلنا منزلنا إلا وقد جاءت الحلل والنقود والكرامات الزائدة فتعجبت من هذا الاستنباط البعيد المرامي.

وله أمور عجيبة، حدثني رجل من قومه يقال له راشد بن هذلي قال: قصدنا ماءة الشبيكة الواقعة في جهة المخامر وهي اليوم مسكن الذويبي عمرت في هذا العهد ونحن قليلون، ولم نعلم حولنا من قبائل حرب أحداً، فجاءنا المرتاد فقال: إن على الماء عرباً كثيرين، فرأينا صاحب غنم، فأمرني أن أركب جوادي وأسأله عن أولئك القوم، فركبت جوادي وأتيته فسألته، فقلت: من هؤلاء العرب؟ فقال: هذا الذويبي ومعه قبائل حرب، وابن حميد ومن معه لا يستطيعون ردهم وليس بهم طاقة، فرأيت الرجل قد اهتم واختلط فيه الطمع والخوف، فقال لي: إركب جوادك واقصد الماء، وقل لنا هس الذويبي ـ وهو رئيس القبيلة: في وجه من وردت هذا الماء؟ فإذا قال لك من أين أتيت فقل له: أرسلني محمد بن هندي بن حميد ومعه قبائل عتيبة، وأنا الآن بحيث لو صحت بأعلى صوتي لسمعوني، فركب راشد جواده، وقصد ماءة الشبيكية، فقال لنا هس الذويبي ما قاله محمد بن هندي، ورد عليه ناهس كما ظن ابن هندي، فأخذ عقال راشد من فوق رأسه فوضعه في رقبته وقال: حنا دخلاك من عتيبة، وترانا في وجهك وقال له: أنتم آمنون، فرجع إلى صاحبه، فأركب الجيش يستنهض عتيبة أن تأتيه، وأنكف بعد ما شرب الماء إلى وجهة قومه،

ولكنه مع هذا الدهاء والزكانة كان يخطىء في بعض الأوقات، ويتجبر على بعض الأعداء يدفعه إلى ذلك كثرة أنصاره وأنه مطاع في قومه لا يردون له مقالاً.

حدثني رجل من فرسان المقطة قال: كنا قريب ماءة عروى وجاءنا خبر أن قنيفذ بن لبدة رئيس آل سعد من قحطان، وهو من الفرسان المشهورين، نزل عند جبيل سوفة الذي مر ذكره فقال [أي ابن هندي] لقومه: إن الله أخرج هذا الفارس من جباله ومن بلاد قومه وليس معه إلا شرذمة قليلة، وقد عزمنا أن نغزوه بكوكبة من الخيل لعل الله أن ينصرنا عليه فنقتله، فقال له رؤساء قومه: أرسل من يرتاد لك الخبر، فبعث حضرياً من سكان قرى العرض، فقال له إعرف لي منزله، وكم معه من الخيل فقصده الرجل واستضافه، وكأنه ينشد ضالة، فلما رجع إلى ابن حميد قال: وجدته وليس معه من الفرسان إلا عشرة، قال: هل تعرف منهم أحداً؟ قال: أعرفه وأعرف أخاه منيفاً وضويحي وجديع آل الجرو من قحطان، فقال: هؤلاء الأربعة يعدلون أربعين فارساً، ولكني سأسير إليهم بستين فارساً من باب الاحتياط، فمشى بستين فارساً كلهم على صهوة جواده، ومعهم ركاب تحمل الماء والكلأ للخيل، فأغاروا عليهم بجانب سوفة وهم حلول: المرأة منهم تبني الخباء، والرجل عند إبله أو جواده، وكان [أي ابن هندي] قبل أن يسير من عند أهله بيوم قال: عدوا لي الرماة، فإني أحببت أن آخذهم، وأمر بهم على طريق قنفيذ في المعركة، فيرموه بالبندقية. قالوا: نعرف هضال بن درية الذي ينزل الأروى من شعاف الجبال وهي تعدو لا يخطىء سهمه، والثاني ابن خشيبان، والثالث طريخم بن حريش من الشلاوى، فجمعهم وأخبرهم بحاجته، فاضطلعوا بها وكل قال: إذا رأيته قتلته فأخذهم معه، فلما شن الغارة بجانب سوفة واجتلدت الفرسان أخذ الرماة ووضعهم في موضع وقال لهم: سأستطرد له وأمر به عليكم، ولكن اجتهدوا في قتله، فلما اجتهدوا انهزم ابن حميد ليمر

به على الرماة، فتبعه قنيفذ يريد قتل ابن هندي، وكانت هزيمته حيلة لم ير منها فائدة، فمر على هضال ولم يرم، ومر على ابن خشيبان ولم يرم، فالتفت ابن هندي إلى قنيفذ فرمى رمحه قريباً من ظهره وصاح يزهم طريخمًا، أعني ابن حريش، ويومىء إليه بيده، ويقول ارم ارم، ثم ترك التنبيه على الاسم، وقال ارم يا شلوي باسم القبيلة، فلم يرم، فالتفت إلى خيله فقال: امنعوني من هذا الفارس، وكان زايد بن حريميس[٢] من فرسان الروقة يسمعه، وهو من الفرسان التابعين لابن حميد فجاءه مسرعاً عرضاً فضرب قنيفذاً برمحه على قفاه وأذنيه فشرم إحدى أذنيه وجرح مؤخر رقبته، فصاح قنيفذ وزاد جلادة وقال: الكلب ما يغلث حتى تقطع أذناه، وهذه قاعدة عند الأعراب في كلابهم، إذا أحبوا أن الكلب تزيد حمايته للبيت قطعوا أذنيه ووضعوها في تمر حتى يأكلها، حتى إنه بقي مثلاً عند عامة أهل نجد في عهدنا هذا، وإذا زاد لجاج رجل في منازعته قالوا إن هذا أكل أذنيه.

ورجع ابن هندي من غزاته هذه بدون طائل، لم يقتل قنيفذاً ولم يقتله قنيفذ. وقنيفذ هذا من أشجع قبائله، ولكنه جلف من أجلاف الأعراب، فيه خصال لا تحمد، ذكروا أنه في معركة من المعارك حدثت بين قحطان وعتيبة قتل فيها سحمي بن حشر، وأخذ القحطانيون من العتبان سبعة عشر رجلاً كأسرى فلما ثبت عند قنيفذ قتل سحمي بن حشر قتل السبعة عشر رجلاً المأخوذين وهم في ذمتهم، وتعد هذه الفعلة نقطة سوداء في تاريخه، قال له رجل يخاصمه: ما أكثر كلامك يا قنيفذ؟ قال: صدقت، ولكن شري أكثر.

والمعارك في نجد والغارات في الجهة الجنوبية في نجد أكثرها بين

---

(٢) زايد بن حريميس من خيالة الحفاة جماعة جعيلان الحافي، وهو من ذوي صقر من الحفاة بطن من الروقة. ابن بليهد.

برقاء من عتيبة وبين قحطان وسبيع أهل رنية والخرمة، والمعارك التي تكون في شمال نجد إنما تقع بين حرب والروقة من عتيبة، أو بين الروقة وبني عبدالله من غطفان، والمعارك العظام بين عتيبة ومطير.

سئل راجح بن لبدة أبو قنيفذ المذكور: كم قلعت من الخيل؟ قال: والله إني لا أحفظ عددها، ولكن الذي قلعت وأنا أنظر رأس جبلة ثلاثين فرساً.

أما محمد بن هندي بن حميد فهو مطاع في قومه، محبوب عند الناس، محبوب عند الملوك، سمعته يتحدث وهو يقول: والله ما أخذت الحضري ولا أرضى بأخذه ونديده في مطير نايف بن هذال بن بصيص للميز والعقل وحب قبيلته له.

كان ضيدان العارضي الذي قال فيه فيحان بن زريبان يوم الحرملية.

* رديتهـا لمنجي الحـرد ضيـدان *

نازلاً على ماءة قريب الكويت مع الدوشان وهم قوم أهل تجبر وهم رؤساء علوى، وهذا الجار من بريه فرأى منهم ما يغيظه، وهو من شعراء النبط فقال قصيدة نبطية منها:

هات الدلال وهات من ما الثميلة	نبغي نسوي تالي الليـل فنجال
عد سمج لـو كثر رعيـه وكيله	لعاد ما قطان ماه ابن هذال[٣]

يعني نايف بن بصيص، وهذا الماء الذي كانوا عليه مشاش الطويل بين ماءة الجهرا وماءة الصبيحية، وهو محبوب عند عامة أهل نجد وعند الملوك. لقيته ثلاث مرات: المرة الأولى في السنة التي قتل فيها ابن عمه

(٣) قال أبو عبدالرحمن: في رواية: لا عاد ما يقطن جباه.

تريحيب بن شري سنة ١٣١٧هـ ولي من العمر سبع سنوات، ولكني كنت بحيث أفهم الحديث، رأيته عند والدي وأعمامي في بلدنا ذات غسل المجاورة لبلد شقراء في مقاطعة الوشم منيخاً ركائبه ضيقاً عندنا، واتسع الحديث بينه وبين والدي رحمه الله وذكروا الحروب التي تقع بينه وبين عتيبة، فسمعته يومئذ يقول يخاطب والدي: يا عبدالله، والله لو يتبعني عشير عتيبة لأخرجهم من نجد، ولكن الذين معي شرذمة قليلون من قبيلتي الصعران وسامة الهلال (ر) وقد جرى علينا نقص عظيم بقتل هذا الغلام الذي كنت أحارب به، وكان وحده يقوم مقام العدد العديد، ذلك هو تريحيب، فقد كان إذا سمع الصائح قال لي: أعطني السيف والعبية، أو البندقية والكحيلة، طلب السيف والعبيـة لأنها فرس سـابق تلحق ولا تلحق وطلب البندقية مع الكحيلة لأنها وانية، فإذا أدركته الخيـل رماهم.

ورأيته المرة الثانية في بلد الشعراء مع جلالة الملك في بعض غزواته في نجد، وذلك في مجلس عبدالرحمن بن خلف من أهل الشعراء، وكان جلالة الملك قد شرف داره ليشرب القهوة عنده ومعه ابن عمه عبدالله بن جلوي الذي تأمر على مقاطعة الأحساء ومات بها رحمة الله عليه، ومعه نايف بن هذال المذكور، وكان أهل الشعراء قد اضطرب أمرهم واقتتلوا مرتين:

الأولى انتهت بقتل حمد الزير وأخيه عبدالرحمن، وفيها هما يتصاولان رمى عبدالرحمن لما رأى مقتل أخيه حمد رميتين قتل بهما أربعة رجال وأصاب خامساً ثم قتل هو.

وأما المعركة الثانية فكان آل ضويان سطوا على آل مسعود، والجميع حمولة من قبيلة واحدة، وأخرج آل ضويان من البلد، وانتهت المعركة بقتل رئيس آل ضويان خالد بن حمد بن ضويان، فلما شرب جلالة الملك القهوة،

وعزم على النهوض قال له عبدالرحمن بن خلف: يا طويل العمر، لا تزال مسألة اختلاف آل مسعود وآل ضـويان، ولئن لم تصلحهـما أنت لم يتم صلحهم، فقال: أنا معتزم إنفاذ ذلك إن شاء الله، ومتى بلغت الرياض أرسلت إليهم وسويت ما بينهم وما أشكل عليهم فإن مرجعنا فيه إلى حكم الشرع، فالتفت نايف بن هذال بن بصيص إلى جـلالة الملك فقـال: يا طويل العمر، يقولون ابن ضويان بان له قصيراً فوق العبسة يريد أن يغير وينير فالتفت إليه جلالة الملك قائلاً: على عثرة ونثرة، ورأيت جلالة الملك يراعيه ويحترمه.

وأما المرة الثالثة فقد لقيته في شقراء مع جلالة الملك، رأيتهما يمشيان في سوق شقراء وجلالة الملك آخذ بيده يمشي وهو يباريه، فهذا دليل على أن جلالته يكرمه ويرى له منزلة.

وكان رئيس مطير في هذه المعارك الأربعة التي مر ذكرها هو هذا الرئيس، وأنا لا أعلم أن عتيبة انهزموا في المعارك التي تقع في نجد، بل هم الغالبون دائمًا، أما هزيمة الحرملية فإنهم لا يرغبون في ذكرها، ولو أنك سألت العتيبـي وقلت له: أخبرني عن مناخ الحرملية، قال: إني لم أحضره ولا أعلم حديثه، ولو سألته عن مناخ عرجا اندفع يحدثك حتى تقول له: أسكت، وقد عرف أهل نجد أنك إذا أردت أن تغضب العتيبـي أو تلقمه الحجر فما عليك إلا أن تذكر يوم الحرملية.

ومن الحوادث أن أهل قرية نفي كانوا يتفاخرون ذات ليلة مع جماعة من شعراء العتبان فقال شاعر من عتيبة أبياتاً نبطية وهم وقوف. منها:

يـا حضـران دايم في البـلاد	مـا ترعـون في الـدار العـذيـة
ولا تـدرون عن ركب الجيـاد	دايم حـاضـرة في كـل هيـة

فقال شاعر أهل نفي المعارض لذلك الشاعر:

أخبـار القبـائـل في فـوادي وأدري بـالكثيـرة والشـويـة
لا تـكثـر عـلي من الـدوادي فـاذكـرك يـوم الـحـرمـليـة

فانقطع الشاعر العتيبـي ولم يرد جوابـاً، لأن الهزيمـة صحيحة، ولا يقدر أن يقول ما هزمنا.

فأما ذكر التويجر الشاعر الروقي في شعره وقعة عرجا وقد ذكرنا منها بيتين في أول هذه العبارات وقوله:

ليت نـايف حاظـر دقلة جملنـا والله ان يخلي نجد بالقلب النظيف

ذكر هذا الشاعر الجمل، وتلك عادة عند جميع عرب نجد، إذا سارت الكتائب بعضها إلى بعض فكل قبيلة تنتخب جارية من أجمل نساء رؤساء القبيلة، وتنتخب لها جملاً أوضح تضع عليه هودجاً ويحلى ذلك الهودج بالحلل من الجوخ وغيره ثم تركب فيه الجارية وجميع رجال القبيلة والرماة والفرسان على خيولهم، وأهل الركاب يكونون عند هذا الجمل، والجارية حاسرة لا تضع على رأسها ولا على وجهها شيئاًوهي واقفة تندب قومها إلى القتال وتحضهم عليه وقد ورد عرجاً من الجمال في اليوم الذي كانت فيه الموقعة ثلاثة عشر جملاً، كل جمل يتبعه أكثر من ألف رجل ما بين راكب وراجل، وكانت قبيلة العصمة وقبيلة الدغالية تابعين لجمل الهيظل، فلما كان يوم عرجاء انفصلت كل قبيلة بجملها.

حدثني رجل ثقة حضر هذه الموقعة قال: جاء مناحي الهيظل ولحق جزا أبا العلا رئيس قبيلة العصمة، فتهدده وقال: ردوا جملكم وارجعوا إلى جملنا، فقال: أنا من حين زايلنا أهلنا ونحن عازمون أن نرد به عرجاً أو نرجع نحن وجملنا، فزاد بينهما اللجاج فجاءهم الرئيس العام محمد بن حميد فقال: لقد نشبت الحرب وأنا أشير عليك أنت يا مناحي الهيظل ألا ترد جملاً يتبعه ألف رام: وإنما تكون الملاحاة والدعاوى في غير هذا

الموضع، فطلب إليه أن يعدل عن هذا الطلب ذلك الوقت، وقد كان أبو العلا مصمماً على أنهم لو رجعوا جمله يرجع بقومه، فتركهم واندفع إلى خزام المهري رئيس الدغالبة فقال له: يا خزام، ما الذي حملك على أن سيرت هذا الجمل وأنتم وجميع قبائلكم الدغالبة إنما تتبعون جملي؟ فقال له: تعلم أن هذا الجمل لو رجع رجعنا معه وكانوا لا يخاطبون خزاماً باللهجة التي يخاطبون بها أبا العلا، لأنه في زمانه فارس عتيبة على الإطلاق، فتركه الهيظل ثم أتى ناصر بن عقيل فقال له كما قال لصاحبه وناصر من قبيلة الدعاجين التي رئيسها العام هو مناحي الهيظل، فقال له: أردد جملك وكونوا مع جملنا، فرده من دون منازعة، وقد انقطعت هذه العادة في هذا العهد الزاهر عهد جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود، لأن هذا الملك ــ حفظه الله ــ قمع الظالم، وأعطى كل ذي حق حقه، وقدم الشرع، فسكنت بهمته بتوفيق الله جميع الحركات.

وعرب نجد لهم عادات حميدة أخذوها عن آبائهم وأجدادهم، ولكنها انقطعت كما انقطع غيرها، لأن الحاجة لا تدعو إليها، وسأذكر القليل منها.

عند عرب نجد ثلاث يسمونها (الثلاث البيض) فإذا قلت: ما الثلاث البيض؟ قالوا: الضيف السارح، والطنب السابح، والبطن.

أما الضيف السارح فيعنون به أنه إذا أضاف رجل من مطير رجلا من عتيبة، ثم سرح من عنده واعترضه قوم من أقصى عتيبة منعه منهم صاحب الخباء الذي سرح الضيف منه، ويرد عليه جميع ما يؤخذ منه.

وأما الطنب السابح فهو الجار، إذا كان رجل من مطير مثلاً قد جاور رجلاً من عتيبة وجاء المطران وأغاروا عليهم، وأخذوا إبل العتبان، فإنه يجب على الجار أن يرد إبل من أجاره من قبيلته مطير وما أخذوا له.

وأما البطن فإذا كان رجل من عتيبة قد مر على رجل من مطير فناوله فنجان قهوة أو كأس حليب وأخذت عتيبة إبل صاحب الخباء الذي شرب العتيبي فيه القهوة أو الحليب فإنه يجب على العتيبي أن يثور بما في بطنه ويؤدي الإبل إلى صاحبها، وله حق الثأر ما دام لم ينقض هذا الطعام أو القهوة بمثله، حتى إن بعضهم قد يصنع حيلة إذا جاءه أجنبي يظن أنه قد يحتاج إليه، وذلك بأن يخلط بهار القهوة بنوع من اللبان يظن أنه يبطىء فقد تمس الحاجة إلى ذلك الرجل بعد شهر.

وفيه مسألة أخرى، وهي الخوى، إذا جاء السفار ومن قصدهم أن يجيزوا بلاد عتيبة أخذوا عتيبياً، وكذلك إذا قصدوا أن يجيزوا بلاد مطير أخذوا مطيرياً، وكذلك إذا كان قصدهم أن يجيزوا بلاد قحطان أخذوا قحطانياً.

ومن ذلك أن أهل شقراء أخذوا ولداً لعبدالله بن سجوان من قبيلة الروسان خويا من عتيبة، وهم على جمال وحمير يجمعون الكلأ، فجاءهم ركب من الحناتيش بطن من الروقة، ورئيسهم رجل يقال له حنيان، فأغاروا عليهم، فاعترضهم ولد ابن سجوان، وقال: إن هؤلاء أخوياي، فلم ينتهوا، وأخذوا ما كان معهم من زاد وماء فقط، وتركوا الركاب والحمير.

وأبو هذا الغلام الذي أخذوه خويا كبير السن، فركب إلى قبيلته وقال لرئيس القبيلة حسين بن جامع: إني لا أرضى حتى تقتل حنيان، فقال: إنه لم يأخذ إلا زاداً قليلاً وماء قليلاً، وقد دفعه إلى ذلك الجوع والظمأ، فغضب الشيخ ورحل إلى بلد قحطان وجاور في قحطان سنتين ومعه ابن له آخر يقال له دحيم، وقال قصيدة نبطية وشكا حاله إلى ابنه دحيم منها:

يا دحيم ديران الرفاقة مريفة   واللي مع الأجناب كنه على نار

والطير بالجنحان ما أحسن رفيفه وإلى انكسر بعض الجناحين ما طار
ويمنى بلا يسرى تراها ضعيفة ورجل بلا ربع على الغبن صبار

فلما سمع ابنه دحيم شعره قال له: ارجع يا أبت إلى وطنك، وأنا الذي أقتل حنيان، ولا تستشر حسيناً في ذلك، وهو يريد حسين بن جامع رئيس القبيلة، فأعجب الشيخ ما قاله ابنه وجاء إلى بلاد قومه وسكن الشعراء لتصيد الفرصة في صاحبه، لأنها بلد تنتابه الأعراب لأغراضها، فما شعروا إلا برجل أتاهم فقال: انظر حنيان الحنتوشي في قصر الرفائع يتغدى عند صاحب القصر، إبراهيم العجاجي، فندب الشيخ ابنه وندب معه ابن عم لهم يقال له حمود، فركبا راحلة وقصداه فوجداه قد مشى من قصر الرفائع وهو على جمل ومعه رفيق له ليس من قبيلته، فأدركاه قائلاً تحت شجرة ومعهما سيف ورمح، فقالا لصاحب حنيان الذي ليس من قبيلته: إن أحببت السلامة فأعرض عنا وإلا فإنا نصنع بك مثل ما نصنع به، فتناولاه بالسيف ولم يبق فيه موضع إلا أكل السيف منه قسماً، ثم ارتدا على راحلتهما وتركاه على أنه ميت، فمرا على العجاجي وقالا له: قتلنا حنيان انظره هناك، ادفنوه، فرحل أهل القصر فوجدوا فيه رمقاً، فحملوه إلى قصرهم، فبقي سنتين بين الحياة والموت، ثم سلم، فرأيته يركب الخيل وقد جعل في كفه الأيسر كلاليب يمسك بها حبال الفرس.

أخذت قحطان حميراً لأهل القويعية، وهي في عانية، فركب فهاد بن حصيص أحد آل روق من قحطان مع أصحاب الحمير إلى القحطانين الذين أخذوها، فقالوا له: ما نسلمها لك حتى تداعينا عند محمد بن هادي رئيس قحطان، فركب معهم، فوصلوا عند محمد بن هادي، فكل عرض عليه ما عنده من الحجج، فالتفت ابن هادي إلى ابن حصيص وقال: هواني مرخوص اتحاكى، وهذه لغة قحطان، قال له: تحاك بالحكي الذي تؤدي فيه الحمير، قال: أعطوها إياه.

ومن عاداتهم إذا جئت عند قبيلة وأنت ضارب في الأرض وليس معك رفيق منهم فقل لهم: خذوا عصاي فضعوا وسمكم عليها، فمن جاءني من قبيلتكم عرضتها عليه، فإذا فعل ذلك فإنه لا يمسه أحد بسوء.

قال محرر هذه الأحرف: جئت من الحناكية في سنة ١٣٣٧ هجرية، وليس معي خوي، فصحبت عيراً قاصدة القصيم، فلما كنت عند طمية عجت إلى قرية مسكة فجئت قبيلة من الدلابحة رئيسهم رجل يقال له ملافخ، فبت عند غيره، فلما أصبحت قلت عند توجهي أنا رجل منقطع، وليس معي رفيق من عتيبة، وما معي إلا رفيق حضري، ونخشى أن يعترضنا أحد من عتيبة قبل أن نصل مقصدنا، ولكن خذ عصاي فضع وسمك عليها فوضع عليها الوسم (⊥) على هيئة المغزل وهو وسم قبيلته، فانطلقت إلى بلد مسكة ومعي صاحبي الحضري فلما كنا في عريق الدسم أغار علينا جيش فناديتهم: ليس فينا طماعة، فقال رئيسهم: إن كنتم من عتيبة أو في وجيه عتيبة فأنتم آمنون، فأتونا فإذا ركائبهم عليها هذا الوسم (⊥) وإذا هم من قبيلة الحمايد التي يجمعها هذا الوسم كما يجمع قبيلة طلحة وقبائل نجد الموجودين في العهد الأخير ممن أدركناهم: قبيلة عتيبة وهم اليوم أقواهم وأكثرهم، وقبيلة قحطان، وقبائل مطير بنو عبدالله، مساكنهم من القصيم إلى المدينة وعلوى وبريه مساكنهم من سدير إلى الكويت، وقبائل حرب من القصيم إلى المدينة إلى جبلي طي، هذه القبائل عرفناها وعرفنا قواعدها وعاداتها.

فأما القبائل التي سكنت نجداً في الزمن القديم فالقبيلة التي كانت لها الشوكة والقوة والغلبة على جميع القبائل هم بنو لام، قال صاحب الروضة رميزان التميمي وهو في القرن العاشر، في قصيدة له نبطية عند حكره لوادي سدير ووضعه لسبعين العرصة التي تسيل منها بلاده الروضة:

حكرنا لها وادي سدير غصيبة   بسيوفنا اللي مرهفات حدودها

حكرنا لها الوادي وسالت نخيلها وفي القيظ من جم البطاحي يرودها
إلى صدر اللامي والأجناب قلطت حيضانها فاما نردها ترودها

وهذا الشعر يدل على أن بني لام هم أهل البلاد في القرن العاشر، والدليل على ذلك قول رميزان:

إلى صدر اللامي والأجناب قلطت

صاروا هم أهل الوطن ومن عداهم أجانب عنه.

وامتد بقاء بني لام في نجد في أواخر القرن التاسع وجميع القرن العاشر، وبنو لام ثلاثة بطون عظيمة: كثير، ومغير، وفضل، فأما آل مغيرة فهم في عالية نجد يرأسهم عجل بن حنيتم، ويسكن وادي الشعراء، ويتجول في بقية بلاد العرب، ويوجد الآن قصر له آثار في وادي الشعراء يعرف عند عامة أهل تلك الناحية بقصر عجل بن حنيتم ولا يسكن تلك النواحي أحد من الأعراب إلا في جواره، تقول ابنة عجل في قصيدة لها نبطية:

ألا يا بلاد جنب تيما مقيمة ما دامت الشعراء هيام قليبها
أخذنا على ولد الشريف بن هاشم على الحوض حقه من وردها يجي بها

تيما: جبل في أعلى وادي الشعراء.

والرئيس الثاني من رؤساء بني لام: ابن عروج، يرأس آل فضل وآل كثير، ومساكنهم في أسافل نجد، ولا ينازعه فيها أحد، لا عند الكلأ ولا عند غيره، وتقول امرأة ابن عروج من قصيدة نبطية:

مشى من العارض بجيش يهيفي يتلون ابن عروج مقدم بني لام
ياما انقطع في سبته من عسيفي ومن فاطر تقلط على الهجن قدام

فلما انقضى القرن العاشر أخذ نجمهم في الأفول.

وبلغني عن الثقات في تاريخهم أن سبب ذلك هو الخيانة، وعدم المبالاة بالعهود والمواثيق والجوار، وما يتصل بها من عادات حميدة وقد انقرضوا وجلوا عن نجد، ولا يوجد لهم اليوم فيها لا قليل ولا كثير.

فلما دخل القرن الحادي عشر امتد جناح عنزة على نجد وألقوا بجرانهم فيه، فلم ينازعهم فيه أحد إلى آخر ذلك القرن، فظهرت مطير، فشاركتهم في نجد، فلما دخل القرن الثاني عشر نازعتهم مطير، وعزموا على إخراجهم منها، وبدأ النزاع بين الطائفتين عنزة ومطير، وامتد ذلك النزاع حتى انقضى هذا القرن، وكانت الانتصارات فيها لمطير.

وابتداء النزاع الحاسم في أول القرن الثالث عشر، وإليك عبارة من عبارات ابن بشر في تاريخه في حوادث سنة ١٢٢٨ الهجرية قال فيها ذكره عن الإمام سعود بن عبدالعزيز رحمه الله وتأديبه للأعراب: وإذا أرادت قبيلة من قبائل بوادي نجد العظام كمطير وعنزة وقحطان (تأمل في هذه العبارة فإنك لا تجد فيها لعتيبة ذكراً بخصوصها) أو غيرهم وهم في أقصى الشمال يرحلون وينزلون في أقصى الجنوب أو الشرق أو الغرب لم يمكنهم مخالفته، نشأ على ذلك الصغير، وشاب فيه الكبير ثم قال: وجلس يوماً فيصل بن وطبان الدويش رئيس أعراب مطير، والحميدي بن عبدالله بن هذال رئيس عنزة، وكان هؤلاء أشد البوادي عداوة بعضهم لبعض، عند سعود في صيوانه، وهو مقيم على الرس البلد المعروف في ناحية القصيم وذلك في غزوة الحناكية سنة ثمان وعشرين ومئتين وألف وتنازعوا بين يديه وتفاخروا، وأظهروا نخوة الجاهلية فقال أحدهما للآخر: أحمد الله على نعمة الإسلام وسلامة هذا الإمام الذي أطال الله عمرك بسببه، وكساك الشيب، بعد أن كان آباؤك لا يشيبون ولا ينتهون إلى حده، بل كنا نقتلهم قبل ذلك فقال الثاني: أحمد الله على نعمة الإسلام وسلامة هذا الإمام الذي كثر الله بسببه مالك وسلم عيالك ولولا ذلك لم تملك ما هنالك، ولا نزلت في تلك

الدار، ولا استقر بك فيها قرار، فنهض الإمام وزجرهم وذكرهم ما أنعم الله به عليهم من الإسلام والجهاد والجماعة والاجتماع على الصلوات. انتهت عبارة ابن بشر.

وانتهت دولة[4] عنزة في نجد، فقد بدأ النقض فيها حتى تقلص ظلها.

وتغلبت مطير على تلك النواحي من نجد على رعي الكلا والماء واستوطنوا أعلاه وأسفله، حتى أن قبيلة من مطير (من علوى) يقال لهم الجبلان يعتزون بصبحا في المعارك، فيقول فارسهم: خيال صبحا جبلي وصبحا هي الهضبة المعروفة في عالية نجد التي يقال لها في الجاهلية يذبل.

ومحسن الهزاني الشاعر صاحب بلدة الحريق في أواخر القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر صحب الدوشان، وأكثر من قرض الشعر فيهم، منهم في زمنه مصلط الدويش، ووطيان الدويش، وعليق الدويش، قال في قصيدة نبطية يذكر امرأة من نساء الدوشان:

شدوا لها من فوق وثنات الأجمال فوق أشقح زين المناكب صعيني
نصوا سهوم بين أبانات والخال[5] حامينها بمذلقات العريني

---

(٤) وآخر من غادر نجداً من عنزة: ابن مجلاد، ولما علمت مطير بتأخره تداعت إليه من كل جانب وهو في جهة الأسياح فأخبرته النذر بذلك ثم بعث إلى قبيلته طالباً المدد ثم توجه قاصداً بلاد قومه، وكان له صانع ماهر في صناعة الشعر وصناعة الحديد فقال هذين البيتين من قصيدة له نبطية:

يا أهل الأمهار الصفر والضمر السود الناس جتكم من جنوب وشام
أنا عليه ضبطة الخمس بالعود وأنتم عليكم ربها بالعسام

ضبطة الخمس بالعود: يقصد نوعاً من الرماح لها خمسة أسنة كل سنان منفرد من الآخر، والعسام هو القتام. المؤلف ابن بليهد.

(٥) الخال: هو خال الدينة. انظر كيف توغلت قبيلة مطير في نجد، فقد سكنوا في جميع أنحائها. ابن بليهد.

وفي أوائل القرن الثالث عشر ظهر هادي بن قرملة رئيس قبائل قحطان، وامتد نفوذه في نجد واتفق مع الدويش في رعي الكلا وشرب الماء، وله ذكر حسن مع الولاية في تاريخ ابن بشر، فلما مضى قليل من القرن الثالث عشر ظهر ابنه محمد بن هادي، وأخرج مطيراً جميعهم من نجد، فلم ينازعه في نجد أعرابي، وعند ذلك قالت شاعرة من مطير يقال لها مويضي البرازية تولى قومها على قحطان:

نجد حميناها من أولاد وايل   واليوم عدونا سكن وادي الراك
أما احتميناها بحد السلايل   والا عطينا الشاة ذولا وذولاك

أما قول البرازية سكن وادي الراك فهي تعني قحطان، لأن الراك لا يوجد إلا في بلادهم، وأما ذكر الشاة فهذه عادة عند العرب، كانوا إذا ضعفت القبيلة وهي في بلاد غير بلاد قومها، وعندهم قوم أقوياء، ذبحوا لهم شاة، ودعوهم عليها وحالفوهم عند ذلك فتكون تلك القبيلة منهم.

وبقي محمد بن هادي بن قرملة وقبيلته قحطان في نجد لا ينازعهم فيها أحد، وكان من أراد الرعي من مطير أو من عنزة أو من حرب أو من عتيبة المقيمين في الحجاز يأتي إلى هذا الشيخ فيأخذ منه الأمان، ثم يرعى حيث شاء.

حدثني عثمان الهاجري ـ وهو إمام يصلي بمحمد بن هادي وجماعته ـ قال: كنا مقيمين في فيضة وادي أوراط العتك أيام الربيع، فجاء في يوم واحد خمس من الخيل هدايا كل فرس واحدة مع وفد على حدته يطلبون الجوار والامتداد في نجد قال: وكنا يوماً عند المضباعة[٦] أيام

---

(٦) هي جبيل صغير يقع في الجلوة بين ماء الأنجل وتبراك. وهي لماء الأنجل أقرب وتبراك هو الذي يقول فيه جرير:

إذا حلت نساء بني نمير   على تبراك خبان الترايا

المؤلف ابن بليهد.

الربيع، فجاءه تركي بن حميد من رؤساء قبيلة عتيبة وأناخ عند محمد بن هادي بن قرملة يطلب الجوار، فسأله عن أهله، فقال: تركتهم على ماء بريم الماء المعروف في أسفل جبل حضن، وحدثني فراج بن طويق الحافي قال: ركبنا مع مصلط بن ربيعان، وأهلنا على ماء الشماس الواقع في حوى[٧] كشب، وأتينا ابن هادي ومعنا جيش وخيل وهدايا، أتيناه على ماء الشعرا نطلب منه الجوار، فقال لنا: أنتم في وجهي، ارعوا حيث شئتم إلا جبل النير، من دخله فهو خارج من الأمان الذي طلبه، وظني أن هذا الأعرابي يخشى أن يدخلوا هذا الجبل فلا يخرجوا منه.

انظر تقلب الدهر بأهله، فإنه ما كاد ينقضي نصف القرن الثالث عشر حتى غاض معين مجده، وتقلص ظله، وأفل نجمه، وذلك لأنه لم يعبأ بنقض العهد، وخفر الذمة فاختلف مع قبيلة عتيبة، وكانوا إذ ذاك يخرجون من تهامة والحجاز كأرجال الجراد، ومن استوطن نجداً لم يرجع، وكان رئيس برقا تركي بن حميد، ورئيس الروقة مصلط بن ربيعان وكان سبب هزيمة ابن هادي ورده إلى حدوده التي خرج منها في جهة الجنوب في بيت واحد من قصيدة نبطية لتركي بن حميد وهي طويلة يخاطب فيها ابن هادي حين تغير عليهم، وعزم على ألا يفي بما بينه وبينهم، وهو أن يؤدي ابن حميد ما تأخذه عتيبة، ويؤدي ابن هادي ما تأخذه قحطان، ولكن ابن هادي لم يؤد ما أخذه القحطانيون فقال تركي قصيدة منها هذا البيت الذي ذكر فيه خفر الذمة:

اديت أنا أربع قحص[٨] خامسهن التوم وقعود[٩] زبن اللي بغى ما حصل له

---

(٧) مياه الحوى تطلق على جميع المياه التي حوتها حرة كشب، الجبل المعروف في عالية نجد، ومياه الحوى ثلاثون منهلاً تقريباً. ابن بليهد.

(٨) القحص هي الخيل. والتوم: حصان. ابن بليهد.

(٩) وزبن: رجل من جماعة الشاعر أخذ بعيره فلم يرجع عليه. وهو في خفارة ابن هادي. ابن بليهد.

وقد دارت بينهم معارك عظيمة، وكانت الانتصارات فيها لعتيبة، ورئيسهم في تلك المعارك تركي بن حميد وكان الذي هدم هذا العز الشامخ الذي لم ير مثله في جميع الأعراب هو تركي بن حميد، هدمه من أسه، فلم يبق له ذكر[١٠].

فأما في عهد جلالة الملك عبدالعزيز فقد انطمست تلك العوائد جميعها، فلا يحتاج أحد إلى (خوي) ولا إلى (إخاوة) ولا إلى (جار) ولا إلى (عاني) ولا إلى علقة.

جميع تلك العوائد انقطعت وكلها من الله سبحانه وتعالى ثم من حكمة جلالة الملك وتأديبه لمن خالف، فإنه لا يعرف مثيل لهذا الأمان لا في الأوائل ولا في الأواخر.

ذكروا أن الناس كانوا في زمن الإمام سعود بن عبدالعزيز الكبير في أوائل القرن الثالث عشر يعيشون في هدوء وأمان في جميع الأنحاء التي امتد عليها رواق ملكه، فقالوا إنه كان في وادي العقيق أعراب قاطنون على ماء عشيرة، وعندهم شعراء من البقوم والشلاوى فجعلوا هم وأهل الماء يتساجلون، فقال شاعر الشلاوى:

نبا نقضي اللازم ونركب ركايبنا   وأهلنا من الجوبة[١١] الين القطانية

(١٠) قارن بالمجاز ص ١٠٩ ــ ١١٤. أبو عبدالرحمن.

وكون ابن خميس ينقل عن ابن بليهد بالنص ولا يحيل إليه جرأه على نوع من الاتكالية في تخريج النصوص فأورد عنه بيتين عاميين ظنهما من الشعر العامي القديم ولو كان البيتان من جمعه هو وروايته لنسبهما إلى قائلها وهو عبدالله اللويحان إلا أنه لم يدر أنهما لهذا الشاعر المعاصر حتى نبهه ابن جنيدل انظر المجاز ٨٩ والعرب س ٣١١/٤ وصحيح الأخبار.

(١١) الجوبة هي جوبة ركبة المشهورة. والقطانية: بئر تردها الأعراب في وادي قطان في الجهة الجنوبية منه. ابن بليهد.

نبا شاعر منكم إلى الصبح يطربنا   قمر عشر واضح والثريا رقابيـة

فقال الشاعر الثاني الذي من العرب القاطنين على ماء عشيرة وهم من عتيبة:

أنا خايف أن العلم ياصل معزبنا   يشيله طريقي على كور عملية[12]

تضيعون في نجد وحنا يعاقبنـا   وحنا على الما لاش نجعه ولا نية

لا شك أن هذا دليل على الأمان، فقد خاف الشاعر ــ وهو على ماء عشيرة ــ من إمام في الدرعية، ولكنه أمان معتدل، أما أمان عهدنا الزاهر فلم أر مثله، ولم أقرأ عن نظيره في جميع ما قرأت من صفحات التاريخ، إذ قد مد الأمان جناحه على مقاطعة نجران، والطرف الثاني على الحدود الشمالية، فجميع تلك الأقطار لا يوجد فيها قاطع طريق، وكان اللص يبقى الشهر في قمم الجبال خشية أن يرى أثره إذا نزل فيؤخذ، فيقذف في السجن، فإذا احتاج إلى طعام بعث امرأته، والحمد لله الذي أحيانا حتى رأينا هذه الحال[13].

□ □ □

---

(١٢) العملية نوع من نجائب الجيش. سميت العملية لاستعمالها وإرسالها في الأمور الهامة. والطريقي: تصغير طرقي، وهو المتوجه من جهة إلى جهة أخرى. ابن بليهد.

(١٣) صحيح الأخبار ٢/١١١ ــ ٢٣٢.

- ٦ -

تخريجات مهمة وإفادات عن فيحان بن زريبان

١ ـ أبيات فيحان بن زربيان أوردها الشيخ عبدالله بن خميس ولخص بعض نتائج مناخ الحرملية ولم يحل إلى صحيح الأخبار[١].

وذكر مناخ الحرملية الشيخ ابن جنيدل ملخصاً وأحال إلى لمحة عنه في عقد الدرر لابن عيسى ولم يحل إلى ابن بليهد وهو أوفى من ذكر هذا المناخ بأحداثه وتفاصيله[٢].

وللقصيدة إضافات ذكر منها منديل الفهيد قوله:

لا واحسايف سابقي يا بهيشان ‍ ‍ ‍ ‍ رديتها والجيش غادي حطيبه

وهذا البيت يبدو أنه بعد البيت الذي أورده ابن بليهد.

وبعد قوله (رديتها لمنجي الحرد ضيدان) أورد منديل:

رديتها في وقت روغات الاذهان ‍ ‍ ‍ ‍ اخاف علم بالمجالس حكي به

(١) المجاز ص ٦٨ وانظر العرب س ٤ ص ٣٦ ـ ٣٧ و٨١٣ وص ٦٥٢ عن رحلة يوسف ياسين.

(٢) عالية نجد ٣٦٨/١ ـ ٣٦٩

قال ابن عيسى عن سنة ١٣٠٩هـ: وفي هذه السنة تناوخوا عتيبة هم ومطير على الحرملية الماء المعروف بالقرب من القويعية وأقاموا في مناخهم ذلك شهرين فلما كان في ثالث ذي الحجة من السنة المذكورة حصل بينهم وقعة شديدة وصارت الهزيمة على عتيبة وقتل عدة رجال من الفريقين.

تاريخ بعض الحوادث ص ١٩٨ وانظر عقد الدرر ص ١٠١.

والبيت الذي عند ابن بليهد هكذا:

ثم ذبح عندك جوادين. . الخ: صححه منديل هكذا:

خذنا العوض فيها جوادين وحصان   وفراج بالرقة وراهن رمي به
يا بنت شومي عن هوى كل كوبان   من لا يروي الرمح وش ينبغي به
دايم يدير البيت عندك بالاعيان   علم تودينه وعلم يجي به
تخيري فكاك ربعه بالاكوان   راعي الكرم والفعل عطب الضريبة

وذكر منديل أن الذي أجار ضيدان وفيحان وأعطاهما المنع هو ضلفان من الغرزات قوم ابن ربيعان[3]:

قال أبو عبدالرحمن: لعل الصواب:

علم يودي به وعلم يجي به

وزاد ابن رداس:

رديتها يوم اقبلت خيل ضلفان   بنحور جمع ما يفتش صويبه[4]

فهذا البيت رواية أخرى للبيت الأول الذي أورده ابن بليهد.

ووردت القصيدة عند لويحان هكذا:

يا فاطري رديتها يا بهيشان   رديتها والجيش غاد حطيبه
رديتها لمنجي الحرد ضيدان   ما نيب من بالضيق ينسى صحيبه
عرضتها قهمور خيل ابن ظلفان   هل العزاوي والرماة العطيبة
خذنا القضا فيها جوادين وحصان   وفلاج بالعبلة قبلها رمي به

---

(٣) من آدابنا الشعبية ١/ ٨٠.

(٤) شعراء من البادية ص ٢٦.

ان ساعفت ما هي علينا بنقصان وان عاصبت ما كل شي يجي به
يا بنت شومي عن هوى الخبل كوبان اللي حوالي البيت ما ينهوي به
دايم يدير البيت كحلك بالاعيان علم تجيبينـه وعلم يجي بـه
هذاك لو بيتـه من الزاد مليـان محـاسب نفسـه وربـه حسيبـه
شومي لمن يثنى ضحا يوم الاكوان اللي يعوضك كان عانه نصيبه[٥]

ومن شعر فيحان هذه القصيدة عندما أصيب بكسر في رجله في إحدى الغزوات وقد بقي عند ابن عولة في المجمعة يتعالج عنده وبقي معه أيضاً لمرافقته صقر بن مشفي وبعد أيام تذكر رفاقه فقال هذه القصيدة[٦]:

يا راكب اللي لا مشت مستذيرة كنـه يـرمى من تحتهـا شنـون
يا صقر برق في عظامي كسيرة والا سليمـات ولا في لـون[٧]
يا طول مـا منهم رميت العثيرة واليوم عطبين الضرايب رموني[٨]
رجلي إلى جت المواقف عسيرة يـا ليتها عنهـا برجـل المهـون
رجل تدرى عن مجي القصيرة يفـرح بها الحصـان المجون[٩]
قعـدت مقعاد عسى فيـه خيـرة في قصر ابن عولة تزالم عيوني[١٠]

---

(٥) روائع من الشعر النبطي ص ١٨٤.
(٦) كنز من الماضي ص ٧٣ ـ ٧٤ وشعراء من البادية ص ٢٥ ومن آدابنا الشعبية ١/ ٧٩ وقد سمعتها من منديل ورضيمان وأملاها علي الشيخ عبدالرحمن بن هليل.
(٧) ولا في لون: وليس بـي باس. وعند ابن هليل: يا حسين برق.
وعند منديل: يا حسين.. هي عظامي.
(٨) عند ابن هليل ومنديل: يا طول ماني قد رميت.
(٩) عند ابن هليل: يا رجل يا اللي ما تزور القصيرة.
وعند منديل: وارجلي.
(١٠) عند ابن هليل ومنديل:
انـا بـديـرة والجماعـة بـديـرة في دار ابن عـولـة تـزامـر عيـوني

وشالوا على هجن سريع مسيره　　واقفوا من العبرات ما ودعوني[11]
لا وهني من شاف كريدي يديره　　وشبيت ضوي والمسايير جوني[12]
ورديت ناوين للاجناب ديرة　　واعدتهم واهل الرجا واعدوني[13]
خفنا عليها وانتوينا مسيره　　مستردفين مبهمات البطون
وكزيت لي سبر وعين بصيرة　　عليهن اللي من ربوعي كفوني
السبر اغار ومقتفيه المغيرة　　عقب لجداني وانا له عبوني

وقال فيحان في الملك عبدالعزيز عندما استولى على بريدة[14]:

تسعين ليلة فوق الاكوار جلاس　　نمشي النهار ونمشطه من سراها
مع درب شيخ لاغزا يخفي الارماس　　يقدي شبا نمرا عدوه شكاها
يا ما قطع في ساقته كل عرماس　　وضلت تثالع بالسماري حفاها[15]
الى انتذر ناس عداله على ناس　　كم هجمة غب المساري فجاها

---

(١١) عند ابن هليل:
راحوا وخطرهم علينا كبيرة　　ومن زايد العبرات ما وادعوني
وعند منديل مثل ابن هليل إلا أنه قال: حسيرة.. ودعوني.
(١٢) عند ابن هليل:
الله على من شاف غازى يديره　　والنار شبت.............
وعند منديل: لا واعلى من شاف غازي.
(١٣) شعراء من البادية ص ٢٥، ومن آدابنا الشعبية ١/٧٩ ـ ٨٠.
وعند منديل:
آخذ لي أيام ولا هي كثيرة　　واعدت انا راعي الرجا واوعدوني
(١٤) عند منديل:
السبر كزيته براي وبصيرة　　سلم لجداني وانا له زبون
(١٥) عند منديل: من الحفا قامت تثالغ دماها.

غزا هل الاجفر بني عم هباس　　هجوا وصار مليح مدفق بلاها[١٦]
كم راس راس طوعه قاسي الباس　　امـا اتلفه والا الشكـالة رمـاها
عقب الحلال وعقب مختلف الأجناس
شكـالتـه بـأسفـل نعـالـه وطـاهـا
لعيون عمهوج تحت غر الاطعاس　　كـل مهـاويهـا وكـل بغـاهـا
عجزت تحصلها براطيل الاكياس　　عينت ابو متعب ذبح في حماها[١٧]
شاشت وطربت ونقضت مقدم الراس　　وشامت لبو تركي وجود حماها[١٨]
شامت لمن هو حامي قحص الافراس　　وزانت عجايبها عقب ماولاها[١٩]

وذكر ابن رداس أن فيحاناً في إحدى غزواته سمع ذئباً يعوي بالقرب من هضبة جلولا جنوب شبيرمة فتذكر محبوبته وقال يحاور الذئب بهذه القصيدة:

يا ذيب يوم انك على راس جلوى　　تجر صوت مثـل حس الربـابة
وراك يـوم انك ضعيف تسلوى　　ضامر ولا صنعك بصنع الذيابة
انا بلايـه ما بعـد شفت فلوى　　والعـد مخلين الشواوي جنـابـه
مير انت يوم انك تصيح وتحلوى　　تهـل دمع مثـل وبل السحـابـة
أنـا بلايـه عن عماهيج علوى　　اركن على قلب المشقى حرابه

---

(١٦) أورد منها لويحان في كتابه روائع من الشعر النبطي ص ٢١٨ هذين البيتين:
عدا يبـي الاجفر يبـي قوم عباس　　هجـوا وصار مليـح مدفق بـلاهـا
كم راس راس طوعه قاسي الباس　　امـا اعـدمـه والا الصعـالـة رمـاهـا
وعند منديل: عم عباس.. هجوا.
(١٧) عند منديل: كم فارس يذكر ذبح في حماها.
(١٨) عند منديل: وزانت عجايبها عقب ما ولاها.
(١٩) عند منديل: شامت لابو تركي حمى دن الافراس.. زبن الطحوس اللي تردت خطاها.

يا حالي اللي مثل همل سملوى … بادين كمومه ما بقي الا الجيابة

يا صاحبي جيته على غير ملوى … جاني وجيته ول ما احسن شبابه

اخذت من ريقه ثمان تتلوى … ما اذعنت لين الناس يشرع بنابه

وقال فجحان يخاطب ابن سبيل(20):

يا راكب من فوق عشر نظوات … حراير تنتب على ساس ظبيان

مثل انمها ولن دبرن مقفيات … ما يبركن الا على كوع وثفان

لابن سبيل خبره يا شفاتي … قلبي غدا باسناع مدعوج الاعيان

يا ونتي منها ظنون حياتي … ولا لمرح الا ومقدم الشمس قدبان

وجرح جروح بالحشا خافيات … وعزي لمن جرحه خفي ولا بان(21)

وقال فجحان يخاطب عقوب الحميداني(22):

يا عقوب وقلبي تزايد عليله … على غزال ما رموه العاقيق(23)

نوه غرير بالهوى ما بدي له … ولا حضنه غيري مع الناس عشيق(24)

هرجه يمسي لي وهرجي يجي له … والكل من زاح قلبه تحاريق

يا عود موز ناعم في مسيله … من خفقه ماهز عوده ولا ضيق

حده شربي شرب سيف نسيله … شربه وحرق سرة نقب تحريق(25)

---

(20) روائع من الشعر النبطي ص ١٤٥.

(21) نشر حوار ابن سبيل في روائع من الشعر النبطي ص ١٤٦ ـ ١٤٨ وديوان ابن سبيل ص ١٠ ـ ١٤ ونشر في [illegible] ص ٣٠٥ ـ ٣٠٨.

(22) نشر في [illegible] ص ٢٥٠ ـ ٢٥٦. وفي [illegible] الشعبية [illegible] ٧٨.

(23) [illegible]

(24) [illegible]

(25) [illegible]

فرد عليه الشاعر عقوب الحميداني بقوله:

الرجل يا فيحان عقله دليله	ورجل بلا عقل يتيه الطواريق[٢٦]
ورجل بليا عقل واعزتي له	دلو على الجيلان غادي تشاليق
الرجل يسكت لين يبخص حصيله	والبيض بواقات عهد المواثيق[٢٧]
ترى العذارا مثل وصف المليلة	ومن هايفت لك هايفت للعشاشيق
ودك ترافق كاسبين النفيلة	فكاكة التالي الى نشف الريق[٢٨]
لا شك لك حمل وكادك مشيله	شالوه ما هو بالحكا والملاصيق[٢٩]
اللي صفى لي صدق حق ارعوي له	ومن صد صدة من قفاه المسايق
واللي مشى لي بالنصاح انثني له	وان راح خشه من قفته المعاليق
طير يشوف اللوح ساعة رمي له	قفى مع اللجة لريشه تخافيق[٣٠]

وقال فيحان يخاطب ابن صبيل[٣١]:

يا راكب من عندنا تسع مايلات	تسعين مع تسعين بنف تزاد[٣٢]
فوق المخامر قيضها مستريحات	عروات لين مهير شغنه بدي

---

(٢٦) عند منديل: الرجل يا فيحان.. ورجل.. عقل يتيه.

(٢٧) عند منديل: يبصر لين.. خونات.

(٢٨) في الكتاب: لا ترفق لا.. وعند منديل: [illegible].

(٢٩) عند منديل:

ولا شفت حمل تم كادك مشيله   شالوه ما هو هرج هو [illegible]

(٣٠) عند منديل:

طير عن رعيه ما يقي له   قفى مع اللجة لريشة تخفيق

(٣١) قصيدة كاملة من كراسة الشيخ منديل وذكر منها في الوثائق ص ١٤٠ ثمانية أبيات وذكر منها الأصفهاني في الكتاب ثلاثة أبيات ص ١٣٢

(٣٢) عند الأصفهاني: مية ومية ومية.. والف تزد

يلفن من عندي زبون المعناة | ابن سبيل ريف هجن رداد(٣٣)
جنك ركايبنا عراوي معرواة | ومعك خبر مضمونها والعداد(٣٤)
وسلاح اهلهن كلهن ماطليات | واحذر عن الشايب وولد الرداد(٣٥)
بين خشيب وصوف وجلود وآلات | وحديد وعيال خفاف التنادي
عد القوايم جملة العقل والمات | وعقل عراقيب النضا والعضاد
خذن في دارك ليال مقيمات | واركب على هجن تفوت الريادي
ثم ابر مكة والديار البعيدات | من ديرة الشنبل لدار ابن هادي
ديرة حسين الدار بديار الاغوات | لا خوان سارة مقحمين الطراد
وقف علي اللي يشغل المارتيتات | وقف على السلطان واهل الجهاد
وجميع من في نجد يبنون الابيات | البدو واللي ساكن في البلاد
ان ما لقيته حي تلقاه قد مات | خففف عليه القبر وارم الهوادي(٣٦)
ان كان جيته يا فتى الجود ما مات | عجل ضنين الروح ذرع الفواد

---

(٣٣) عند الأصقة: ينصن مكة والديار والخليات.. لابن سبيل عن جميع البوادي.
وعند لويحان:
ينصن مكه والديار البعيدات | من ديرة الشنبل لدار ابن هادي
ولابن سبيل ريف هجن هميمات | دور صخيف الروح غاية مرادي

(٣٤) عند الأصقة:
كزيت لك جيش عرايا معراة | وعصي اهلهن بس جدع الهوادي
وعند لويحان:
جنك مواجيفي خفاف معراة | ولم لهن من الاواني عداد

(٣٥) هذا البيت زيادة من ليوحان.
قال عن الماطليات: سلاح قديم ظهر بعد الفتيل والمقمع.
وعند منديل:
عجل رواكيب ولاشغالهم هات | واحذر عن الشايب وولد الرداد

(٣٦) عند لويحان: خففف على المرحوم.

وان كان لي جبت الخبر ما بعد مات | اقول ما يلحق عليك السواد[٣٧]
والا تراني ميت كان هو مات | كني طريح مخضبين الهنادي
تراي ما قلته مدور حيالات | الا ولا طار القضا بك مرادي
غير ابعد الحروة وارمي بالاصوات | اخاف من خطو الكذوب الربادي[٣٨]

ووجدت في كراسات الشيخ منديل هذه القصيدة لفيحان يخاطب ابن سبيل:

يا هل الركاب اللي لهن احتواش | لابن سبيل عانيات من الطاش
لا روحن مثل الطخاخ النراشي | لهن مع خطو الخريمة تحواش
يا ونتي ونة من الغوش ناشي | بقعا تولي به وما حاش ما عاش
ما له من ادباش العرب كود حاشي | استجفل الحاشي ومن عنده انحاش
يا بايع النفس العزيزة بلا شي | يا جالب السلعة على غير قماش
رحتوا بلاشي ثم جيتوا مواشي | والحمد لله يوم جيتوا بلا اياش
يكفي عن القصر الجديد العشاش | ويكفيك من لا ضيع السلم قراش

وقيل إن البيتين الأخيرين لغيره، وقد أجابه ابن سبيل بقوله:

لقيت بياع المعزة بلا شي | يسرح على ماش ويضوي على ماش
ترى المطر بأول سحابه رشاش | وتاليه وديان يشيلن الادباش
عيني وقلبي بينهن اهتواش | وازريت لا افرق بينهم ظبي الاوحاش
قلبي يقول اشقح وفيه النشاش | وعيني تقول ابيض كما قطنة الشاش

---

(٣٧) عند لويمان:

فالى لقيت صخيف الروح لي هات | ابيض ولا يقدر عليك السواد

(٣٨) عند لويمان: عنه ابعد.

وانظر رد ابن سبيل في الروائع ص ١٤٩ ـ ١٥٢ وكنز من الماضي ص ١٣٢ ـ ١٣٨ وديوان ابن سبيل ص ١٤ ـ ١٩.

٢ ـ مناخ الدوادمي ذكره الشيخ ابن خميس وأورد من شعر التويجر خمسة أبيات هي:

يا ليت نايف حاضر دقلة جملنا	ان كان يخلي نجد بالقلب النظيف
رديفكم شلناه من عرجا لاهلنا	واكبر عليكم يا مخلية الرديف
العام يوم انك نخيته ما تونى	واليوم خليته بعد جالك حليف
حنا عتيبة بالحرايب ما اشتحنا	ونظير النافر ويركب له وليف
نسري وتالي الليل يمشي به ظعنا	مشي المثقل عندنا مثل الخفيف

قال الشيخ ابن خميس:

يقصد بنايف نايف بن بصيص الذي انهزم بمطير والمراد بالرديف الفرم الذي ترك في الميدان وقبيلته وحدهم(٣٩).

قال أبو عبدالرحمن: القصيدة من لحن اللعبوني ولا يستقيم وزن البيت الأول الذي أورده ابن خميس إلا بحذف (يا) في أول الشطر الأول و (ان) من أول الشطر الثاني.

قال أبو عبدالرحمن: ولفراج التويجر عدة قصائد ولعلني ـ إن شاء الله ـ أفرده بالبحث في أحد أسفار هذا الكتاب.

٣ ـ وقصيدة ضيدان ذكرها الشيخ منديل فقال:

نورد هنا قصيدة أحدهم وهو ضيدان العارضي التي يثني فيها على آل بصيص المشهورين بالشجاعة والزعامة والكرم، وذلك أنهم كانوا يسكنون أعالي نجد وعندما احتاج لهم رفاقهم بريه أثناء انشقاق حصل بين مطير علوى وبريه البصايصة أعانوا أقرب من لهم بريه وسكنوا معهم في ديارهم

---

(٣٩) المجاز ص ٨٢ ـ ٨٣ والعرب س ٤ ص ١١١.

السفلى ولما اصطلحوا عاد البصايصة إلى مكانهم السابق وها هو ضيدان يتذكرهم فيقول:

هات الدلال وهات ما الثميلة   نبي نسوي تالي الليل فنجال
عد سمج لو كثر رعيه وكيله   لا عاد ما قطان ماه ابن هذال
يا عدوين اللي خطاهم طويلة   أدنى منازلهم ورا ساقي بشمال
قبيلة يا وبها من قبيلة   رجالهم يفرق على كل رجال
وافعالهم تعرف نهار الدبيلة   خيالهم يسوي ثمانين خيال
لا غاب شيال الحمول الثقيلة   ما عقبهم يا كود من يعمس البال
رمح بلا حربة سليم قتيله   يا بريه ما يصبر على الغبن رجال[٤٠]

٤ ـ قصيدة ابن سجوان مشهورة متداولة[٤١] ولم أجد عند الرواة زيادة على ما أورده ابن بليهد ولم أجد شيئاً من شعر ابن سجوان غير هذه الأبيات التي أوردها الأحيدب[٤٢]:

يا ضيف ابا اذكر لك الى جيت منحاس   عليك باثنين بعالي المسيلة[٤٣]
الاسم واحد والمراجل على ساس   والكل منهم خير ينعني لـه
فنجالهم يصعد الى هامة الراس   والوفل بالمشراق مثل النثيلة[٤٤]

---

(٤٠) من آدابنا الشعبية ١٥٦/١ وورد البيتان الأولان في كنز الأنساب ص ٢٥٢.
(٤١) انظر ديوان لويحان ص ٢١٩ والشوارد ٨٣/٣.
(٤٢) تحفة العقلاء ص ١٤٢.
(٤٣) قال الأحيدب: هما إبراهيم الزير وحمد بن يحيى.
(٤٤) الوفل: قال الأحيدب: ما يتخلف من القهوة بعد طبخها. قال أبو عبدالرحمن: الحاضرة تسمية تولاً.

ولقد أشاد ابن جعيثن بعمل ابن سجوان مع خافر ذمته فقال:

لا تنسدح واذكر سوايا ابن سجوان　　　خلى ابن عمه عند فذة يناحي

□ □ □

- ٧ -

محمد بن هندي

(أخباره وبعض أحدياته)

(أ)
شيء من أخباره

هو أبو سلطان محمد بن هندي بن حمد بن حميد المقاطي شيخ برقا بعد عقاب بن شبنان بن حميد.

له من الولد سلطان وهندي ونايف وذعار.

أما سلطان فمات في سنة غزو الملك عبدالعزيز لليمن وهو أمير عروا.

وأما نايف فعاش بعد والده وله أولاد أحياء.

وأما الآخران فقتلا في حياته.

قال أبو عبدالرحمن: أخبرني بكل ذلك الشيخ سعد بن جنيدل.

ولعله تولى المشيخة سنة ١٣٠١هـ وهي السنة التي قتل فيها عقاب بن شبنان[(١)].

ومات ابن هندي سنة جراب عام ١٣٣٣هـ في آخر شهر ذي الحجة في عبلة المقطة بأبرق ــ وهو جبل أسود عليه برقة ــ في الشرق الجنوبي من الحوم ويعرف بأبرق ابن هندي.

هوى به بعير فقتله[(٢)].

---

(١) انظر تذكرة أولي النهى ١/٢٥٦.

(٢) ما رأيت وما سمعت ص ١٤٨ وعالية نجد ١/٤٥.

قال الزركلي:

من أشهر فرسان العرب ودهاتهم في العصر الأخير محمد بن هندي بن حميد المقاطي (بالكاف المعقودة كسائر القافات) من قبيلة المقطة (وهي قبيلة واسعة الديار تمتد منازلها من شمال تهامة إلى قرب نجد) وهو من سكان الغطغط بين نجد والحجاز.

كان فارس عتيبة في تلك الأنحاء وكبيرها مات سنة ١٣٣٣هـ، هوى به بعيره فقتله.

لم ينفرد بالشجاعة بل عرف أيضاً بإصابة الرأي ورجاحة الحلم وهيبة المنظر.

أخبرني رجل أدركه وعرفه، قال: زار ابن حميد والدي يوماً فجعلت أطيل النظر إلى جراح رأيتها في عنقه وصدره فاستدناني منه فدنوت فكشف قميصه وقال: انظر. فنظرت فإذا جراح هائلة عددتها ستة وثلاثين كلها قد اندملت.

وكان مع الشريف (الملك) حسين في رحلته إلى نجد على أثر توليه إمارة مكة. فأنعم عليه ببندقيتين فحملهما إلى بعض أصحابه ينظر إليهما ويعجب منهما، إذ لم يكن سلاحه غير السيف والرمح، فأخذ أصحابه يعلمونه كيف يطلق البندق (الرصاص) وتناولهما بين يديه يطيل التأمل فيهما ساعة ثم ألقاهما وقال: لا حاجة لي بهذا!.

وله في ذم البندقيات ويسمونها «الموارت» و«المواريت» جمع مرتيته:

ضرب الموارت ما بها نوماس	حذفة شرود من بعيد
علي قضيب عنانها والراس	والله يدبر ما يريد
علي باللي تبعد المرواس	والعمر لازم انه يبيد!

قضب العنان في لغتهم إمساكه جيداً، والمرواس ميدان الخيل وشوط جريها. يقول: ما في ضرب البندقيات من فخر فإنه إطلاق شرود من مكان بعيد، وإنما علي أن أضبط عنان فرسي ورأسها ويدبر الله ما يريد، علي بالفرس التي توسع الميدان وأما العمر فلا بد من أن يبيد.

أخبار ابن حميد ووقائعه كثيرة تذكرنا بما كانوا يحدثون به عن شجعان العرب في الجاهلية، وكانت بينه وبين قبائل قحطان في أطراف نجد عداوة متأصلة حتى إنهم نذروا مئة ناقة لمن يأتيهم به قتيلاً أو جريحاً أو أسيراً.

فمن وقائعه معهم أنه سرى ليلة في نحو ثلاثين من رجاله في أراضي قحطان فدهمهم نحو خمسين خيالاً قحطانين فلم يأبه لهم وأشار إلى من معه أن يردوهم، فارتد فرسانه للقتال وظل في سبره لا يبالي بالأمر، راكباً ذلولاً وسلاحه مع عبد له يقود فرسه خلف الذلول واشتد القتال وثبت القحطانيون فوهن المقاطيون (جماعة ابن حميد) وقتل منهم عدد فانهزموا لا يلوون على شيء وغنم مقاتلوهم كل ما معهم من الإبل والحمول وخيل القتلى والتفت هو فرأى تشتت أصحابه فنادى بعبده، فلم يجده، وكان قد ركب الفرس وذهب يقاتل، فحار ابن حميد في أمره لا فرس له ولا سلاح في يده، وأدركته الخيل بوابل رصاصها، فقتل ذلوله، فترجل وابتدر مختبأ اختفى فيه عن العيون حتى هدأت ثائرة القوم فتغلغل في الجمع وقد تلثم يريد أن يسمع أخبار أصحابه أين ذهبوا فاعترضه شاب من القحطانيين ودعاه باسمه، خافت الصوت، فلم يجبه ابن حميد فكرر النداء ثانية وفي الثالثة قال: يا ابن حميد أنت آمن! فأقبل عليه حينئذ فعرفه وكانت لابن حميد يد على هذا الشاب منذ سنين فدله القحطاني على الموضع الذي لجأت إليه خيالته وأعطاه ناقته وقال اسلم بروحك، فخرج ابن حميد راكباً فلم يبتعد حتى اعترضه رجل من قحطان عرفه فدنا منه راجلاً وصاح مبتهجاً: يا ابن حميد آل قحطان وضرب ابن حميد بشلفاً أصابت يده اليسرى فسلها ابن

حميد باليمنى وضرب بها الرجل فقتله وسلبه شلفاه ومشى مسلحاً لا يبالي حتى التقى بمن بقي من رجاله، فركب فرساً وأخذ سيفاً وانتقى اثني عشر فرساً، من خيولهم قوية، وقسمهم ثلاثة أقسام أربعة منهم معه وأربعة يغيرون على القوم من اليمين وأربعة يغيرون من اليسار وأمر هؤلاء الثمانية أن يتريثوا حتى يسمعوا صوته في الجمع، وأغار هو، وعلا في القحطانيين صوت ابن حميد فلم يصبروا غير قليل وتفرقوا ناجين بأرواحهم وقتل طائفة منهم واستعاد أمواله وسلبهم أمواهم واتجه حذراً حتى بلغ حدود عتيبة فأمن . ا. هـ[٣].

وكان ابن حميد إذا أراد الكلام نطق به متمهلاً لا يفوه بالكلمة قبل التأمل بها، ولا يصنع هذا تكلفاً بل هو طبيعة فيه»[٤].

وفي النبذة النفيسة التي ذكرها ابن بليهد عن مناخات البادية وأوردتها مدخلاً للحديث عن ابن هندي أورد حيلتين من حيل ابن هندي الدالة على دهائه وفراسته إلا أن الشيخ ابن بليهد عقب على ذلك بقوله:

ولكنه مع هذا الدهاء والزكانة كان يخطىء في بعض الأوقات ويتجبر على بعض الأعداء يدفعه إلى ذلك كثرة أنصاره وأنه مطاع في قومه لا يردون له مقالاً[٥].

وقال ابن بليهد في موضع آخر:

أما محمد بن هندي بن حميد فهو مطاع في قومه محبوب عند الناس محبوب عند الملوك.

---

(٣) مرت هذه القصة في سياق لابن بليهد.

(٤) ما رأيت وما سمعت ص ١٤٧ ـ ١٤٩.

(٥) صحيح الأخبار ١٢١/٢.

سمعته يتحدث وهو يقول:

والله ما أخذت الحضري ولا أرضى بأخذه»[٦].

وقال ابن خميس عن عتيبة:

وبلغت ذروة مجدها في عهد رئيسها محمد بن هندي بن حميد الذي عاصر محمد بن رشيد وشطرا من عصر الملك عبدالعزيز آل سعود[٧].

ومن الأمثلة الحية لشجاعة ابن هندي هذه القصة:

قال الشيخ إبراهيم بن عبيد:

ثم دخلت سنة ١٣١٠ ففيها دعا الأمير محمد بن عبدالله بن رشيد بمحمد بن هندي إليه بعد ما أضعف جانبه باستجلاب كثير من قومه، ولما حضر بين يديه جعل يتهدده ويتوعده كأنه قد بلغه ما يريبه عنه وقام رجل من أتباع ابن رشيد يدعى الطوير موافقة للأمير فجعل يتكلم في حق محمد بن هندي ويقول كأني بالمغاتير والمجاهيم تؤخذ منك وإني لأرجو أن أتولى نهبها من بين يديك فرد عليه ابن هندي قائلاً قبحاً لك وما حصلت عليه إذ أنك لم تحصل إلا على الخزي أخذك الله، وكان محمد هذا رجلاً تقياً وذا عبادة أضف إلى ذلك شجاعة تضرب الأمثال بها، فاستمر ابن رشيد في تأنيبه حتى قال له يا ابن هندي انج بنفسك فلك المهربات[٨] فقام من عند ابن رشيد بعد العصر وسار سعه أربعة من رجاله حتى أشرف على

---

(٦) صحيح الأخبار ٢/١٢٢.

(٧) المجاز ص ١١٢.

(٨) المهربات هي إمهال الرجل ثلاثة أيام في البلد يستعد للرحيل في خلال هذه الثلاثة الأيام وبعد مضي هذه الثلاثة يقتله الأمير إذا تخلف غير أن ابن رشيد لم يمهله بعد مقالته ولا يوماً واحداً بل شد في طلبه، نسأل الله السلامة والعافية وفي قصة الأمير ابن هندي أكبر مثال من شجاعة العرب. ابن عبيد.

قومه وأدباشه فأمرهم بحفظها وذهب فاراً يريد النجاة، أما الأمير فإنه لم يمهله بعد ما ذهب شد في طلبه تلك الليلة وجد في السير وأمر جنوده بالنهب والسلب فشرعوا في أخذ ما مروا عليه ولما أن أشرفوا على رعاياه كان من بينها المغاتير والمجاهيم قد جعل في كل رعية حارسين فهما في وسط الرعية فإذا قرب منها العدو خرج أحد الحارسين فرشقهم بالنبل فإذا انكشفوا رجع داخلها وهكذا وكان جنود ابن رشيد على تلك الصفة ولا يهملون محمد بن هندي فتراهم يطالعونه من خلفهم فلما كان ذات مرة اجتمعوا وشدوا على إحدى الرعيتين فأخذوها فخرج الحارسان ودخلا في الأخرى فهما في جهاد وعلاج فعند ذلك أجمعوا أمرهم وحمل منهم مئتان على الأخرى وعزموا على أخذها هذا ولا تزال أعينهم ترقب ابن هندي على البعد فلا يغفلونه لمعرفتهم لسطوته فلما غمروا الحرس خرج صبي من بين الرعية ينادي بأعلى صوته قائلاً محمد بن هندي يا محمد بن هندي تكفى أخذت فلانة وجعل ينتخي ويصيح تكفى يا محمد بن هندي تكفى أخذت يا محمد بن هندي أخذت فلانة لعمانية مشهورة بسلامة النسب عربية متولدة أباً عن جد قد نتجت وادخرت ليومها فلم يشعر القوم إلا به قد صاح بأذن فرسه وأجلب وكانت فرساً في أعينهم هطلاً ولبتها تكاد تمس الأرض لضخامتها وهو يسير منهزماً في بداية الأمر مع منخفض الأرض فلما سمع النخوة شد عليهم وهو يصيح في آذانها فصارت تلك الفرس كهيئة الذئب وأقبلت تعدو به كالطير فلم يشعر القوم إلا به كالأسد الوثوب الذي لا يطاق إذا صال وعجب القوم لتلك الفرس كيف اجتمعت كذلك فرمى بالرمح واختطفه بالسيف فقطعه نصفين وشد على إحدى القطعتين فضربها فقسمها إشارة منه أن ما وصله هذا السيف لا ينجو فعند ذلك فر ابن رشيد وقومه بخيلهم وركابهم وعاد محمد هندي فغمر الخيل من خلفها فقتل منهم خمسة عشر فارساً ونفرت خيلهم تجر أعنتها ولحق الطوير وشد عليه حتى ضربه بالصارم ضربة سقط لها شطره الأعلى ولم يبق على الفرس سوى

وركيه ولبث محل القطع عشر دقائق أبيض لم يخرج منه دم فجمع القوم خيلهم تباري الأمير خشية أن يسقط ليركب على الأخرى فتكون الخيل على استعداد، هذا وهم يطيرون منهزمين قال من حضر الواقعة أشهد بالله لرأيته يعني محمد بن رشيد منبطحاً على ظهر جواده وهو يطير به ويقول اللهم اكفنا شره يكررها فلم يشعر الفوارس إلا به قد جاءهم من أمامهم فتفرقوا شاردين فشد على الأمير وبعد ما أدركه من خلفه رفع السيف فوق أذنه يقول احفظها لي يا ابن رشيد فانقلبوا بشر حال ورجع محمد بن هندي بما ناله من الخيل والإبل والسلاح شعراً.

وما تريد بنو الأغيار من رجل   بالجمر مكتحل بالليل مشتمل
لا يشرب الماء إلا من قلب دم   ولا يبيت له جان بلا وجل

فلما كان بعد أيام بعث إليه ابن رشيد يقول هل أنت مسالم أم محارب، فقال بل مسالم ولكنك اضطررتني لأن أكون محارباً فأمره أن يعرض طلبه وما يريد، فقال أريد جميع ما أخذتموه تردونه فرده عليه[٩].

وقال الزركلي: وكان من برقاء أشجع فرسان العرب أيام ظهور عبدالعزيز: محمد بن هندي بن حميد تغلب على آل ربيعان رؤساء الروقة وانفرد بزعامة عتيبة ومات متردياً من فوق ناقته سنة **١٣٣٣**هـ وخلفه ابنه نايف ولم يكن في السياسة والشجاعة كأبيه.

قال خالد الفرج: قاوم نايف دعوة الرجوع إلى الدين فنافسه في الزعامة ابن عمه سلطان بن بجاد بن حميد وساعده عليه عبدالعزيز ففر ابن هندي (الابن) إلى بادية العراق وتولى سلطان بن بجاد زعامة عتيبة وكان ساذجاً متعصباً متهوراً تعوزه الحكمة والمهارة[١٠].

---

(٩) تذكرة أولي النهى والعرفان ١/٢٩٧ ــ ٢٩٩ في سنة ١٣١٠هـ.
(١٠) شبه الجزيرة ٢/٤٦٧ ــ ٤٦٨.

قال أبو عبدالرحمن:

لما قال شالح بن هدلان:

عاداتنا بالصيد ناخذ خياره ثلاثة الجذعان غصب بلا من

علق على ذلك الأمير السديري بقوله:

الثلاثة الجذعان هم سلطان بن محمد بن هندي ونائف بن محمد بن هندي وابن عم لهم وقد قتل الجميع قحطان بثأر الفديع[11].

قال أبو عبدالرحمن: ما دام نائف خلف أباه بعد مماته فلا بد من أحد احتمالين:

فإما أن يكون الأمير السديري واهماً وإما أن يكون لابن هندي ولد اسمه نايف قتل في حياته ثم رزق ولداً آخر فسماه نائفاً.

وربما كان المقتول مع سلطان ذعاراً أو هندياً.

ووجدت في كراسات الأمير السديري رواية عن الملك فيصل عن أبيه الملك عبدالعزيز رحمهم الله جميعاً: أن تريحيب بن شري أشجع فرسان البادية كما أن عبدالعزيز بن رشيد من أشجع الحاضرة.

ووجدت في كراساته: أن محمد بن هندي امتنع عن مبارزة تريحيب وعندما رجعت الخيل من طرادها في النهار أطافت فرسان عتيبة بزعيمها محمد بن هندي ما بين متعجب وغاضب ومتهكم.!

فبادرهم محمد بن هندي بقوله: سلط الله عليكم: تريحيب ورع

---

(11) أبطال من الصحراء ١/١٧٢ وقال شالح أيضاً:

جابوا لنا كسب خذينا خياره ثلاثة الجذعان غصب بلا طيب

شعراء من البادية ص ٣٨.

صغير مهبول مجنون (لتهوره) لو برزت له والله لا يصلني وأتقاسم وإياه الشر. اتركوني لعيلاتكم ومحارمكم وباكر يذبحه أحدكم ببندق.. اتركوني لولد صلعا (بنت المريخي) اللي يدبر الجموع ويسير وراها!!.

وعن تراجع ابن هندي أمام الملك عبدالعزيز سجل لنا فهد المارك هذه الحادثة عن إجازة ابن هندي لرجل اسمه بتال السهلي اقترف جرماً ولم يبين لنا المارك ذلك الجرم.

قـــال:

ومن المعروف أن الشجاع المنيع الجانب لا يستطيع أحد أن يخفر ذمته أو ينتهك جواره، يضاف إلى ذلك أن الفارس محمد بن هندي لم يكن فارساً منيع الجانب فحسب بل وزعيم عشيرة (برقا) أحد جذمي قبيلة (عتيبة) التي تعتبر من أكثر قبائل نجد ورجالها من أصلب القبائل عوداً وأشدهم بأساً، ويغضب لغضبه آلاف الفرسان من عشيرته دون أن يسألوه لماذا غضب؟..

يمكن أن يتصور الإنسان أن مرتكب الجريمة إذا استجار بأي فارس فإن هذا الفارس لا يستطيع أن يحمي المستجير به من حاكم كعبدالعزيز بن سعود أو كعبدالعزيز بن رشيد في عهده، ولكنه لا يمكن للمرء أن يتصور أن مرتكب الجريمة إذا استجار بالفارس محمد بن هندي ولاذ بجواره يستطيع أي حاكم مرهوب الجانب أن يمس مستجير ابن هندي بسوء، وخاصة في ذلك الوقت الذي يستطيع فيه كل رئيس قبيلة أن يكون قوة مرهوبة الجانب وعندما أقول ذلك الوقت أعني قبل أن يوحد الملك عبدالعزيز سكان جزيرة العرب.

وهكذا ظن بل اعتقد (بتال السهلي) أنه مهما ارتكب من جرائم نكراء، ثم لاذ بجوار الفارس محمد بن هندي فإن عبدالعزيز الوديـع

المتسامح، الباسم الثغر الحريص على إرضاء قومه بصورة عامة، وعلى كسب رضا الفارس ابن هندي بوجه خاص، سيكون أضعف من أن ينال (السهلي) بسوء، أو يمسه بأدنى أذى، ما دام في حمى ابن هندي، وهذا الظن أو ذلك الاعتقاد طبقه فعلاً (بتال السهلي) واثقاً ثقة لا حدود لها لو جاء حاكم يملك قوة الدنيا، فإنه أعجز من أن يناله بأدنى عقاب.

ولسوء حظ بتال السهلي فإن غروره وعدم مبالاته بعبدالعزيز من ناحية واعتماده على الفارس ابن هندي من ناحية أخرى كل ذلك جعله يذهب إلى عبدالعزيز بأسلوب فيه تحد ملحوظ، أي أن السهلي لم يكفه أن يظل متوارياً في خيمة ابن هندي ــ وسط الصحراء ــ بصورة يكون فيها لعبدالعزيز المبرر فيما إذا أغضى طرفه عنه جاهلاً بمكانه المتوارى فيه ــ أو متجاهلاً ــ بل جاء إلى عبدالعزيز مرافقاً ابن هندي عندما جاء هذا الفارس وافداً على عبدالعزيز، زاعماً أنه في حصن منيع مناعة أشد من مناعة عقاب الجو.

وحتى الفارس ابن هندي خامرت نفسه الكبرياء والغرور، ولم يخطر له ببال أن يواجه موقف بطولة من عبدالعزيز، ويجعل حياته هو نفسه مهددة بالمصير الذي لقيه بتال السهلي.

وهكذا جاء ابن هندي إلى عبدالعزيز يتبختر في مشيته، وبجانبه المجرم المغرور (بتال السهلي) الذي يبادل ابن هندي بتبختر مماثل، جاء الاثنان ومعهما لفيف من فرسان قبيلة ابن هندي، وكان عبدالعزيز جالساً في خيمته بجواره عدد من زعماء قبائل نجد وفرسانها نظر عبدالعزيز إلى ابن هندي، وإذا بجانبه بتال السهلي يمشي كلاهما مشية الخيلاء والتحدي فقفز عبدالعزيز من مكانه، وتناول السيف الذي كان موضوعاً بجانبه، معلقاً في عمود الخيمة، وانتضى السيف الصارم ووثب على مرتكب الجريمة،

وبسرعة تشبه سرعة البرق الخاطف ضرب عنقه، وإذا برأسه يتدحرج بين قدمي مجيره ابن هندي.

ثم انحرف إلى ابن هندي، وشهر السيف بوجهه، وصرخ عليه صرخة لها دوي كزئير الأسد المتحفز على فريسته. وقال والسيف يقطر دماً: (هو معك يا ابن هندي)؟.

فما كان من ابن هندي الشجاع الرابط الجأش إلا أن قال: (اهب!! الرجل وقتلته، وش تريد مني بعد) أي اكفني أذاك ماذا تريد مني ما دمت قتلت الرجل!!.

يقول الرواة الذين شاهدوا ذلك المنظر الرهيب: إن عبدالعزيز عندما رأى السهلي ثم انتضى سيفه انقلب في أعين ناظريه من ذلك الإنسان المتواضع الوديع إلى أسد هصور، إلى درجة أن أحد الفرسان الحاضرين في تلك الخيمة عندما لامه اللائمون قال للائمين: إنكم تلومونني لماذا لم أمنع عبدالعزيز من قتل الرجل، فلو نظرتم بأعينكم عبدالعزيز بالعينين اللتين نظرت إليه بهما لما جاز لواحد منكم أن يلومني، فوالله إنني حينما نظرته عندما انتضى سيفه تمنيت أن يكون لي منفذ أهرب منه لأنجو بنفسي، ووددت أن أخرج من خلف رواق الخيمة.

وإذا كان الرواة ينقلون عن (عنترة) قوله: إنني أضرب الجبان ضربة ينخلع لها قلب الشجاع، فإن عبدالعزيز بقتله السهلي فاجأ الفارس ابن هندي مفاجأة لو لم يكن شجاعاً رابط الجأش لفر من مكانه أو انهارت قواه، عندما قتل رفيقه وسقط رأسه بين قدميه ثم شهر عبدالعزيز السيف في وجهه، قاصداً أن يلحق ابن هندي رفيقه السهلي، فيما لو بدرت منه أية إشارة تدل على المعارضة.

ويؤكد الرواة أن ابن هندي قبل أن يذهب إلى عبدالعزيز ذهب أولاً

إلى الأمير عبدالله بن جلوى وجلس عنده في خيمته، وكان السهلي يرافق ابن هندي، فقال ابن جلوي للسهلي: (أنصحك أن لا تـذهب إلى عبدالعزيز قبل أن يذهب ابن هندي أولاً إليه، ويشفع لك عنده).

فما كان جواب السهلي إلا أن قال: (أبك أنا ذاهب إلى عبدالعزيز بجانب عقاب نجد محمد بن هندي) أي ألا تعلم أنني ذاهب بحصانة صقر نجد؟؟[١٢].

□ □ □

(١٢) من شيم الملك عبدالعزيز ٢/١٦٩ ـ ١٧٤ وانظر قصة تتعلق بابن هندي في كتاب منوعات شعبية ص ١٠٦ ـ ١١٠.

(ب)

بعض وقائع ابن هندي

عن ماءة الرشاوية قال الشيخ ابن خميس:

وعند هذا الماء كان يوم من أيام العرب في هذا القرن بين عتيبة وحرب ومع حرب مطير عام ١٣٢٧هـ وبعد معركة شق فيها بيت ابن هندي شيخ عتيبة وقتل في هذه المعركة من عتيبة ابن جهجاه بن حميد وعالي الفجري وكلاهما من المقطة ومن قبيلة مطير أبو عبيد الدويش وطلال بن هدباء.. وانتهت المعركة بذلك[1].

وقال ابن جنيدل: إن هذا المناخ في ربيع عام ١٣٢٨هـ[2].

ونجد عند البلادي تفاصيل أكثر.

قال:

يوم الهييشة:

وقعة بين حرب وعتيبة سكان نجد معروفة عند أهل نجد كلهم، حدثت في الهييشة أحد روافد وادي السر في نجد قرب نفي وتعرف بشقة بيت ابن حميد، وكانت قيادة حرب عند ابن نحيت شيخ مزينة، وكانت في أول هذا القرن الرابع عشر، ويقال أن القتل كثر فيها وكانت الغلبة لحرب، وفيها يقول شاعر حرب:

يرعون من عبلة إلى حليت   وشبيرمة يردونها
لعيون نورة بنت ابن نحيت   اللي غشانا نورها

---

(١) المجاز ص ١٠٦.

(٢) عالية نجد ٢/٦٠٣.

تراودت قبيلتا عتيبة وحرب، فقالت عتيبة: نصبح حربا في وادي الرمة ونحتله منهم. فقالت حرب: بل نقصر عليكم الطريق ونصبحكم في وادي الرشاء، فصبحتم حرب، وشق الحربيون بيت ابن حميد، وتسمى المعركة أيضاً شقة بيت ابن حميد فانهزمت عتيبة. ويقول الجملاء من حرب أنهم هم الذين شقوا بيت ابن حميد، وأخذوا بعد ذلك ولهذه المعركة شهرة في نجد والرواية فيها متطابقة من القبيلتين ، لأن البادية لا زالوا يعتبرون أن من الفضائل والرجولة الاعتراف للخصم بفعله[٣].

وعن يوم الرحا قال ابن خميس:

ولتضاعيفها وتداخلها يلجأ إليها العرب عند الخوف. . وقد لجأ إليها الأمير محمد بن هندي بن حميد الفارس الشهير، والشيخ بعيد الصيت، لجأ إليها بمن معه من المقطة عشيرته الأدنين حينما أحس بوجود محمد بن رشيد أمير حائل حوله، ولكن هذا اقتحمها على ابن حميد وكان يوم مشهود أبلى فيه ابن حميد بلاء حسناً دون محارمه وذراريه وأمواله، فنجا بإبله وبأهله، وأما بقية قومه فقد غلبته عليها الكثرة وقيل: إنه ذلك اليوم أخلى سروج خمسة وثلاثين جواداً من أهلها، وذهب بها كسباً وكل من قابله من قومه وطلبه أعطاه واحدة حتى فرقها كلها مما جعل شاعر عتيبة زبن بن عمر البراق يقول في ذلك:

أبا العطايا قد عطا من نهاره	خمس وثلاثين معنونة ظهاير
ما منهن اللي حط فيها مشاني	ولا قال فيها: لي رجا فلو ناير[٤]

---

(٣) نسب حرب ص ١٥٤ ــ ١٥٥ وانظر عالية نجد ١/١٠٩.

(٤) المجاز ص ٢٠٦ ــ ٢٠٧ وزبن بن عمير رحمه الله مات قريباً ولم يدرك ابن هندي وإنما قالها استجراراً لتاريخ سابق.

قال أبوعبدالرحمن: وفي هذه الوقعة قتل ابن هندي بيده الصطامي من صناع حائل، وفيها قتل ابن طوالة كما سيأتي في قصيدة فراج التويجر.

وعن منهل الدمثي قال ابن بليهد:

وهذا المنهل هو الذي أخذت عليه مغاتير محمد بن هندي بن حميد أخذها غزاة يرأسهم ابن بصيص المطيري فلحقوهم المقطة جماعة ابن حميد فلم يظفروا بردها وحدثني رجل منهم يقال له حسن بن صنيف قال: قد يئسنا من الإبل، فما شعرنا إلا والإبل قد ثار عندها أصوات بنادق هائلة، فجئنا الإبل وهي بهل على أولادها وآخذها قد طرد عنها وإذا شمروخ بن حويان العريدي من الروقة وهم بطن من عتيبة قد جاء ومعه غزوة من قومه، وهو من رماة أهل نجد المشهورين، فوجدناه كسيراً في رجله اليمنى وقد وضعها في قلص[5] ووضع عروتيه في رقبته ومعه أربعون رصاصة في حزامه فوجدنا عنده عشرين فشقة، وهذه العشرون هي التي افتكت الإبل فإنها لم يسقط منها واحدة إلا في رجل أو راحلة، فما شعرنا ونحن عنده إلا بالرئيس محمد بن حميد قد وصل ومعه مئة وخمسون خيالاً، فحيا كبير الركب شمروخ وأصحابه، قال لشمروخ: أبشر بالسلامة من الصواب، فقال لنا: اذهبوا به إلى أهلنا فقد عزمت على طلبهم لعل الله يخيرهم حتى أتمكن منهم، فلزم، أثرهم وجد في طلبهم، ولحقهم وهم قد أناخوا ركابهم ضيوفاً عند أمير المذنب فهد العقيلي، فطلب ابن حميد منه إما أن يخرجهم من بلادهم أو يسلمهم له، فرفض كلا الطلبين، وهذه عادة متبعة عند أهل نجد إذا جاءهم رجل مطلوب فلهم حمايته من طالبه، وانتهت مسألة الرئيس ابن حميد وابن بصيص أن اجتمعا على مأدبة فهد العقيلي أمير المذنب وتعشيا جميعاً وكل ذهب إلى أهله فلما وصل ابن حميد أهله استأذنه شمروخ الصويب في السفر إلى أهله وقال له: قد بشرتك بالسلامة،

---

(٥) القلص تستعمله الغزاة وهو كالدلو من دون عراقي له ضفيرتان معمولتان من سيور الأدم وإذا أصيبت رجل أحدهم يضعها فيه انظر هذا الأعرابي ذبح خمساً من الركاب وثلاثة رجال بعدما أصيب ورجله في هذا القلص. ابن بليهد.

فلا يمكنك الذهاب حتى تبرأ، فبقي عندنا خمسين يوماً، والذي ذبحنا له من الغنم مئة خروفاً في كل يوم نذبح خروفين، ثم رحل إلى أهله ليس به أثر.

قال المؤلف: قد رأيته بعد هذا كأنه يعرج عرجاً خفيفاً[٦].

وقال ابن خميس عن محمد بن رشيد في حروبه لعتيبة:

وأكان عليهم يوم البرقان الذي يقول فيه سلطان التهامي العضياني من قصيدة:

ألا لا عدت يا يوم علينا بأيمن البرقان   نهار البيرق الجابر عن الحلة يعدينا

تعرضنا لهيب القيظ، لا مزهب ولا صملان

عسى رب كتب هذا علينا ما يخلينا[٧]

قال أبو عبدالرحمن: الذي أحفظه من الرواة أنها للشويب من الجذعان من المزاحمة من الروقة.

وهذه هي القصيدة كاملة وهي من اللحن الشيباني:

الا يا الله طلبتك يا مقل الطير بالجنحان

مقله يالهوا يلفخ بزينات الجناحينا

كما انك قادر تنجي من اللي يأخذ العربان

أخو نورة محمد لاظهر بالحضر ناصينا

ألا يامير توبة مالك الله نطرد السبهان

لعلك دايم بالعز وأنت اللي تزكينا

---

(٦) صحيح الأخبار ٥/٢٤٢ ـ ٢٤٣ وشبه الجزيرة ١/٢٧٣.

(٧) مجلة العرب س ١ ص ٥٠٠ وذكر ابن بليهد من القصيدة بيتاً ونسبه للشويب. صحيح الأخبار ٥/١١٤.

ألا وأشيب عيني من منازل خيل بالتومان

إلى قلت ادبرت خيل إلى خيل تناحينا

ألا لا عدت يا يوم جرى لي بأيمن البرقان

أشوف البيرق الجاير عن الحلة معدينا في

حدونا لهيب القيظ لا مزهب ولا صملان

عسى رب كتب هذا علينا ما يخلينا

ذبح تركي ذبح متروك مع شبابة النيران

يحسبون الضياغم نجع صلاح تناحينا

غدينا عقب ما حنا عرب نمشي مع السيدان

على قطعة حمير يقدع أولنا لتالينا

وقال ابن خميس عن بعض إغارات ابن رشيد على عتيبة:

وأكان عليهم يوم عريويات ويوم حمرور، وهذا هو اليوم الذي قتل فيه نعيس بن طوالة الفارس الشهير، وأكان عليهم في أسفل نفي، وأكان عليهم في نطاق، وفي هذا الكون يقول سعود اليابس من الحفاة من قصيدة:

خيل خيال وامطر الوبل فوقنا وغشانا من الدم الحمر شختور

على جال خشم نطاق، لا طقة الحيا اللي عن العد الهماج حدور

يا ذيب يا اللي يم حشة ملية اتبع جدايا القوم يا معثور

تشبع من الصبيان والجيش والرمك وتلقى عيال لابسين كمور

كم صاح غب الكون من شمرية حناها طناها حنية الباكور[8]

(٨) مجلة العرب س ١ ص ٥٠٠.

قال أبو عبدالرحمن: قصيدة اليابس طويلة وها هي كما أوردها الشيخ منديل. قال:

سعود بن لفاي الحافي من قبيلة الحفاة من الروقة.

هذه من قصايد الشاعر المعروف سعود بن لفاي وهو يلقب (اليابس) من قبيلة الحفاة من الروقة من عتيبة وهو شاعر مجيد يصف معركة جرت بين الحفاة وشمر بأواخر القرن الثالث عشر فقال:

أول كلامي طلبة الله وذكره ... ذكرت ربي كل بادي نور
يقول ابن حافي بدا رأس مرقب ... في مرقب عالي بروس القور
يرد من زين المثايل وينتقي ... مثل العسل حلو بدون امرور
كلام أحلى من لبن شمخ الذرا ... لا روحت من حاجر ممطور
بعد جا خيال طلعة الشمس وامطر ... ثعوله من الدم الحمر شختور
وبرقه من أيمان النشاما سيوفهم ... ورعده من أفواه السلاح يثور
قبلي خشم (نطاق) لاطقه الحياء ... شمال من العد الهماج احدور
طاحوا به الفرسان منا ومنهم ... وردوا هل العادة على الصابور
نطحنا العدا من يوم جتنا جموعهم ... على سردهم والبيرق المنشور
وسقيناهم السم الذحاح وسقونا ... مثل نمور صادمت لنمور
وابن لغيصم طاح منا على الثرا ... ونحدهم عن ما لنا بحدور
يا ذيب ياللي بأيمن النير وأيسره ... كل من مداس الخيل يا معثور
وكل من الصبيان والجيش والرمك ... والى ظميت اشرب من المنجور
تلقا على الساقة حصان ومهرة ... وتلقا عيال لابسين اكمور
وصوت لذيب يم حشة مليه ... وخلوا الغياب السباع جزور
كم صاح عقب الكون من زينة الحلا ... حناها طناها حنية الباكور

من أولاد حافي لابتي ذي فعولهم ... أهل ما قف يوم اللقا مشهور

كروا علينا ثم رجعنا عليهم ... واقفت بهم جرد المهار اعبور

وردوا علينا وردة في عزيمة ... وهج الحلال وزرفل المظهور

وأحاطوا بنا قوم تهاذب خيولهم ... ولجة حداويهم على المأمور

ورمينا العمايم واعتزينا بحافي ... وثبت لهم كل أبلج منعور

وطاحن جياد الخيل من ضرب لابتي ... والدم الأشقر بيننا منثور

وحموا جريرتنا عيال بفعلهم ... وعيا على التالين ابن صمعور

وافتكت اللقوة بكثر الرزايا ... وكل خذا حقه من الميسور

جنايز الضفران حافي وشمر ... أمسى بها سبع الخلا مسرور

واربعي اللي كل ما قلت أظنهم ... لا كن يهدم بالبلاد أقصور

أهل مرحبا وان جت ليالي الشدايد ... وأهل الكرم وان جت ليال اعسور

يا حيسفا يا ريف هجن حفايا ... يوم الردي عن خاطره مثبور

أيضاً وابن هزاع وعميش قبلهم ... وحزام شوق الجادل الغندور

وجدي عليهم وجد من بات ساهر ... ولقوا عليه الطيبين اعقور

والوجد الآخر وجد راعي هجمة ... خذها الذويبي من طرف مجرور

واستغفر الله قبل تكتب عليه ... في كل عمري ما ذكرت الزور

تمت وصلى الله على صفوة الملا ... اعداد ما يزهي الفلا بزهور(٩)

وعن وقعة عروى قال ابن خميس:

ولقد أصبحت قبيلة عتيبة أثقل القبائل على الحكام حتى قيل إن الأمير محمد بن رشيد صبحها أربعين صباحاً في فترات متفرقات منها صباحه لها في (عروى) أصبحت هجرة للحمدة شمالي العرض ـ سنة

---

(٩) من آدابنا الشعبية ١/ ٢٦٠ ـ ٢٦١.

١٣٠٠هـ وقد زعم ابن رشيد أن ابن هندي شيخ عتيبة ينوي الإغارة عليه في عقر داره وفي ذلك يقول حمود العبيد الرشيد من قصيدة:

إن كان ابن هندي نوانا ببرزان حنا على عروى قصرنا مسيره
يوم حضر شره حزام وفاران كون على عروى تقطع غثيره
ياليل سلم لي على الشيخ راكان سلم على زيزوم يام وأميره

وهو هنا يعرض بقبيلة العجمان وأنها حضرت هذه الواقعة.

فيجيبه راكان بن حثيلين بقصيدة منها:

الاحسان يا ابن عبيد يجزى بالإحسان والشر تنطحه الوجيه الشريرة
ما قل دل، وزبدة الهرج نيشان والهرج يكفي صامله عن كثيره[١٠]

وذكر الشيخ منديل في كراسته أن من أسباب وقعة عروا ان ابن هندي توعد ابن رشيد بأنه سيغزوه في برزان.

ولعل الشيخ منديل أخذ ذلك من قول حمود بن رشيد:

إن كان ابن هندي نوانا ببرزان حنا على عروا قصرنا مسيره

وكانت الوقعة على ابن هندي وهذال بن فهيد وأوشكت برقا على الهزيمة لولا الله ثم مدد أبناء عمهم الروقة.

هكذا ذكر الشيخ منديل، وذكر ان ابن هندي قتل الصطامي الذي شرب فنجال ابن هندي.

وعندما أوشك العتبان على النصر جاء مدد لابن رشيد من أهل القصيم بقيادة حسن المهنا فصارت الهزيمة على عتيبة.

---

(١٠) مجلة العرب س ١ ص ٤٩٩ ويراجع كتاب من شيم العرب ٢/٧٩ ـ ٨٠.

ونقلت من كراسة الشيخ منديل أن برغش بن طوالة قال بهذه المناسبة(١١):

نـونشا من روس عـالي جبالـه	هله على ابن حميد هو والشيابين
عقب أوجهوا جا فزعة من شماله	أولاد روق مـرجحين المـوازين
راجـوا علينا روجـة بـاحتمـالـه	والهوش باه وتالي الهوش جاشين
شبت حرايقها وصـارت شعالـه	وقـودها حم الـرمك والغـلامين
من ضرب عمهوج راحت دباله	مير اقمحن يا لابسات السباهين(١٢)
لكن قشعـة في جمامي رجـاله	قنيب ذيب في علو الضـلاعين
وابن محيا ضـايقـونـا عيـالـه	عجلين بالردات مثـل الشياطين

وبعد وفاة محمد بن رشيد بقيت الإغـارات على عتيبـة من قبل عبدالعزيز بن متعب بن رشيد وقد أثخن في حربهم بآخرة.

وقال ابن بليهد عن عقوب الحميداني:

وهو من رؤساء الصعران وسامة الهلال (ر) هكذا، والصعران ينتمون إلى علي وقد قال محمد بن هندي: إني أخاف من عزوتين إذا سمعتهما خلفي (خيال الرحمان وأنا ابن علي).

والثانية (خيال الرحمان وأنا ابن دراج). وهذه هي عزوة آل سفران من قحطان(١٣).

---

(١١) روى ذلك منديل عن الأمير سالم بن مشل.

قال أبو عبدالرحمن: برغش غير معروف بقول الشعر.

(١٢) عمهوج: سيف الضيط الذي ذم حمود الرشيد جواده وسيفه بقوله:

حصان الضيط اللي يسمى صنيتان	صيت بلا جري ووصـوفه شهيـرة
إن جاك بالعرضة اليا تقل ديقـان	يفـزع بسيف سلتـه من جفيـره

(١٣) صحيح الأخبار ١٢١/٤.

وقد تكلم الشيخ ابن جنيدل عن مناخ عرجا وذكر قول المقاطي مفتخراً:

يوم جانا الفرم صايل عطيناه الوجب طعمة جاته من الله وحنا صافين
يوم جونا وجيناهم تعاقبنا السبب
راح نصف الناس والمال عند المارتين(١٤)

وعن يوم عرجاء قال البلادي:

نزلت بنو علي من حرب على عرجاء في ديار عتيبة، ولم تفد فيها مهادنة عتيبة لها فجمعت عتيبة معظم قبائل برقاوروق، وكان مع برقا (٦٠٠) فرس، ومع روق (٨٠٠) وكان مع بني علي (٤٠٠) فرس فاحتدم القتال من الصباح حتى المساء، فقتل من عتيبة (٩٠) فارساً ومن بني علي (١٥) فارساً، وكان حي من مطير قد حالف بني علي فانهزم قبل بدء المعركة، وفي المساء انسحبت بنو علي واحتلت عتيبة عرجاء.

وفي ذلك اليوم يقول شبيب بن رداس جد الأستاذ عبدالله بن رداس في حداء للخيل أثناء القتال:

بليتنا يا صانع الكرزان عساك يا الظالم ضعيف
اصبر بهندي من بعد سلطان من دون عجلات العطيف

إلى أن يقول:

حنا حرايبنا بني عثمان وشهودنا ولد الشريف

وعرجاء هذه غير الواردة في المعجم وهي في ديار عتيبة قرب الدوادمي(١٥).

---

(١٤) عالية نجد ٣/٩٢٦ ـ ٩٢٧.
(١٥) نسب حرب ص ١٩٧ ـ ١٩٨.

(ج)
ابن هندي في الشعر العامي

ابن هندي رجل ممدح لزعامته وشجاعته وكرمه وسأورد هنا نبذة مما قيل فيه.

قالت مويضي البرازية تفدي حبيبها بابن هندي لعظم مقامه:

يفدي وليفي كل قرم تعيب	وشيوخ برقا كلهم من فداياه
ويفداه ابن هندي مجري الرعيب	ولو كان شيخ والمراكيب تنصاه[1]

قال أبو عبدالرحمن: سجل حادثة الرحا فراج التويجر الروقي بقصيدة كتب بها إلي ثقة من الدوادمي فقال:

مما قال فراج التويجر من الدماسين من العضيان في محمد بن هندي يوم أغار عليه محمد بن رشيد:

قال العضياني تمثل وغنى	مثايل من خاطره واهتنى بها
ما هو شاريها ولا مستعيرها	ولا راح للشعار يقدا جوابها
مجنب ميرادها عن صديرها	ومجنب مصدارها عن غيابها
من خوف يلزمها فقيه ينقد	ياخذ مصالحها وينطل خرابها[2]

(١) المجاز ص ١٨٤ وقبل ذلك نشرها بمجلة العرب س ٤ ص ٥٩٨.

(٢) ينطل خرابها: يرمي به كناية عن الترك.

لها مجاز من مادة نطل إما لأن النطل شيء يلقى ويرمى به في العادة كالقشر يسمى نطلاً، وإما من انتطل فلان من الزق نطلة إذا صب منه شيئاً من النطلة وهو ما أخرجته من فم السقاء بيدك فكل هذا فيه معنى الإلقاء.

يـا راكب من عندنـا صيعـريـة | سـديس والا تو مـا شق نابهـا
مسراحها من روق من خشم عسعس | كل تشوفه صبح يوم التوى بها[٣]
ملفاك ابن هندي مهاشل الخلا | عيد النكيف اللي تضالع ركابها[٤]
تلقـون ثـايـة كمـا واكـف النـدى
من مس الأيدي عقب لوخ العشابها[٥]
خيـال بوش يـوم لحقـوه شمـر | هل المهار اللي تلاعج ثيابها[٦]
يوم اوحت الشرفا بحس ابن هندي | تباشر عنده بالفلك فك ارقابها[٧]
والخيل يوم اوحت صياحه وعزوته | تقلعت من كـل فـج اطنـابهـا
وابن طـوالـة نـار قـدام قـومـه | وابنه ذبيح وذبحتـه مادرى بهـا
لكن قلع الخيـل بينـه وبينـه | زمـول فرقـان موطـا زهـابهـا[٨]
ذوي حمد فيهم على الخيل ذارب | عز العديم لين يروي نصابها[٩]
وثـاني نشـر دم المعـادي يمينـه | بـرديني بالجـوف غمر صـوابها

---

(٣) عن عسعس انظر عالية نجد ٣/٩٥١ ـ ٩٥٢.
(٤) الشطر الأول منكسر ويستقيم لو قيل:
ملفـاك ابن هنـدي ريف المهـاشـل
(٥) هذا كقول ابن سبيل:
الـراوية تـدهن من الفـارغـات | والبيت ياكف مقدمه دثر الايمان
لوخ: ضرب كناية عن تداول الأيدي، واللواخة في الفصحى بمعنى الاختلاط.
(٦) تلاعج: تلمع كناية عن أناقة الشمامرة.
(٧) حس: صوت ـ فصيحة. وفي صلاة أبي بكر رضي الله عنه بالصحابة في مرض الرسول صلى الله عليه وسلم ورد في الحديث أن أبا بكر سمع حس رسول الله كما في صحيح مسلم.
(٨) لكن: لكأن.. موطا: ملقى عنها.
زهابها: زاد المسافر.
(٩) لين: إلى أن.

يا شوق عذرا كنها قايد المهـا والبـدر كنـه نـاقـع في لبـابهـا
يا بنت من يضرب بشلفا طويلة لا زرفلت والطرح جا في زهابها
قصدتها فيهـا على شان ابـوها ابـا اتمثل فيـه لو مـادرى بهـا
يا شيخ ابو سلطان ابالي اصيلة يا زينها وان كان ربـي نوى بها[10]
انا بلايـه من شبيب بن حجنة يوم ان طاحس راح يمه وجابها
ولشيوخ غيرك دوب تنقل زهابها مثل الحناشل يوم تنقل جرابها[11]
وانته حبالك باع من فوق حيله ومن ورد دلوه في حبالك سقى بها
وانته تشيل حمول من لا يشيلها نفطة لظلفه دفوفه مشى بها[12]

وقال ضيف‌الله بن حميد يحرض خاله محمد بن هندي:

يـا شيخ مـا تامر عليهم بغارة كود الجروح اللي على القلب يبرن

وقال ضيف‌الله في وقعة عروى بزعامة عقاب بن شبنان مشيراً على خاله محمد بن هندي:

نخيت خــالي يـوم هن اقبلني والدمع من عيني على حجرها سال

وقال ضيف‌الله بن حميد بعد أن ندم على طلاق زوجته الثانية متشكياً على خاله محمد بن هندي:

يا خال يا ريف المراميل يا ليت يا ليت من ربـى عليها العيالي

---

(١٠) ابا: أبغي أي أريد.
(١١) دوب: دائماً من دأب، ولعله أخذ من ذلك (دب) بمعنى دائماً.
(١٢) هذا ما استظهرته بالقراءة من خط سقيم ولم أعرف معنى الشطر الأخير. والظلفة: طرف حنو القتب ــ فصيحة.
قال سويلم العلي:
فيما مضى لوه على الوقت صبار يصبر الى صكت ظلوف المواخير

وحدثني رضيمان بن حسين الشمري قال عن عبدالمحسن بن حميد للشاعر المقاطي[13] يرثي ابن هندي:

يومه دنا واسباب يومه قعوده	يا كثر ما واجه من الشر كثراه
محمد اللي وافيات عهوده	الخيل تدري به نهار الملاقاة
لا واعمود البيت لا واعموده	لا واعمود البيت لا واعموداه[14]
ضلع يفلون العرب في لهوده	وازرى المعدي يوم عداه يرقاه

ولقد وجدت القصيدة كاملة في كراسات الشيخ منديل منسوبة للمقاطي ولم يبين اسمه. وهذا نصها:

مرحوم يا شيخ فعوله شهوده	لا طب بالصابور تكثر رزاياه
من شاف ضربه باللقا ما يعوده	الى اعتزى كل صفح من ملاقاه
يوم وقف واسباب موته قعوده	يا كثر ما واجه من الشر كثراه
محمد اللي يفقدونه جنوده	هو ذخرنا لاجا نهار المثاراة
اميرنا لا كل يصلح بقوده	يصلح بشلف فوق قب مغذاة
مثل الحصان الى هبد من يقوده	والى تبين له حريب تنصاه
لا واعمود البيت لا واعموده	يا كبر ما فوقه من الحمل كبراه
ضلع يفلون الدبش في لهوده	وازرى المعدي يوم عداه يرقاه
الناس تدري به وتذكر عهوده	كل خبر ذكره وفعله وطرياه

(١٣) هو ابن عزارم ولعله فندي بن عزارم المقاطي المذكور بعالية نجد ٢/٦٣٥.

(١٤) هذا شاهد بلاغي للتأكيد اللفظي، ولكنه روى أيضاً هكذا:

واكثر ما يقلع من الخيل كثراه.

واكثر ما تنثر من الدم يمناه.

واكثر ما ينثر من الدم كثراه.

يا كبر ما فوقه من الحمل كبراه.

شيخ الشيوخ اللي عريب جدوده نرجي عساه يجنة الخلد ملفاه

وقال شليويح العطاوي يمدح محمد بن هندي:

ومحمد اللي مدهل للاجاويد اللي على الحارب تهاذب مهاره

وأورد ابن بليهد في الجزء الثالث من صحيح الأخبار هذين البيتين لشاعر مجهول وعسى أن لا يكونا منحولين:

ومحمد بن حميد يصفق بياديه يقول ذبح عقاب وهدم عزاه
عينت فيحان الخضر وين هو فيه خلوه لذياب الحمادة تعشاه

وقال شالح الحمقي المقاطي يرثي ابن هندي:

يا نجد عقب محمد ويش بتقول مرحوم يا نور السلف والجهامة

إلا أن الشيخ منديل نسب هذا البيت لشالح بن هدلان رغم الثارات بين ابن هندي وشالح.

قال شالح كما في كراسات منديل:

يا نجد عقب محمد كيف بتقول عليت يا نور السلف والجهامة
فتال ما ينقض ونقاض مفتول ولا سعى بامر مشى في تمامه
ان جاه مظيوم من الحمل متلول حطه سمين ويبترم في سنامه

ومما أوردته من شعر سلطان المريبض قوله يمدح ابن هندي:

يتلون ابن هندي حمى قب الافراس لا قام ينخى والرمك في انحطابه
يثني جواده للمتلين نكاس وكم واحد من غرقة الموت جابه

وقال شالح الحمقي المقاطي:

في ضف ابن هندي حمى دقلة الخيل يمهل ولا يهمل حمى كل تالي

وقارنه ابن بليهد بقول عمرو بن كلثوم:

بـرأس من بني جشم بن بكـر نـدق بـه السهـولـة والحـرونـا

قال ابن بليهد:

معنى قول الشاعرين واحد: ابن كلثوم ذكر أنه يقتل الأعداء برئيس جشم بن بكر، والحمقي ذكر أنه يقتل الأعداء بابن هندي رئيس قبائل المقطة وهو من أكبر رؤساء عتيبة[١٥].

وقال حاد من الروقة:

يا قلب يا اللي جظ يا حلسان زايـد جـظيـظه نـزلتـك للحيـد

الله على اللي كنهـا الشيهـان مـع سريـة يقتادهـا ابن حميـد

وقال فيصل بن سلطان الدويش بعد وقعة هزم فيها هذال بن فهيد الشيباني:

ان كان ابن هندي نهـاره سده والا عـينـا لـه نـهـار ثـاني

طـريحنـا يـوم الـلقـا نـرده يـوم الهـزايم قـادهـا الشيبـاني

وقال نوار النفيعي يمدح ابن هندي ويعرض بهذال بن فهيد حيث لم يحضر حربهم مع قحطان:

يـا طـارش مـنـا سـنـود اسـلم وسلم لـي على هـذال

قـل لـه تـرانـا عقبهم في زود كـل المعـاني سـدهـا رجـال

بنحـورنـا عينـت ابن عـبـود راحت جـواده مـالهـا خيـال

وقال تريحيب في مناخ مطير وعتيبة:

علي نـطحة خيـل أبـو سلطان يـوم الـسبـايـا مـقبـلات

---

(١٥) صحيح الأخبار ٢/٢٠٧.

وقـــال:

يـــا طـــارش مني لبـــو سلطان | ومنـــاحـي حمـــاي البـــليـــد
والله لـــطارد ســـربـــة العتبـــان | لـــو كـــان خـــلونـــي وحـــيـــد

وقال محمد بن دخيل الله الشيباني (أبو طخمة الزبلوقي) من قصيدة طويلة كتب بها إلى ثقة من أهل الدوادمي ووجدت أبياتاً منها في كراسات الشيخ منديل:

والشيخ ابن هندي يعود له الشار | ما خم رايه من خفاف المشاوير
حيد رسا له شوفته تملا الانظار | يردون في رايه ونوج مصادير[16]

وقال منيع القعود الصانع من أهل الدوادمي يرد على ابن سبيل مبتهجاً بغارة محمد بن رشيد على عتيبة:

ألا يا سعد عيني ساعة العلم وافاني
وأنا في بيت ابن هندي على الدرب متحر له
شهر من ما كره ولا تونى طير حوران
على وعد النحايا وأصبحن ذروات يبرن له
تفكر يا عبيلة في مفاضخ نجل الأعيان
إلى جنك فتيخ يم قصرك وزبنن ظله[17]
غشى حيد الردامي من عجاج الخيل عكنان
أخذ طرش الطلوح وورد البيرق على الحلة

---

(١٦) نوج: تارة.

(١٧) عبيلة: لقب ابن سبيل.. جنك: جئن إليك.

(١٨) عند ابن جنيدل تبعاً لابن بليهد:

وهل جوبة وضاخ أرجف بهم قاع الوطن كله.

صحيح الأخبار ٥/٤٠.

تهزا بالضياغم يا سمي الكلب سدحان
تهزا بالضياغم والضياغم للعدو علة[١٩]

تراكم يا عتيبة ليو متعب ورث جدان
تحت حكمه ولا يخطيكم البيرق إلى فله[٢٠]

وقال الشويب يستدعي ابن رشيد لمحاربة عتيبة:

اهل المطارق دوك يا ابن رشيد اطلع عليهم مع مثاليم هكران[٢١]
اودع كثير القش منهم بديد ولا تخلي كود مدعوج الاعيان[٢٢]
اليا ضحك بمفلجات سريد يسوى من البصرة الى سوق نجران
يفداه من كف الشوارب بالايدي اللي يكفون الشوارب بالايمان[٢٣]

قال أبو عبدالرحمن: حدثني بعض الرواة بهذه القصيدة منسوبة إلى منيع العقود والصواب أنها للشويب.

وذكر الشيخ ابن خميس أن الشويب قالها في استعداء ابن رشيد على ذوي عطية قوم محبوبته.

وقال إبراهيم بن جعيثن يشير على هذال بن فهيد شيخ الشيابين بإعلان الطاعة لمحمد بن رشيد:

---

(١٩) هو سداح بن محيا.

(٢٠) أورد الشيخ ابن جنيدل من هذه القصيدة هذا البيت وروى الشطر الأخير هكذا:
واهل جورة وضاخ أرجف بهم قاع الوطا كله.

(٢١) عند منديل وابن خميس: اظهر عليهم.

(٢٢) عند منديل وابن خميس:
وأودع عمدهم كل يوم بديد والعفش من فوق المراحيل نثران

(٢٣) عند منديل: يسواه من كف الشوارب.

(٢٤) المجاز ص ١٨٩ والعرب ٧١١/٤ وقد أورد منها أربعة أبيات.

يا ابو جهز خذ مني العلم والشار ترى محمد تحـرق الضد نـاره
صرله صحيب وخذ على نجد تحيار طـوع بـواديهـا بمثـل النمـارة

إلى آخر القصيدة.

ومما ورد في النصيحة قوله:

تراه الى منه عطا الصدق ما بار وعليـك من بد البـوادي مداره

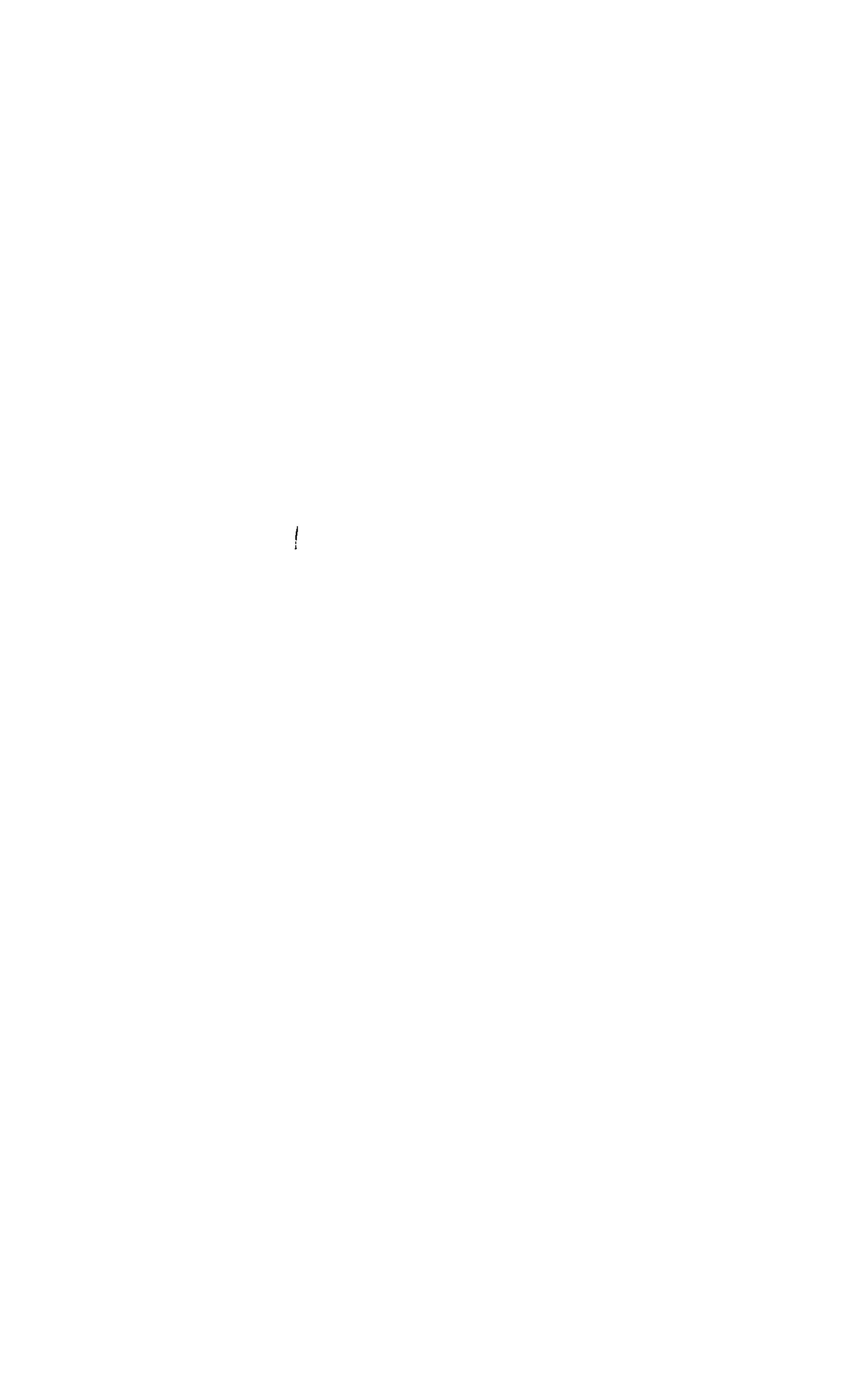
ولا ذكر لمحمد بن هندي في عهد تركي بن حميد ولكنه يفهم من شعر تركي تعلقه بابن هندي وتشوقه إليه إذا غاب عنه مما يدل على بلاء وفروسية ابن هندي في عهد صهره وابن عمه تركي.

فمن ذلك قوله يخاطب محمد بن هندي وإخوانه عندما نزحوا عنه إلى الشمال طلباً للمرعى:

نصه بني عمي قديمين الافعال اهـل المواقف في نهـار القتال

قال أبو عبدالرحمن: وقد أسلفت الدراسة لشعر تركي في السفر الأول.

□ □ □



(د)

شيء من أحديات ابن هندي

وإليك ما وصل إلي من أحديات ابن هندي:

١ ـ قال محمد بن هندي:

شاهر يوصف ثوبي المقزور ... ومن الحرص حرص عليه[1]
عاداتنا نركض على الصابور ... والعمر تدبيره على واليه

٢ ـ وقال:

يا ربعنا شدوا على الزلبات ... جتنا مناديب الامام
ليت الحصان اللي عطي ما فات ... ما سر بالباير عطاه العام[2]

٣ ـ وقال:

يا حيسفا يا فاطري ... وخذت مع نياق عزيب[3]
يا ليتني حضرتها ... من فوق مشعثرة السبيب
على العبية كنها ... عذرا تراعي للخطيب

---

(١) المقزور: الأبيض لعلها معربة عن الفارسية عن كزين وهو ثوب قطن يلبس في الحرب وتلبس الجياد منه، أو معرب عن كزاغيد وهو ثوب مبطن بالحرير يلبس أيام الحروب. المعجم الذهبي ص ٤٦٦.

(٢) ذكر الأمير السديري رحمه الله أن الملك عبدالعزيز أرسل لابن هندي يطلب منه حضور معركة المجمعة فاستجاب لذلك وتأسف على حصان كان أعطاه فيصلاً الدويش.

(٣) عزيب: بعيدة عن مناهل الماء.

٤ ـ أحديته على قافية الدال:

المتواتر عند الرواة نسبتها إلى محمد بن هندي وقد مر ذكرها في نص الزركلي وقد وردت هذه الأحدية في مجلة العرب بأكثر من هذه الأبيات إلا أنه قد ندَّ عني مكان وجودها بالمجلة.

وأوردها الأمير السديري رحمه الله منسوبة إلى مناحي الهيضل:

نقل الموارت ما بها نوماس رمية شرود من بعيد
علي ظف حبالها للراس والله يفعل ما يريد

وأورد السديري رحمه الله أحدية ثانية مشابهة لهذه ونسبها إلى الهيضل أيضاً، وهي قوله:

يا كيف يمدح راعي النيشان حذفة شرود بمهوى[٤]
خطلان الايدي ما لهم ميدان الخبل والطيب سوا
ما عاد يوجد للعرب ميدان ويلاه يا عصر مضى

□ □ □

---

(٤) النيشان: الهدف. قال عبدالكريم بن جويعد رحمه الله:

كل من كثر هرجه صار ها ذروة من يشيله الى سمر مع المايه

ـ ٨ ـ
المستدرك على السفرين الأول والثاني

١ ـ إضافة إلى أشعار تركي بن حميد وأخباره[١]:

قال تركي بن حميد:

يا راكب من عندنا نابية شط	تشدي ظليم بالخلا صايعه ذور[٢]
وقم الرباع ونابها ما بعد نط	تكسر عصي الكور لو كان ماسور
تشدي لكدري القطاحين قرط	انصف ريشه عقب ما هو بمنشور
فوقه غلام لا اظلم الليل ما غط	ادل من فرق القطا صوب خابور
تلفي بني عمي ورا نجد بهبط	اهل بيوت كنها شمخ القور
اهل صحون بالمجاعة تقلط	ذباحة ما زاد نيه من الخور
ان جيتهم ملزوم بالصوت تصعط	وعطهم مكاتيبي قبل تجدع الكور
واخبر بني عمي ترى الشين بي يغط	والنفس ما تصبر على الظيم والجور
عطوا كما عطت حصان الى عط	خطو الاصيل اللي من الزاد مبرور
لعينيك يا اللي بالعويدي تمشط	دقيق رمش العين كنه من الحور
ليته حضرنا يوم سو البلا شط	نار الذليل وردها كل مسطور
ارخصت عمري عند جيش المخلط	ما همني ناس يقولون حاذور

(١) راجع الجزء الأول من هذا الكتاب ص ١١٣ ـ ١٩٤.

(٢) هذه القصيدة أوردت منها أحد عشر بيتاً في الجزء الأول ص ١٥٥ ـ ١٥٦ ثم سمعتها كاملة من إذاعة الكويت كما أن بين الروايتين اختلافاً يفيد في تحقيق الرواية الصحيحة من خلال المقارنة والترجيح.

الغـوج رديته على غيـر يصفط | على شنق كنه من القين مكسور
كم فارس من راس رمحي تفرشط | مذح راسه حط في الحزم جافور
عليه خفرات بـالاسلاب تشعط | خلي عشا لمهرفل الذيب وطيور

ووجدت في كراسة الشيخ منديل هذه القصيدة لتركي بن حميد رواها منديل عن حربـي اسمه محمد من بني عمرو.

قال الحربـي: هناك مقاطي من جماعة ابن حميد جار لابن هنود من حرب فقتل ابن للمقاطي خطأ في نزاع حصل بين بني عمرو أنفسهم، قتلته حصاة رمي بها من غير قصد، فأرسل الشيخ تركي لابن هنود يقول له:

يا راكب من فوق حـر ذعيري | سبق الظليم اليا تقافى بمرواح
يسرح من الطايف ويمسي البصير | دار العمور متيهة خلف ولقـاح
كعـامة العـايـل بحـد الشـطير | بمسلبـات مع معـاطيب وارماح
سلم على ابن هنود راعي القصير | قل له قصيرك يا ابيض الوجه هو راح
امـا تقـاضى فيـه ولـد الاميـر | والا تقاضي فيه يا ظبـي الابراح

فقال ابن هنود لحامل القصيدة:

هل يريد تركي دية أم دماً؟!.

فقال الرسول: بل دية لأنه قتل خطأ.

فجمع له الدية خلال يوم واحد.

ووجدت في كراسات الشيخ منديل هذه الأبيات لتركي يشبب بأخت مصلط بن ربيعان وكان في منزل الشيخ مصلط فرآها وهم يرحلون:

لا والله الا اقفوا وساع النحايا | ما هللوا ولهم على الحزم معلوق[3]

---

(٣) هللوا: كناية عن ابتداء رحيلهم، لأن عادتهم ذكر الله في الحركة وابتداء السير.

يتلون من تبدى عليه الخفايا   عقله رزين ومغلق له بصندوق
يبون براق صدوق العشايا   تشبع رعاياهم بعرفج ورقروق
اقفوا بغرو ما يطب القرايا   تجيه حاجاته وهو ما يجي السوق
انا مريض ودوروا لي دوايا   مما برد ما هو من النقع مطروق

وهذه قصيدة كاملة لتركي بن حميد نقلتها من كراسة الشيخ منديل وقد أوردت بعضها في السفر الأول[٤].

ياما حلا ياعبيد في وقت الاسفار   جذب الفراش وشب ضو المنارة
مع دلة تجذا على واهج النار   ونجر الى حرك تزايد عباره[٥]
النجر دق وجاذب كل مرار   مالفه الملفوف من دون جاره
واخير منها ركعتين بالاسحار   لا طاب نوم اللي حياته خسارة
تلقاه في يوم يضيعن الافكار   يوم على المخلوق ما اطول نهاره[٦]
وقم في قصير البيت حشمة ومقدار   لو جار فادمح له ولو به خسارة[٧]
ترى النبي وصى على الجار لو جار   خذ الحذر يا عبيد عقب النذارة
رافق قوي الدين حفاظ الاسرار   ينفعك في يوم يجي به كرارة
ترى الهوى والغي هن شر الاشرار   ومن داس لعار الناس داسوا لعاره
جنب ردي الكار ما فيه تعبار   ما فيه من فعل المناعير شارة
جنب عنه خله لقصاف الاعمار   واحفظ وصاتي يا رفيع المنارة[٨]
واسلم ودم بالخير يا طير غيمار   وصلوا على المختار ما غار غاره

---

(٤) انظر ص ١٦٩ من ذلك السفر.
(٥) تجذا: تجر لها الجذوة من النار.
(٦) تلقاه: تجدهما.
(٧) وقم.. الخ: وقم بإكرام جارك وتقديره.
(٨) عنه: بكسر العين، وليست لهجة عتيبة ولكنها ضرورة.

ونقلت من كراسة الشيخ منديل أن تركي بن حميد قال هذه الأبيات بمناسبة نزول قاسي بن عضيب بن حشر شيخ آل عاصم من قحطان على الشيخ محمد بن هادي وكان قاسي وافداً على نجد مغاضباً.

قال تركي:

يا راكب من عندنا فوق شقران   يلفي على شيخ نزل بالخطايف
يتلونه العاصم نجوع وسلفان   وطرش على رعي المخافة زهايف
يا حيسفا يا نزلته فوق ببان   والى بغى يندى بذيك النذايف
قطعاننا ما بين كشب وفيحان   ما نشتحن لو حضبونا الحفايف

فأجابه قاسي بن عضيب بقوله:

يا راكب من عندنا فوق ضبيان   يلفي لنا شيخ عديم الوصايف
قل بعدنا اشلالك من القرب لو كان   تر قربنا لك موردات الرهايف
اما نصيب دحيم والا ابن شبنان   والا انت يا عيد الركاب النكايف[9]
الى ركبنا فوق قرنات الوذان   عاداتنا قرن الاخوان الولايف
مع لابة سقم المعادي بالاكوان   بسبر وجرد بين قرح وعسايف

وهذه قصيدة كاملة للشيخ تركي بن حميد نقلتها من كراسات الشيخ منديل ونشرت بعضاً منها في السفر الآل[10].

قال الذي بين من القلب مكنون   في حنكة بالصدر ما بان لحذاك
ترك عشير عشرته يوم او دون   ثم يبدل بك عشير وينساك
اشتف قطامي على السد مامون   درع القفا ما ينهض الراس لحذاك

---

(٩) دحيم: عبدالرحمن وهو أخو الشيخ محمد بن هندي.

(١٠) انظر ص ١٥٩ من ذلك السفر.

اللي الى اوحى الناس فيكم يهرجون | حامى على عرضك ويرفى خطاياك
يستاهل البيضا والاخيار يوحون | والا الردي خله يباري بيسراك
شم للعلا واترك هوى كل مزيون | لا تعتني بالغي يا زبن من جاك
ترى الهوى ضرب المعادي بمسنون | ورد على التالي الى قام ينخاك
وترى الهوى في يوم طاعن ومطعون | بيوم تغاب الشمس من كل الافلاك
هذا الهوى يعتز ربعه ضحا الكون | فعل وبه نعم الى قيل يقراك
يا عبيد خذ مني من القول ما زون | واسلم ودم ما غرد الورق بالراك

ونقلت من كراسة الشيخ منديل أن رجلاً من حرب كان يرعى في موقع معروف عند قبر الشيخ تركي بن حميد فوجد إحدى إبله تعلك جمجمة تركي فأخذها وقال (هذا الراس ما يستاهل محشه) أي لا يجوز تنظيفه فحلب فيه لبناً ووضعه مع العظام في القبر ولفه بغترته ووضع عليه حصاة لا يقصد بذلك أي غرض إلا التعبير عن شعوره بتقدير تركي.

وخلال ذلك أغار عليه قوم من السلتان من الروقة فأخذوا إبله فركب إلى عقاب بن شبنان بن حميد الذي كان شيخاً لعتيبة بعد تركي وشكى عليه إغارة السلتان وأخبره بقصته مع جمجمة تركي.

فسأله عقاب عن الدافع إلى ما عمله مع جمجمة تركي فقال: لا دافع لي غير محبتي لتركي وإعجابي بأفعاله فأرسل معه رجالاً وقال لا تدلوه القبر لأنه إن كان صادقاً وقفكم على القبر فوجدوا الأمر كما ذكره الحربي فأرسل عقاب إلى الروقة يطلب أداء إبل الحربي فأدوها كاملة.

ويشبه هذه القصة أنه وقع معركة بين سبيع وبين بعض القوم وكانت الغلبة لسبيع وقد أحاطوا بعدوهم ومن المصادفات أن وقع المغلوبون على قبر شيخ من مشايخ سبيع هو عساف ابو اثنين أو فهيد الصييفي كما قال

شاعر سبيع فالح بن حثلان فأناخوا عنده وزبنوه من يمينه ومن يساره وقالوا يا سبيع حنا بوجه صاحب هذا القبر فخلوا شأنهم.

وأورد الأمير محمد الأحمد السديري رحمه الله للشيخ تركي بن حميد هذه الأحدية:

يا واصلين جمل لا يركب المشبورة[11]
يذكر ليوم القرنة يوم تحوم طيوره[12]

فقال جمل بن لبدة من شيوخ قحطان يجيبه:

تركي خيال طيب ويدورني وادوره[13]
يمهل علينا واركب فوق الصفرا المذكورة[14]
والله لا روي سيفي واقحم شبا المسمورة[15]

٢ ـ ذكر الشاعر عبدالله بن صقيه التميمي أن عبدالله بن رشيد عزل زيد بن سليمان بن حمود العمير من إمارة الروضة لموالاته لآل سعود[16].

قال أبو عبدالرحمن: هذا تعليل غريب لأن عبدالله بن رشيد إنما تأمر في عهد فيصل بن تركي ومات في عهده وهو ساعد فيصل الأيمن شديد

(١١) المثبورة: فرس غير أصيلة تتحير في المشي وهي كلمة صحيحة فصيحة.
ويستعمل الثبر عند عامة نجد مجازاً بمعنى التخييب وإخلاف الظن.

(١٢) القرنة: موضع بين الدوادمي ونفود السر وانظر عن القرنة عالية نجد ٣/١٠٧٠ ـ ١٠٧٣.

(١٣) يبحث عني وأبحث عنه.

(١٤) الصفرا: فرسي التي وصفها تركي بالمثبورة.

(١٥) شبا: حد. فصيحة.
المسمورة: الشلفاء وهي رمح طويلة.

(١٦) بنو تميم في بلاد الجبلين ص ٣٦.

الإخلاص لآل سعود وإنما بدأ التنكر لآل سعود في عهد ابنه محمد بن عبدالله الرشيد.

٣ ـ وجدت في كراسات الشيخ منديل الهيد أن عبدالله العلي الرشيد وقت إمارته اجتمع بزعيم بريدة محمد العلي العرفج عند الإمام فيصل فقال أيكما أحسن شعراً؟.

فقال ابن عرفج أنا أحسن منه شعراً وهو يقول:

قل هيه ياللي لي من الناس وداد	ما ترحمون الحال يا عزوتي ليه

أما أنا فأقول:

قال ابن عرفج له كلام وكاد	من ضامره شروى التهامي إلى طار
النار لو كبرت عوضها الرماد	والحر ما يصبر إلى شاف الانكار
يا لابتي ردوا لحدب الهنادي	عذوا جوانب داركم فرخ الفار
ان كان ما خذنا القضا بالأيادي	يا عنك ما توخذ نسانا من العار

قال أبو عبدالرحمن: ابن عرفج معاصر لإمارة ابن رشيد وقد قتل عام ١٢٥٨هـ[١٧] إلا أن قصيدته لا ترقى إلى مستوى قصيدة ابن رشيد.

٤ ـ وجدت في كراسة الشيخ منديل أن ابن هديرس قال هذه القصيدة عندما منع متعب العبدالله الرشيد أخاه طلالاً من الإغارة على الذويبي لأن متعباً كان ضيفاً عند الذويبي:

توافقوا مثل الفحول الشوايل	هذا يبي يدلي وهذاك ينهاه
قال أبو بندر يوم عمس الدلايل	يوم ان كل مشورب عمست ارياه

(١٧) تاريخ ابن عيسى ص١٦٦.

أنـا وشمر فـوق قب الأصـايـل	حـريبنـا لـو هـو بعيـد نصينـاه
قال أخو رثعة لازمى كل عايل	معــزبـات مــا تكشف مغــطاه
الأمر لك صدق صحيح صمايل	وللعرض وجه وكيف عرضي تمثناه
أنتم وأنا من صلب ماضي الفعايل	ما ريت في رأسك فأنا مثلك أراه

٥ ـ يدل على أن عبيد العلي الرشيد جاوز الثمانين قوله:

لا عاد أنا عديت عشر الثمانين	الموت ما يبطي يجي له قرايف

٦ ـ قال الشيخ منديل في كراساته:

وهذه أبيات لعبد يرثي عمه ويماثلها أبيات لعبدالله العلي الرشيد:

يا شيخ ما تطلع من القبر أبو ياس	أبـا اعقبك وأخـذ سنين بـطيـة
إن كان عنا غيبتك عين لمساس	أظلم علينا الليل والشمس حية
اللي وسم حالي خفي على الناس	وسم المحوص بجال خطو الركية

قال أبو عبدالرحمن: البيت الأخير لعبدالله بن رشيد بيقين.

٧ ـ نقلت من كراسة الشيخ منديل ما موجزه:

أن عبدالله بن رشيد طلب المساعدة على بني تميم بقرى الجبل من كل من صديان بن عيادة شيخ الجحيش الشمري ومن شعيب أمير المستجدة فاشترطا عليه أن تكون إمارة البادية لصديان وإمارة الحاضرة لشعيب، وهدداه باستجلاب العسكر من المدينة برئاسة ساق الذيب.

فأرسل عبدالله أخاه عبيداً لاستجلاب العسكر من المدينة وبعث إلى صديان وشعيب بهذه القصيدة مع شارخ من جماعة ابن سعيد شيخ لدغيرات:

يا شارخ اركب فوق عوج المصاليب ... فليـا ركبتـه قـدم الحمـد لله

سرها إلى ما جيت صديان وشعيب ... أبو خلف يا ريف ركب تنصاه

أبشر بساق الذيب جابه لك الذيب ... عشيـرك اللي من زمـان تمنـاه

جابه لك اللي مثل حر المراقيب ... حر جلب عمره على الترك وأهداه

فأجابه صديان بقوله:

عاداتنا نركب على الفطر الشيب ... بقـطاعنا كم روض قفـر رعيناه

بأطرافهن نركز. علي المغاليب ... واللي يجينا ياخـو نورة ذبحنـاه

نركب على قب سواة العياسيب ... ياطن على كبد المعادين بحذاه[18]

نفرح إليا جانا صدوق المناديب ... قـال الحفينة سـايلات شغـايـاه

ماني من العبدان وأهل المغاريب ... ولاني فـريق مخيمـر والمنـاراه

٨ ـ وجدت في كراسات الشيخ منديل هذه القصيدة من الشعر الديواني لشايع الأمسح.

قال الشيخ منديل في التعريف به:

شايع الأمسح بن رمال من شمر، ليس له سوى عين واحدة، وقد بالغوا في قوة نظرها.

حبسه ابن عريعر مدة، ثم بعد ذلك قتل شايع ابن عمه ابن بدران شيخ قبيلته لأنه أراد أن يتزوج زوجة شائع بحجة أنه طال مكثه في السجن ولم يخرج منه.

ولما قتل ابن عمه ابن بدران لجأ عند الأساعدة في بقعاء ومدحهم في هذه القصيدة:

---

(١٨) بحذاه: بحذواتهن.

قال شايع:

قال ابن مرداس فتى الجود شايع حداني زماني والحمول ثقال
ذبحت عدواني وأطفيت نارهم والدم من ضرب المهند سال[19]
وزبنت من كان الصهيدا مقرهم عمى عين من خلى الطريق وعال[20]
معشي الخطار في ليلة الدجا اذجوه جوعا والركاب هزال
سعد زعيم للسواعد هل الوفا يفخر بها أجيال وراها أجيال
جاد وعطاني من جواده سلالة أيضاً من الغيد الرواس جلال
ارخص بهيقا هي وحير ابن مفلح من المغرس مزوي عليه ظلال
وأنا شف بالي غلمة اعتزي بهم ان قيل حماي الجراير صال
على النضا هي والرمك مسرجينها من فوقهن عود القنا ورجال
يقودهن المصطور سعد الحتيرش الأسعدي عرب الجدود وخال
ظعونهم تشبه مزون تمركزت من العد زاعوا للربيع شمال
شتوا بخد الحزل أيضاً وربعوا والريم عنهم عن مربه جال
من ظل مشموخ البنا قصر مارد من الخوف ما دبت عليه نمال
إن كان به جار عزيز مدلل جار ابن حتروش ربى بدلال
سقى الله دار قد سكنها العتيبي سقاها من النو الثقيل خيال

---

(١٩) سيرد خلل واضطراب في وزن القصيدة، إلا أن غرضي في هذه المستدركات إثبات الروايات وتجميعها، أما اصلاحها فإن لي أملاً في العودة إلى ضبط جميع الشعر الديواني القديم وشرحه ودراسته، وقد وضعت بعض المعالم في مقدمتي للسفر الأول.

وقصيدة شائع الميمة التي أوردتها في السفر الأول ص ٩٣ ــ ٩٤ أوردها فيها بعد ابن فردوس بديوانه ص ٢٠٤ ــ ٢٠٥ وفيها زيادة على ما نشرته.

(٢٠) عمى عين: كالعمى كناية عن أثرهم في عدوهم.

إلى أن قال في ذكر زوجته:

لي بين أجاهو وأم سمنان عندل   لها القلب عن كل الخلايق مال
الحي لا بده عن الحي عايد   إلى سقط حمل عليه وزال

٩ ـ وهذه قصيدة ثانية من كراسات الشيخ منديل لشايع الأمسح.

أما استيفاء شرحها وتعديل الرواية ودراسة الوزن فسيرد إن شاء الله في أحد الأسفار المفردة للشعر الديواني القديم.

قال شايع:

أول معشى بين شقرا وسحا   والاطوى مسحوب الرشامع جرورها
وثاني معشى عند عذفا نزولنا   والعصر جفلنا الجوازي لقورها
وثالث معشى بين سنار وانبط   بصف جيلان تلاعج نغورها
ورابع معشى جوبة كوهبت بنا   حلنا على دار كفى الله شرورها
جينا سوا حين على الكود والكدا   تناخى بجدان ثوت في قبورها
جونا جموع ثم زمنا عليهم   وراحوا كما جفل الظبا من قفورها
نخنا وأناخوا وانتخينا
وعقلوا والكل منا عيشته من دورها[٢١]
كلت سيوف الهند وانعاج بها القنا   وسيف ابن قدران بغاية امورها
كله لعينا خلجنا مع نسانا   وفرحن بلقانا مقاوي طيورها
نمنا بليل ونومنا به محايل   وهجيع قبلانا قبل حزة فجورها
وردنا بساقتهم على دار ملكهم   وغبطانهم قفت تشادي نسورها
اربع ليال بين شور ومشورة   وسرنا وشيبان تشادي بزورها

---

(٢١) يستقيم الوزن بحذف كلمة (وعقلوا).

نصينا بهن بيت على جال جاري واقفت شغاغيله تدندن قدورهـا
حيا بنا ورحب بنا قد فرح بنا والشيخ ما بين صماصيم شورها
بغينا الرجوع الصبح قلت انتيسر قال استريحوا عن توالي حرورها
نزعج لاهلكم ساعين له يجي بهم دليلة تقدا السهل عن وعـورها
وانتل قلبـي من فوادي وانكوى اوكد وكدت لي خفرة زاد نورها
قلت اوصي المرسول والبن بيدى وخزرت خرز مقلبات سبورها[٢٢]
قلت اعمد الشياب واكمن عن السلف يقـودون لعيـاد تلتهـا مهـورهـا
يضـرب لـزين يـاعين بشغنتـه لما يكنهب في عوالي قصورها
وزيدوا عليق الخيل من حب صلخط متـاع وقت عن توالي دهـورها
خوذوا منه نزع الطماميع كليكم لما ياصلن حصد الشويمة غمورها
خوذوا من عليات المشاريب وردهن وراسن من الهوجا المسمى وكورها
ياما حـلا بالقيظ مقـطان موقق لا اصفر عرجون القنا من بكورها
تلوذ بـالفوطـة عن واهـج اللوا لا قلطوا من عند بقعا سبورها
مشيخة الرعيـان زود عن العدا كم قالة غدوا بها غب جـورها

إلى قوله:

لنـا بدمثـات المبـاريـك منـزل لا صار ما قوادها من خبـورها

وقد ذكر الشيخ منديل عن مناسبة هذه القصيدة أن شائعاً ذهب مع جماعته في الربيع طلباً للمرعى وكانوا يأخذون من مروا بهم في طريقهم حتى وصلوا وادي السرحان، وهناك أدركهم غرمـاؤهم، فقال شـايع سأذهب إليهم وأطلب منهم الأمان لأنهم لا يعرفون أننـا نحن الذين أخذناهم في الطريق.

---

(٢٢) الشطر الأخير كناية عن الرمز المضمن فيها أوصى به الدليلة المنتدب.

فنهاه كبار السن من قومه خوفاً عليه فقال شايع: سأمالحهم: أي آكل من طعامهم حتى أكون في جوارهم قبل أن يعرفوني.

وعندما تقدم بطلبهم الهدنة للمرعى عرفوه فأرادوا أن يخدعوه دون أن يلتزموا بالأمان، فقالوا له: سنرسل لأهلك من يدلهم الطريق أما أنت فتجلس عندنا معززاً مكرماً، وكانوا ينوون أخذ جماعته إذا جاؤا.

وقد كانت بنت شيخ الحي تسمع الكلام وتعرف أنها خديعة فصبت الماء على الفراش من عندها حتى وصل الماء إلى شايع وهو وراء الستارة عند الرجال فعلم شايع أن هذا إنذار من البنت.

فطلب منهم شايع أن يحمل مندوبهم رسالة لأهله، فأملى عليه الرسالة مفعمة بالرموز لا يعرفونها وإنما يعرفها قومه كقوله (زيدوا عليق الخيل من حب سلخط.. الخ).

وقد أوصاهم في هذه الرموز بأن يهربوا ويمسكوا بالمندوب حتى يعود إليهم شائع، وذكر في رسالته أن القوم أكرموه وأعطوه مطلوبه وهو يرمز بكلمة مطلوبه ما تخوف منه كبار السن من قومه عندما نهوه عن الذهاب إلى العدو.

فلما تأخر رجوع المندوب صارحهم شائع بأنه أنذر قومه بالرمز وأعلمهم أن مندوبهم لن يفرج عنه حتى يفرجوا عنه هو وبالفعل أعادوه إلى قومه بصحبة رجال منهم واستلموا مندوبهم.

وذكر الشيخ منديل أن زوجة شائع (كعيب الضبـي) ذات جمال بارع، وكان كثيراً ما يوصي زوجته بحفظ الفرس ولكثرة وصاياه قالت:

عسى ما هي الحذرة!!.

وهي بهذا تسخر من فرسه إذ تقيسها بفرس ابن عريعر المعروفة

بالحذرة، وهي فرس أصيل مشهورة بالجري إذا أحست بغريب صوتت وحفرت الأرض بيديها.

فغضب شايع وأقسم أن لا ينام حتى يحضر فرس ابن عريعر.

إلا أن ابن عريعر نذر به وأمر جلساءه بأن يتفقد كل واحد جليسه حتى وقعوا على شايع ووضعوا قيد الحديد في رجله وأبدوا سجنه إلا بأربعين ناقة فداء له فأرسل شايع إلى جماعته يخبرهم بذلك فأبوا ظناً منهم أن ابن عريعر سيمن عليه بلا فداء إلا أن ابن عريعر قرر مضاعفة الفداء كل سنة زيادة خمس نياق.

وبعد مرور أربع سنوات أبى شايع أن يدفع شيئاً مطلقاً فلما سئل عن السبب قال: كنت أنوي الفداء لأدرك ولداً لي عمره أربع سنوات لأمازحه وأنا مشتاق إليه بدافع حب الطفولة أما الآن فقد كبر ولا أريد أن أفدي عن نفسي وأنا رجل كبير السن.

وبعد تمام تسع سنوات جاء الصبي متسللاً على مطيته فعلقها بعيداً ودخل بين الرعاة فخلا بأبيه وهلت دموعه عليه فرمز له الأب بكلمتين خفيفتين ففهم الابن الوصية، وهي الإيصاء باختطاف ولد صغير لابن عريعر.

كان الولد في خيمة مربية فإذا اشتاق له والده أرسل أي رجل من جلسائه ليحضره حتى كان ذلك عادة مستمرة.

وكان لا يعيد الصبي إلا بعد انفضاض المجلس قبيل حلول النوم.

وذات ليلة دخل ابن شايع خيمة المربية وأخذ الصبي كأنه مرسل من ابن عريعر ثم هرب به.

ولما طلب ابن عريعر الصبي قالت له المربية إنه عندك من البارحة.

فهبوا يتصايحون بحثاً عنه وبعد مرور ثلاثة أيام من الحزن قال شايع لا تحزنوا إن ولدكم عند ولدي ووصف المحل لهم فلما وفدوا على ولد شايع طلب منهم مطالب صعبة فداء لولدهم منها إبل ابن عريعر وفرسه وحلي والدته وأن يقدم شايع على فرس تمشي على الزل حتى تصل به إلى بلاده.

فسهل كل ذلك على ابن عريعر ما عدا الزل فقال شائع: الحل بسيط.

اجعل على مواطيء الفرس قطعاً من الزل مربوطة بالحذاء.

وبهذا عاد شايع إلى أهله وعاد الصبي إلى والده ابن عريعر.

وهذه القصة سمعتها من طلال بن رمال بمجلس الأمير محمد الأحمد السديري رحمه الله، وقد ساعد السديري في إكمال القصة.

وبهذه المناسبة قال شايع:

مضى لي ثمان سنين في حبس خير	وبالتاسعة جاني صدوق الفعايل
جاني غلام ما بعد خط شاربه	ولا جال في قلبه من الهم جايل
ودنق علي مضنون عيني وحبني	وهلت عباره فوق صدري شلايل
وانا الحديد بساق رجلي مغلق	ربيط كما حر شبك بالحبايل
تعيش يا غمر سطا ليلة الدجا	واطفا بصدري حاميات الغلايل
هديته على درب صعيب ولا هبا	ونهب ورع من هدى جميع القبايل
واقفى على الوضحا كما الهيق وصفها	ومن يرى وشاف الربد مثله حفايل
ربطني كبير الجاه يطلب فطايري	وضح ربن بديار زوبع جلايل
ويطلب جوادين من الخير غيرهن	يعرف انهم من مكرمات الاصايل
وعيوا بهن غلبا على وضاح النقا	وفكوا رباطي مقدمين الفعايل
من عقب ماني حاسر رجل عندهم	جوني سراع يطلبون الجمايل

يعيش ابن شايع تقصى بمطلبه	من الخيل غيره من كبار الشمايل
من عقب ما ثاره بعيد وعندهم	اليوم يصلى كبودهم بـالملايـل
اخذ ثار ابوه وثار عمه وعزوته	وثاره وطمن راس من كان طايل
عسى غلام ما فعل فعل وليده	تبكي عليـه منقضات الجـدايل
قانيه ابن مرداس من مرقب العلا	رفاع المباني من كبار الحمايل
خطا مثل خطوات لجده ووالده	جـده وابـوه مغضبين السـلايـل
جتني حليلة ليث هجر وشيخها	تشلق هدوم الغي والقلب جايل
قلت ابشري بابنك مع ابني وديعة	ويذريه عن لفح الشتا والقوايل
وفكت رباط ساج ساقي بحجلة	تحملت شيله من سنين طوايل
ودنوا لها حمرا من الهجن عيرة	وشالوا وركبت فوق زين الظلايل
وانا فوق قبا يوم احلي وصوفها	ريميـة وان ذيرت من خمـايـل

فرس من حمى بيضا الحباري عن الملا

شيـخ تخـاضـع لـه شيـوخ القبـايـل

يا طى على الديباج باربع قبونها	والمال معنا تقل يحداه صايل

١٠ ــ ومن كراسة الشيخ منديل هذه الفريدة للشاعـر جعثين اليزيدي من أهل الجزعة، وهنا سأثبت الرواية كما هي أما ضبط الوزن والدراسة فترد إن شاء الله بالسفر الخاص بالشعر الديواني القديم.

قال جعثين اليزيدي:

تصـاريف الـزمـان الى الـزوال	فعش ما عشت في طلب المعالي
فـاطلبهـا بشـرفـات النـواحي	والـسمـر المـثـقـفـة الـطوال
قمين ان يكـون وان تمـادت	لهـا لـو عـز مـطلبهـا ينـال
وكـل معيشـة فيمـا سـواهـا	على من عـاش بالـدنيا وبـالي

ولا تأسى على النكبات منها وبرق بالجنوب وبالشمال
ولاق الحادثات بعزم ليث ولا تجزعك شدات الليالي
فشدات الليالي مقدرات على من هي عليه بحكم والي
فللشدات أفراج ولين وللضيقا عقد وانحلال
وان مدت لك الدنيا جناح وان صرت من الزمان على عدال
فلا تأمل في اللخوف رعد ولا برق يشاف ولا خيال
فما يبدي افول البدر حتى تراه الناس في شوف الكمال
فهو مرة قمر منير وهو بالمرة الاخرى هلال
الى ما بان لك بالدار صغر وهنت خلاف شوفات جلال
فودع ما يشوقك واسل عنها وفارق وابتدل حال بحال
فما يرضى رفيع القدر ذل ولو كانت مطيته النعال
مقامك في بلاد ارخصت فيها فما غالي سوى عمرك بغالي
فلا ينفعك في دار مقام وقدرك في ربوع الدار خالي
ولا ينفعك في سمل مرقع ولا في صاحب السو العدال
ولا ينفعك زاد كلته أمس تصبح وبطنك منه خالي
ولا ينفعك في دق المعالي ولا في جلها غير الرجال
ولا ينفعك جدان كرام الى خابوا نسولهم التوالي
وان شفت الحشيمة من كريم غني عنك ذو عز ومال
ينالك منه خير كل يوم ولا يسمع قبالك بك مقال
فجاز جمايله ما دمت حي وكن في حاجته ولدة حلال
وعاد لمن يعادي من عدوه وقل بالطيب صحبة من يوالي
وراعه بالمراعاة منه واحذر توافق كل هماز نمالي
فتخطي في أمور مهلكات وتقفاها العقوبة والنكال

فقلت لـطيب المنثنى عـلينـا رفيـع الثنـا زيـن الـفعـال
ومن الـوجـل بـي نـاي وهجـر رعـاني بـالمـودة والـوصـال
الى ما عشت عشت بدار خير امنت من المكـاره والضـلال
بهـا ينبيك مجـروح مطيـع يجـاري الحبر ينتـل انتـلال
على صفـح السجل مترجمات بخط لـه نـظيـر العين تـالي
فعبدالمحسن بن سعيـد اقـره سلام والجماعـة بـالمعنى لي
من انقى من نزل وادي حميد وانقى ساكنـه في كـل حـال
وأشـرفـهـا وأرفعـهـا جـدود وأعـرفهـا بحـالات الـرجـال
وأصـدقهـا وأوكـدهـا وعـود وأبـذلـهـا وأجـزلـهـا نـوال
وأصفـاهـا وأضفـاهـا جـوار وأشجعهـا الى ضـاق المجـال
وأسـودهـا وأوكـدهـا كـلام وأبعـدهـا عن ادنـاس الخمـال
فتى مـاله سـوى العليـا مشـام ولا عن قيم الـدنيـا ابتهـال
ولا عن مقصـد الدنيـا انعـزال ولا عن مـطلب الدنيـا انعـزال
صليب عـزايـم راعـي نـفـوع على الحـاجات حلوات جـلال
فتى قسم الإلـه لنـا نـوالـه جـزيـل من يـديـه بـلا سـوال
لكن عـطيتـه تهـدين خيـر عشيـة من يمينـه مـدهـا لي
على شكواي من حاجات مثلما بـلا منن يكـون ولا احتيـال
جـزاه الله فـي دنـيـاه خيـر بنـوال مـراتب العـز الـطوال
وفي يـوم القيامـة جعل يعـطى ما احتاجه باليمين عن الشمال
وصلى الله على سيـد قـريش عـدد مـا لاح بـرق في خيـال

قال أبو عبدالرحمن: رواها الشيخ منديل عن ابن يحيا.

وابن يحيى من الرواة عن الشاعر الكبير ابن جعيثن.

وقال جعيثن وهي مما رواه الشيخ منديل عن ابن يحيى:

رخا العيش ضني لينة للشدايد وطلب المعالي في لقا كل كايد[٢٣]
والأعمار ما منها عديد كما مضى وما فات منها قد مضى غير عايد
ولا راحة الارواح على الشقا بهضم المعادي واقتحام الشدايد
وعسر الليالي هو سناد ليسرها كذا قال بالتنزيل واف الوعايد
وتدبير الاشياء في دواوين جدول على كل ما يخفا وما بان شاهد
فعش طالب العليا فما دمت مجتهد ولا يدرك المطلوب من لا يجاهد
كما النار توريها ويازي شرارها شديد القوى ما بين عودين رايد
يا ناق من وادي نعام تقللي وارجي لك التوفيق ضد الضدايد
لعل اخلاف السير يا ناق والسرا وقطع الفيافي والديار البعايد
تزورين ابن سمح النبا ابن زامل مقرن مناي لشبك ضيم الشدايد

١١ ـ ومن الشعر الديواني القديم هذه الهمزية لحميدان الشويعر يخاطب بها صديقه ابن نحيط أمير الحصون.

وأكتفي هنا بضبط الرواية كما هي من كراسات الشيخ منديل أما الشرح وضبط الوزن فسيأتي إن شاء الله في أسفار مخصصة لدراسة وضبط الشعر الديواني.

قال حميدان:

بان المشيب ولاح في عرضائي ونعيت بعد المشيب اصبائي
ونعيت خل كان في ماضي مضى لاحت عليه بوارح الجوزاء
وامرة جهالتها علي كبيرة تحسب اني اخرج من نقا الدهناء[٢٤]

(٢٣) انظر إحالتي إلى تكملة هذه القصيدة بالسفر الأول ص ٦٥ ـ ٦٦.
(٢٤) وامرة: وامرأة.

تقـول حط وقط والا ففـارق ... مـا لي بشوف الشيبـة الشمطاء

قلت اية الشوق الذي من قبل ذا ... ما هوب شره يوم عصر صبائي

واليوم خالفت الـطبوع وكثـرني ... منـك الكـلام وزادت البغضـاء

هو ذا طمع بـي فهـاك دراهم ... وان كان بغض ما لقيت دوائي

البغض نفس ما تطيب على الرضى ... وحش جفـول فـاتن الفـرقـاء

ذي عـادة الـمـحـب وعـادة ... مـا قط رافق صاحب البغضـاء

وان كان تبغين قط همات الصبا ... تـراي عنها قـد طويت رشـائي

وان كان هو بغض وصيدك طامح ... فاخذي ثلاث واضربـي البيداء

قلت دنـانيـري وعـدت بهمة ... جـذت حبالي عن ورود المـاء

العـام انـالي كـدة مـا شـومة ... هبت عليهـا الجـانـح اليمنـاء

اسلفت بهـا يـومين ثم جـذت ... عنها العصير الى انها بيضاء[٢٥]

وادلجت راسي مـرتين تـوجـد ... وصفقت بالوسطى على الطرفاء

واركبت من عالي النشيد بكاعب ... غـراء تشادي السـابق الخضراء

حيرانة الدملوج غامضـة الحشا ... مـا مسهـا خبث ولا سقـواء

مصرية الاطـراف ناعمـة الصبا ... قـامت بـردف كنهـا عجـزاء

هركولـة بما أتلفت من جـاهل ... حقت على ديـراتهـا الانـواء

سكنت قصور الوشم شرقي النقا ... مـا لاوذت من بـارح الجـوزاء

إلى أن قال:

يممتها ابن نحيط كساب الثنـا ... ورث الشيـوخ من اول الدنيـاء

ولـد الحديثي والـذي من لابة ... تـرثـة تميم وفـرعـة العليـاء

يا ابن نحيط . الله لي من عيلة ... خليتهم في الوشم في رجوائي

---

(٢٥) ثم: بتنوين الميم هكذا (ثمن).

يـرجونني وانـا ارتجي من خير   والفضل من ندواك في يمنـائي
وصلوا على خير البرايـا محمد   مـا نـاض بـرق بليلة ظلمـاء

١٢ ـ من الشعر الديواني المشبه للشعر القديم هذه الهمزية لحمد الغيهبان المري من كراسات الشيخ منديل(٢٦):

قـال الشبيبـي والذي يـدنى له   من خيـل نجـد مهـرة شعـواء
وابـرهـا ولا بـعـد ركبتـهـا   الا بـوردتـنـا عـلى الاطـواء
مـا يقدر الـرجل القصيـر يعنها   الا ويعـرضهـا على السـنـداء
ولقيت يـوم كـاعب مـرعـوبـة   تبكي وتـذرف عينهـا النجـلاء
لا هي قصيـرة قصرهـا شنيعـة   ولا هـيب لا طـويـلة عنبـاء
لا هيب لا شنعـا ولا مبـدولـة   ولا هيب صـورا عينهـا قلبـاء
له قلت يا بيضاء عليك سترك   العـز حـدر النصبـة البيضـاء
جمـالها يـرهي حسين طبوعهـا   عفيفـة عـاشت بـطيب اربـاء
لحقت شيـخ القوم ثم قضعتـه   قضع الجمل بالصدر بالظلمـاء
طعنت انـا بالخيـل طعن جيـد   لـمـا كسيت قـطيهن دمـاء
ذبحت منهم سبعـة وثمـانيـة   ورديت هـزلاهم على الجـزلاء
يا الله يا المعبود يا وال السما   يـا اللي بغيب الكائنـات ادراء
يا اللي الى ما قال كن كان الحيا   احيـا العـظام البـاليـة بـالمـاء
انـا بليت بغلمـة لم يفهمـوا   الا بكثـرة شـقـوتي وعـنـائي
بليت بـالـدنيـا ونفس والهـوى   كيـف النجـاة وكلهن اعـدائي
نفسي تمنيني بـطرق مهـونتي   وانـا مضـريهـا على الجـزلاء

---

(٢٦) قال أبو عبدالرحمن: الغيهبان شاعر متأخر وقد روى ابن فردوس هذه القصيدة في ديوانه ص ٢٨٣ ـ ٢٨٦ على الياء هكذا: ادرايـي ـ بالمايـي ـ اعدايـي.

وذكر الشيخ منديل أن الرواة ربما داخلوا بين هذه القصيدة وقصيدة أبـي حمزة العامري.

١٣ ـ نشرت في السفر الأول أبياتاً لحمود بن مقرب الأسعدي وها هنا أوردها كما هي في كراسات الشيخ منديل.

قال ابن مقرب:

يقول ابن مقرب وانا حمود	لطرق المرجلة والعرف واعي
انا من ساعدة ذهب مصفى	اهل رماح وطعون وساع
انا صاحب الثلاث مع ثلاث	ولا اجي للوليم بغير داعي
ولا احب الجلوس مع النجوس	حبايل سوهم صادت كراعي
ملاقاتي لعودان البلنزا	ولدغ السم من سم الافاعي
اخير عندي من لاماي غلمة	عيا طبعهم يركب طباعي
ولا يقوي سبع بهيش	وبالهيش بقرات رتاع
ومن هاب المنايا ادركنه	مات اخس من فقع بقاع
وأرض الله ما ضاقت بحي	فجوج الأرض للساعي وساع
أوصيك مني يا فهيم	ترى عز الملا بالاجتماع
ولا تبغي القطاعة بالقريب	لا بد القطوع من انقطاع
أنا ما أجلس حذا عند الرجال	ما أجلس عند مقصور الذراع

١٤ ـ وردت عدة أبيات من بائية راشد بن عمير في كتاب في شمال غرب الجزيرة ص١٤٢ للشيخ حمد الجاسر.

١٥ ـ أورد الشيخ ابن جنيدل في عالية نجد ١/١٣١ و٢/٢٦٢ ـ ٧٦٣ و٧٩٥.

هذه الأبيات لبنت عجل ابن حنيتم شيخ قبيلة آل مغيرة:

كم وسمنا على الشعرا من زين بكرة　　جابتها الأنظا والوجيه السمايح
مواريدها بالقيظ قلبان ماسل　　ومداهيلها الشعرا سقتها الروايح
وأجار عليهم يا افقري ما يجونها　　إلى العد مطوي الجدا بالصفايح

١٦ ـ في كراسات الشيخ منديل مطولات من الشهر الهلالي فاتني إيرادها في السفر الأول.

وسترد هذه المطولات مع غيرها مدروسة ـ إن شاء الله ـ في أحد الأسفار الخاصة بالشعر الديواني.

١٧ ـ أورد الشيخ محمد العبودي في بلاد القصيم ٧٩٥/٢ هذه الأبيات لشاعر من بني هلال:

يا ليلة المرحال يا دمعة لي　　يوم ان ابن سرحان نوى الحرايب
ان سلمت أم الحدل فالدين ذاهب　　ياما قطعت من مسملات الغوايب
خمسة عشر جذابة الما على المهل　　والا ثلاثين عليهن عقايب
هي رمية البندق عن حايط لي　　صنت لابن عربيد راع القضايب
عن رأس القارة الحمرا أمام المصلي　　مع ايسر المشراف توصيف شايب
تسع مية من غرس جدي محمد　　منايح الجيران غير القرايب

١٨ ـ في جريدة الندوة في ١٤٠١/٩/١٥ نشر تحقيق عن بني هلال بعنوان: بعد آلاف السنين نكتشف آثار بني هلال!

قال أبو عبدالرحمن: تاريخ بني هلال يحدد بمئات السنين لا بآلافها. وهذه الآثار على بعد أربعين كيلومتراً شرقي الطائف في ديرة السوطة من عتيبة.

وكل ما وجدوه بئر الطاشة وعمقها ٨٠ متراً في الصخر.

ووجدوا قبراً طوله عشرة أمتار.

وهناك قبر عزيز وابن أبـي زيد الهلاليين.

وتروي أسطورة التحقيق أن عزيزاً لما أحس بالوفاة وهو في الغار رمى برمحه وأوصاهم بدفنه في مكان موقع الرمح، وكان مؤملاً أن يقع الرمح في قمة جبل حتى يصعب على أبـي زيد نبشه لما بينهما من التنافس فوقع الرمح على بعد خمس مئة متراً.

وبهذه المناسبة قال عزيز:

أبو زيد يا خال من البئر جرني	ترى صابني في قاعة البير صايب
وجود لحود القبر من يمة العدا	ومن يمكن تذرى علي الهبايب
وأبا أوصيك في أمي عجوز قد انحنت	ترجي ولدها من بعيد المغايب
وأبا أوصيك في طفل عزيز مع أمه	كم نهمة تعذي ضلوعه حطايب

ويروي التحقيق أن أبا زيد التقى بحبيبته علياء بعد فراق طويل فقالت:

اليوم يا أبو زيد عارضك شايب	مشلهب ما كنك الا ذيب

فقال أبو زيد:

من البعد يا عليا ومن غربتي	من هجر بيدي والثاني يغيب
أهلي ورا الفرعان فرعان بيشة	وأهلك مغيب الشمس يوم تغيب

وعن حفر بئر الطاشة رووا قول الشاعر الهلالي:

حفرناك بالطاشة ثمانين قامة	لحقنا جبال العد والما وراها

١٩ ـ عن بعض أساطير بني هلال عند أهل نجد راجع كتاب رحلة إلى بلاد نجد ص١٢٣ ـ ١٢٦.

٢٠ ـ في كتاب بلاد الجوف للشيخ الجنيدل ص ١٨١ ـ ١٨٢ زيادة إفادة عن شعر بني هلال وعلاقتهم بالشرارات.

٢١ ـ جاء في كتاب روضة الناظر عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين لمحمد بن عثمان بن صالح القاضي ٣٦٧/٢ أن راشداً الخلاوي من بني هاجر من قحطان وأنه توفي سنة ١٠١٠هـ.

٢٢ ـ قال شاعر من بني هلال:

ويا حر حر الله واديك بالحيا وسقاك يا مرقان سيل المخايل[٢٧]

٢٣ ـ وقال شاعر من بني هلال:

يا جبال عريقية هل عينتي محمد عليك منه يا جبال سلام
يبكيه عود ثالثت رجله العصا ويكوده من عقب القعاد مقام
ويبكيه عذرا فاتها غاية الصبا كما فات لقاف العصير نعام[٢٨]

٢٤ ـ أورد ابن عبيد في تذكرة أولى النهي والعرفان ٦٦/١ بائية عميرين راشد. قال أبوعبدالرحمن: وكتابي عن آل الجرباء الذي طبعته دار اليمامة فيه استدراكات على السفر الثاني من ديوان الشعر العامي.

٢٥ ـ وعن شعر بني هلال لمحات في كتاب أغانينا الشعبية في الضفة الغربية لنمر سرحان.

---

(٢٧) معجم اليمامة ٣٠٧/١.
(٢٨) معجم اليمامة ٥٢٢/١.

٢٦ ـ وجدت في أوراق الشيخ منديل أن محارب الشريف
من البراعصة من مطير أصاب تركي بن حميد في
السناف الذي عرف فيما بعد بسناف تركي حيث يوجد
قبر تركي فيه.

ويقال إن غنيمان الملعبي كسر أسنان تركي وهو ميت.

وذات مرة انتصرت الروقة على عتيبة فقتلوا محارب وابن غنيمان وأخذوا إبل ابن جبرين المعروفة بموجات وقتلوا مبلش وابنه دلاك.

وبهذه المناسبة قال بطي بن مغرس الهرجف المرشدي:

يا واصل مني لتركي فقل له	لو هو تحت قبر طويل يهايل
قل له ترى حنا ذبحنا محارب	فديناك يا حامي عقاب الدبايل

وقال شاعر الحمدة:

يا راكب من فوق حمرا معناة	ترعى الزهر لين أشمخن الأباهير
ملفاك أخو شرعا زبون المخلاة	سلم عليه وفسر العلم تفسير
موجات أخذناها ومبلش ذبحناه	والملعبي سعر البكار المعاشير
ذباح أخو شرعا بالأيدي وليناه	خلي عشا لمعكفات الدناقير
ودلاك قفى واشقر الدم يبراه	أقفى ودم الجوف غاد شخاتير

وذات مرة أيضاً نزل الروقة بمسكة ضرية بالقريات وفيها زوجة ابن جبرين حضرية فقال شاعرهم:

قبل أمس ياعينا عشيرك طردناه	فرسان ربعي عقبوه المغاتير
اقفت تمشت به جواد سبلتاة	زام ظهرها من حليب المصاغير

فأجابت بقولها:

خمسة عشر رجال تشبعهم الشاة   وأنتم ذهبتوا كبر ابانات والنيـر
شـوفي بعيني يوم سيفـه بيمناه   يحدكم حد الجمـل للمعاشيـر

٢٧ ـ وللمقارنة بشعر تركي بن حميد المنشور في السفر الأول تراجع مجلة العرب ٣/٨٢٨ ـ ٨٢٨ ومنوعات شعبية ص٢٠٧ ـ ٢٠٨ و ص ٣١٨ ـ ٣١٩.

□ □ □

ـ ٩ ـ
مستدرك هذا الجزء

قال الأستاذ محمد سعيد حسن كمال عن محمد بن هندي[1]:

من أشهر فرسان العرب ودهاتهم في العصر الأخير محمد بن هندي بن حميد المقاطي من قبيلة المقطة، كان فارس عتيبة في تلك الأنحاء، وكبيرها، مات سنة ١٣٣٧هـ هوى به بعيره فقتله.

لم ينفرد بالشجاعة، بل عرف أيضاً بأصالة الرأي ورجاحة الحلم وهيبة المنظر.

أخبرني رجل أدركه وعرفه قال: زار ابن حميد والدي فجعلت أطيل النظر إلى جراح رأيتها في عنقه وصدره، فأدناني منه فدنوت، فكشف قميصه وقال: انظر فنظرت فإذا جراح هائلة عددتها ستة وثلاثين كلها قد اندملت:

ولما أرسل إليه بعض الحكام بندقيتين حملها إليه بعض أصحابه، نظر إليهما وتعجب منهما، إذ لم يكن سلاحه غير السيف والرمح فأخذ أصحابه يعلمونه كيف يطلق البندق (الرصاص) وتناولها بين يديه يطيل التأمل فيهما ثم ألقاهما وقال: لا حاجة لي بهما!.

وله في ذم البندقيات ويسمونها (الموارت) والمواريت جمع مارتينة:

ضرب الموارت ما بها نوماس   حذفة شرود من بعيد

(١) مجلة العرب ٣/٨٢٧.

علي قضب عنـانهـا والـراس والله يـدبـر مـا يـريـد
علي بـاللي تبعـد المـرواس والـعمـر لـزمـا انـه يـبـيـد

قضب عنانها: إمساكه جيداً. المرواس: ميدان الخيل وشوط جريها.

وهناك لمحة عن ابن هندي لا جديد فيها بكنز الأنساب للشيخ الحقيل ص ٢٥٢.

□ □ □

- ١٠ -

ثبت بأسماء المصادر

[مرتب على حروف المعجم إضافة إلى المصادر الشفوية]

١ ـ الأدب الشعبي في جزيرة العرب.
لعبدالله بن خميس.
ط م الرياض عام ١٣٧٨هـ.

٢ ـ الأزهار النادية من أشعار البادية.
نشر محمد سعيد كمال.

٣ ـ أبطال من الصحراء.
لمحمد الأحمد السديري.
ط م دار الكتب ببيروت ـ الطبعة الأولى سنة ١٣٨٨هـ.

٤ ـ أنساب العشائر العراقية في النجف الأشرف.
لناجي وداعة الشريس.
ط م الغري الحديثة بالنجف ـ الطبعة الأولى عام ١٣٩٥هـ.

٥ ـ بلاد الجوف.
لسعد بن جنيدل.
ط م الأهلية للأوفست ـ نشر دار اليمامة.

٦ ـ بلاد القصيم لمحمد ناصر العبودي.
ط دار اليمامة عام ١٣٩٩هـ.

٧ ـ بنو تميم في بلاد الجبلين.
لعبدالله بن علي بن صقية.
صدر عن دار اليمامة ط م الأهلية للأوفست بالرياض عام ١٤٠١هـ.

٨ ـ تاج العروس من جواهر القاموس.
لمحمد مرتضى الزبيدي.
تصوير مكتبة الحياة ببيروت.

٩ ـ تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد.
لإبراهيم بن صالح بن عيسى.
ط دار اليمامة عام ١٣٨٦هـ.

١٠ ـ تاريخ آداب العرب.
لمصطفى صادق الرافعي.
نشر دار الكتاب العربي ـ الطبعة الثانية سنة ١٣٩٤هـ.

١١ ـ تذكرة أولي النهي والعرفان بأيام الله الواحد الديان وذكر حوادث الزمان.
لإبراهيم بن عبيد العبدالمحسن.
ط مؤسسة النور.

١٢ ـ تراث البدو القضائي.
لمحمد أبو حسان.
نشر دار الثقافة والفنون بالأردن.

١٣ ـ جريدة الندوة السعودية.

١٤ ـ دراسات في الفولكلور الأردني.
لتوفيق أبو الرب.
ط جمعية عمال المطابع التعاونية بعمان
الطبعة الأولى عام ١٩٨٠م.

١٥ ـ ديوان ابن فردوس (أثمار القصص والأشعار النبطية).
لفهد بن محمد بن فردوس العجمي.
ط دار السياسة بالكويت.

١٦ ـ ديوان الرصافي.
ط م الاستقامة ـ الطبعة السادسة عام ١٣٧٩هـ.

١٧ ـ ديوان ابن سبيل.
ط م علي بن ثاني.

١٨ ـ الرجز.
للعبيدي.

١٩ ـ رحلة إلى بلاد نجد.

٢٠ ـ روائع من الشعر النبطي.
لعبدالله اللويحان.
ط م المدني.

٢١ ـ روضة الشعر.
جمعت بأمر الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة عام ١٣٨٠هـ
الطبعة الثانية.

٢٢ ـ روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين.
لمحمد بن عثمان القاضي.
ط م الحلبي ـ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٠هـ.

٢٣ ـ السنن الكبرى.
لأبي بكر البيهقي.
مصورة عن طبعة حيدر آباد الدكن.

٢٤ ـ شاعرات من البادية.
نشر دار اليمامة.

٢٥ ـ شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز.
الطبعة الأولى عام ١٣٩٠هـ.

٢٦ ـ الشعر عند البدو.
للدكتور شفيق الكالي.
ط م الإرشاد ـ بغداد.

٢٧ ـ شعراء من البادية.
لعبدالله بن محمد بن رداس.
الطبعة الثانية عام ١٣٩٨هـ ط م البادية للأوفست بالرياض.

٢٨ ـ الشوارد.
لعبدالله بن خميس.
نشر دار اليمامة عام ١٣٩٧هـ.

٢٩ ـ صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار.
لمحمد بن عبدالله بن بليهد.
الطبعة الثانية.

٣٠ ـ عالية نجد.
لسعد بن عبدالله بن جنيدل.
ط م نهضة مصر عام ١٣٩٨ ـ نشر دار اليمامة.

٣١ ـ عشائر العراق.
للمحامي عباس العزاوي.
ط م بغداد سنة ١٣٦٥هـ.

٣٢ ـ عقد الدرر.
لابن عيسى.
بآخر عنوان المجد ـ نشر وزارة المعارف.

٣٣ ـ الفنون الشعبية في الجزيرة العربية.
لمحمد بن أحمد الثميري رواية محمد بن عيد الضويحي.
ط م العمومية بدمشق عام ١٣٩٢هـ.

٣٤ ـ كتاب موزل عن الرولة
قسم يتعلق بالحرب والسلم ترجم لي بعناية الأخ العليوي.

٣٥ ـ كراسات الأمير السديري الخطية عن الأحديات.

٣٦ ـ كراسات الشيخ منديل الخطية.

٣٧ ـ كنز من الماضي.
لشاهر محسن الأصقه.
ط م مساعد السارك. الطبعة الأولى.
سنة ١٤٠١هـ.

٣٨ ـ ما رأيت وما سمعت.
لخير الدين الزركلي.
نشر دار ثقيف.

٣٩ ـ المجاز بين اليمامة والحجاز.
لعبدالله بن خميس.
نشر دار اليمامة عام ١٣٩٠هـ.

٤٠ ـ المجتمع البدوي الأردني.
للدكتور أحمد الخشاب.
ط جمعية عمال المطابع التعاونية بعمان عام ١٩٧٤م.

٤١ ـ مجلة العرب.

٤٢ ـ مجلة لغة العرب.

٤٣ ـ مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ.
لحمد الجاسر.
نشر دار اليمامة عام ١٣٨٦هـ.

٤٤ ـ المعجم الذهبي.
للدكتور محمد التونجي.
ط دار العلم للملايين.

٤٥ ـ مقاييس اللغة.
لأحمد بن فارس.
ط م الحلبي ـ الطبعة الأولى سنة ١٣٦٦هـ.
تحقيق عبدالسلام محمد هارون.

٤٦ ـ معجم اليمامة.
لعبدالله بن خميس.
ط م الفرزدق عام ١٣٩٨هـ.

٤٧ ـ من آدابنا الشعبية في الجزيرة العربية.
لمنديل بن محمد آل فهيد.
الجزء الأول نشر دار اليمامة عام ١٣٩٨هـ. الطبعة الأولى.
والجزء الثاني ط م الأهلية للأوفست بالرياض عام ١٤٠٢هـ.

٤٨ ـ من أحاديث السمر.
لعبدالله بن خميس.
ط م شركة حنيفة للأوفست.

٤٩ ـ من شيم العرب.
لفهد المارك.
الطبعة الثالثة عام ١٤٠٠هـ.

٥٠ ـ من شيم الملك عبدالعزيز.
لفهد المارك.
الطبعة الثانية عام ١٤٠٠هـ.

٥١ ـ من نوادر الأشعار.
لعبدالله سعود الصقري.
الطبعة الأولى سنة ١٤٠١هـ ـ ط م الرياض.

٥٢ ـ منوعات شعبية.
لسعد بن محمد بن نفيسة.
ط م الفرزدق ـ الطبعة الأولى سنة ١٤٠١هـ.

٥٣ ـ نسب حرب.
لعاتق غيث البلادي.
ط دار المعارف عام ١٣٩٧هـ.

قال أبو عبدالرحمن: تم بفضل الله السفر الثالث ويليه السفر الرابع وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وسلام على عباده المرسلين

□ □ □